سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٥٨)

الإفحام والمفحمون

حواراتٌ انتهت بالإفحامِ
من كتب الحديث والتراجم والأدب

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٢هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة
ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل

بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة

منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

الإفحام في اللغة

قال في لسان العرب

وَهَاجَاهُ فأَفْحَمه: صَادَفَهُ مُفْحَماً. وكلَّمه فَفَحَم: لَمْ يُطق جوَابًا. وَكَلَّمْتُهُ حَتَّى أَفْحَمْته إِذَا أَسكتَّه فِي خُصُومَةٍ أَوْ غَيْرِهَا. وأَفْحَمْته أَيْ وَجَدْتُهُ مُفْحَماً لَا يَقُولُ الشِّعْرَ. يُقَالُ: هاجَيْناكم فَمَا أَفْحَمْناكم. قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: يُقَالُ هَاجَيْتُهُ فأَفْحَمْته بِمَعْنَى أَسكتُّه، قَالَ: وَيَجِيءُ أَفحمته بِمَعْنَى صَادَفْتُهُ مُفحَماً، تَقُولُ: هَجَوته فأَفحمته أَيْ صَادَفْتَهُ مُفْحَمًا، قَالَ: وَلَا يَجُوزُ فِي هَذَا هَاجَيْتُهُ لأَن الْمُهَاجَاةَ تَكُونُ مِنِ اثْنَيْنِ، وَإِذَا صَادَفَهُ مُفْحَماً لَمْ يَكُنْ مِنْهُ هِجَاءٌ، فَإِذَا قُلْتَ فَمَا أَفحمناكم بِمَعْنَى مَا أَسكتناكم جَازَ كَقَوْلِ عَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرِبَ: وَهَاجَيْنَاكُمْ فَمَا أَفْحَمْنَاكُمْ أَيْ فَمَا أَسكتناكم عَنِ الْجَوَابِ. وَفِي حَدِيثِ

عَائِشَةَ مَعَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ: فَلَمْ أَلبث أَنْ أَفْحَمْتها

أَيْ أَسكتُّها. وَشَاعِرٌ مُفْحَم: لَا يُجِيبُ مُهاجِيه؛ وَقَوْلُ الأَخطل:

وانزِعْ إِلَيْكَ، فإِنَّني لَا جاهلٌ ... بَكِمٌ، وَلَا أَنَا، إِنْ نَطَقْتُ، فَحُوم

قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: قِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ فَحُوم مُفْحَم، قَالَ: وَلَا أَدْرِي مَا هَذَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ تَوَهَّمَ حَذْفَ الزِّيَادَةِ فَجَعَلَهُ كرَكُوب وحَلُوب، أَوْ يَكُونَ أَرَادَ بِهِ فَاعِلًا مِنْ فَحَم إِذَا لَمْ يُطق جوَابًا، قَالَ: وَيُقَالُ لِلَّذِي لَا يَتَكَلَّمُ أَصْلًا فاحِم. وفَحَم الصبيُّ، بِالْفَتْحِ، يَفْحَم، وفَحِمَ فَحْماً وفُحاماً وفُحوماً وفُحِمَ وأُفْحِمَ كُلُّ ذَلِكَ إِذَا بَكَى حَتَّى يَنْقَطِعَ نفَسُه وَصَوْتُهُ. اللَّيْثُ: كَلَّمَنِي فُلَانٌ فأَفْحَمته إِذَا لَمْ يُطق جَوَابَكَ؛ قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ: كأَنه شُبِّهَ بِالَّذِي يَبْكِي حَتَّى يَنْقَطِعَ نفَسه. (١)

(١) لسان العرب (١٢/ ٤٤٩)

مما ورد في الافحام

١. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني يوما مع الوليد بن المغيرة، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرض له النضر بن الحارث، وكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ) . . . إلى قوله (وَهُمْ فِيهَا لايسمعون) [١]

٢. عن عائشة عند مسلم أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة بنت رسول الله ﷺ فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي فقالت يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني يسألنك العدل في بنت بن أبي قحافة وأبو قحافة هو والد أبي بكر قوله فقال يا بنية ألا تحبين ما أحب قالت بلى زاد مسلم في الرواية المذكورة قال فأحبي هذه فقامت فاطمة حين سمعت ذلك قوله فرجعت إليهن فأخبرتهن زاد مسلم فقلن لها ما نراك أغنيت عنا من شيء قوله فأبت أن ترجع في رواية مسلم فقالت والله لا أكلمه فيها أبدا قوله فأرسلن زينب بنت جحش زاد مسلم وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ فذكر الحديث وفيه ثناء عائشة عليها بالصدقة وذكرها لها بالحدة التي تسرع منها الرجعة قوله فأتته في مرسل علي بن الحسين فذهبت زينب حتى استأذنت فقال ائذنوا لها فقالت حسبك إذا برقت لك بنت بن أبي قحافة ذراعيها وفي رواية مسلم ورسول الله ﷺ مع عائشة في مرطها على الحال التي دخلت فاطمة وهو بها قوله فأغلظت في رواية مسلم ثم وقعت بي فاستطالت وفي مرسل علي بن الحسين فوقعت بعائشة ونالت منها قوله فسبتها حتى إن رسول الله ﷺ لينظر إلى عائشة هل تكلم في رواية مسلم وأنا أرقب رسول الله ﷺ وأرقب طرفه هل يأذن لي فيها قالت فلم تبرح زينب حتى

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٦/ ٤١٧)

عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر وفي هذا جواز العمل بما يفهم من القرائن لكن روى النسائي وبن ماجه مختصرا من طريق عبد الله البهي عن عروة عن عائشة قالت دخلت علي زينب بنت جحش فسبتني فردعها النبي ﷺ فأبت فقال سبيها فسببتها حتى جف ريقها في فمها وقد ذكرته في باب انتصار الظالم من كتاب المظالم فيمكن أن يحمل على التعدد قوله فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها في رواية لمسلم فلما وقعت بها لم أنشبها أن أثخنتها غلبة ولابن سعد فلم أنشبها أن أفحمتها قوله فقال إنها بنت أبي بكر أي إنها شريفة عاقلة عارفة كأبيها وكذا في رواية مسلم وفي رواية النسائي المذكورة فرأيت وجهه يتهلل وكأنه ﷺ أشار إلى أن أبا بكر كان عالما بمناقب مضر ومثالبها فلا يستغرب من بنته تلقي ذلك عنه ومن يشابه أبة فما ظلم وفي هذا الحديث منقبة ظاهرة لعائشة وأنه لا حرج على المرء في إيثار بعض نسائه بالتحف وإنما اللازم العدل في المبيت والنفقة ونحو." (١)

٣. ٦١٢ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ، نَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَبِيبٍ، نَا مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ الْبَغْدَادِيُّ؛ قَالَ: قَامَ بَعْضُ الزُّهَّادِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَنْصُورِ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعْطَاكَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا؛ فَاشْتَرِ نَفْسَكَ بِبَعْضِهَا، وَاذْكُرْ لَيْلَةً تَبِيتُ فِي الْقَبْرِ لَمْ تَبِتْ قَبْلَهَا لَيْلَةً، وَاذْكُرْ لَيْلَةً تَمَخَّضُ عَنْ يَوْمٍ لَا لَيْلَ بَعْدَهُ. قَالَ: فَأُفْحِمَ أَبُو جَعْفَرٍ مِنْ قَوْلِهِ، فَقَالَ لَهُ الرَّبِيعُ: أَيُّهَا الرَّجُلُ! إِنَّكَ قَدْ غَمَمْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! هَذَا صَحِبَكَ عِشْرِينَ سَنَةً لَمْ يَرَ لَكَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْصَحَكَ يَوْمًا وَاحِدًا، وَلَا عَمِلَ وَرَاءَ بَابِكَ بِشَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلَا سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَأَمَرَ لَهُ الْمَنْصُورُ بِمَالٍ، فَقَالَ: لَوِ احْتَجْتُ إِلَى مَالِكَ؛ لَمَا وَعَظْتُكَ. (٢)

٤. ٥٥٥ - أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْفَضْلِ ، أنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ، نا يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ بُكَيْرٍ ، يُحَدِّثُ عَنِ اللَّيْثِ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، قَالَ: تَلَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ هَذِهِ الْآيَةَ يَوْمًا: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ} [الحجر: ٢١] فَقَالَ جَمِيلُ بْنُ نُبَاتَةَ [ص:٣٢٤] الْعِرَاقِيُّ: يَا أَبَا سَعِيدٍ أَرَأَيْتَ السِّحْرَ

(١) فتح الباري لابن حجر، ابن حجر العسقلاني ٥/٢٠٧

(٢) المجالسة وجواهر العلم (٣/ ١٧)

مِنْ خَزَائِنِ اللَّهِ الَّتِي تَنْزِلُ؟ فَقَالَ يَحْيَى: «مَهْ مَا هَذَا مِنْ مَسَائِلِ الْمُسْلِمِينَ» وَأُفْحِمَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَبِيبَةَ: إِنَّ أَبَا سَعِيدٍ لَيْسَ مِنْ أَصْحَابِ الْخُصُومَةِ ، إِنَّمَا هُوَ إِمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَكِنْ عَلَيَّ فَأَقْبِلْ أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ: إِنَّ السِّحْرَ لَا يَضُرُّ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَتَقُولُ أَنْتَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ، فَأَذَلَّهُ عَبْدُ اللَّهِ ، فَكَأَنَّمَا كَانَ عَلَيْنَا جَبَلٌ فَوُضِعَ عَنَّا (١)

٥. قال الشنقيطي رحمه الله :

وذكرنا مراراً أن رئيسهم الكبير عَمْرو بن عبيد –الذي يطريه الزمخشري غاية الإطراء، والذي رثاه أبو جعفر المنصور؛ لأنه توفي في خلافته، وهو من رؤساء وكبراء المعتزلة المشهورين– أفحمه بدوي جاهل، لا يعرف شيئاً؛ لأن الكبير العالم من أهل الإلحاد والضلال قد يُفْحِمُه العامِّي من أهل الحق، لظهور دلالة الحق؛ ذلك لأنه لما سُرقت دابته، وجاءه يسأل منه الدعاء أن يَرُدَّها الله عليه، وأراد التقرب بهذا المذهب، وقال: اللهم إنها سُرقت ولم تُرِدْ سَرِقتها، ولم تكن سَرِقَتُهَا بمشيئتك؛ لأنك أنزه وأعْظَم وأكْرَم وأجَلّ من أن تكون هذه الخسيسة بمشيئتك، ففهم البدوي الجاهل، وقال له: ناشدتك الله يا هذا إلا ما كففت عني من دعائك الخبيث، إن كانت قد سُرقت ولم يُرد سرقتها فقد يُريد رَدَّها ولا تُرَدّ! فإن كان أول الأمر ليس بمشيئته فَلَسْتُ بواثق منه في آخر الأمر؛ لأن الرَّبَّ لا بد أن يكون كل شيء بمشيئته أولًا وآخراً، فأَفْحَمَه وألْقَمَهُ الحَجَرَ (٢)

٦. . وأخبرنا أبو بكر البرقاني قال ثنا يعقوب بن موسى أبو الحسين الاردبيلي قال ثنا أبو عبد الله أحمد بن طاهر بن النجم الميانجي قال ثنا أبو عثمان سعيد بن عمرو بن عمار البرذعي قال: قلت: لأبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بشر بن [يحيى١] بن حسان

---

(١) القضاء والقدر للبيهقي (ص: ٣٢٣)

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٢/ ٤٢٤)

قال خراساني من أصحاب الرأي وكان أعلى أصحاب الرأي بخرسان فقدم علينا وكتبنا عنه وكان يناظر واحتجوا عليه بطاوس فقال بالفارسية يحتجون علينا بالطيور قال أبو زرعة كان جاهلا بلغني أنه ناظر إسحاق بن راهويه في القرعة واحتج عليه إسحاق بتلك الأخبار الصحاح فأفحمه فانصرف ففتش كتبه فوجد [في كتبه]"١" حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهى عن القزع٢ فقال لأصحابه قد أصبت حديثا أكسر به ظهره فأتى إسحاق فأخبره فقال له إسحاق إنما هذا القزع أن يحلق رأس الصبي ويترك بعض. (١)

٧. أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار، وكان حائكاً في حراز العباس ابن محمد الهاشمي. من كبار المجبرة ومتكلميهم. والسبب في موته أنّه اجتمع مع إبراهيم النظّام، فأفحمه النظّام في مناظرات جرت بينهما، فانصرف محموماً، فكان ذلك سبب علته التي مات فيها. (٢)

٨. قال ابن تيمية رحمه الله ناقلا (وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ شُيُوخِ هَؤُلَاءِ : مَنْ قَالَ إنَّ فِي الْكَوْنِ سِوَى اللَّهِ فَقَدْ كَذَبَ . فَقَالَ لَهُ آخَرُ : فَمَنْ الَّذِي كَذَبَ ؟ فَأَفْحَمَهُ (٣)

٩. وقال **ابن تيمية** في **مناظرته** مع الرفاعية

فلما أظهروا التزام الكتاب والسنة وجموعهم بالميدان بأصواتهم وحركاتهم الشيطانية يظهرون أحوالهم قلت له: أهذا موافق للكتاب والسنة؟ فقال: هذا من الله حال يرد عليهم، فقلت: هذا من الشيطان الرجيم لم يأمر الله به ولا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، ولا أحبه الله ولا رسوله، فقال: مافي السموات والأرض حركة ولا كذا ولا كذا إلا بمشيئته وإرادته، فقلت له: هذا من باب القضاء والقدر، وهكذا كل مافي العالم من كفر وفسوق وعصيان هو بمشيئته وإرادته، وليس ذلك بحجة لأحد في فعله، بل ذلك مما زينه الشيطان وسخطه الرحمن.

---

(١) الكفاية في علم الرواية ط الكتب الحديثة (١/ ٢٢٢)

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٢٠٤.

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز) (٢/ ٣٠٥)

فقال: فبأي شيء تبطل هذه الأحوال. فقلت: بهذه السياط الشرعية. فأعجب الأمير وضحك، وقال: أي والله، بالسياط الشرعية تبطل هذه الأحوال الشيطانية، كما قد جرى مثل ذلك لغير واحد، ومن لم يجب إلى الدين بالسياط الشرعية فبالسيوف المحمدية، وأمسكت سيف الأمير وقلت: هذا نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلامه وهذا السيف سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن خرج عن كتاب الله وسنة رسوله ضربناه بسيف الله، وأعاد الأمير / هذا الكلام، وأخذ بعضهم يقول: فاليهود والنصارى يقرون ولا نقر نحن؟ فقلت: اليهود والنصارى يقرون بالجزية على دينهم المكتوم في دورهم، والمبتدع لا يقر على بدعته. فأفحموا لذلك. (١)

١٠. وقال ابن القيم :

ومنهم من يزعم أن المسيح كان من العلماء، وأنه كان يداوى المرضى بالأدوية، ويوهمهم أن الانتفاع إنما حصل لهم بدعائه، وأنه داوى جماعة من المرضى فى يوم السبت، فأنكرت عليه اليهود ذلك، فقال لهم: "أخبرونى عن الشاة من الغنم إن وقعت فى بئر، أما تنزلون إليها وتحلون السبت لتخليصها؟ قالوا: بلى. قال: فلم أحللتم السبت لتخليص الغنم ولا تحلونه لتخليص الإنسان الذى هو أكبر حرمة من الغنم؟ " فأفحموا. (٢)

١١. نقد محمد بن المنجم بيتا من شعره:

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه قال قال لي محمد بن المنجم: ما أحد ذكر لي فأحببت أن أراه فإذا رأيته أمرت بصفعه إلا عدي بن الرقاع. قلت: ولم ذلك؟ قال: لقوله:

وعلمت حتى ما أسائل عالما ... عن علم واحدة لكي أزدادها

فكنت أعرض عليه أصناف العلوم، فكلما مر به شيء لا يحسنه أمرت بصفعه.

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز) (١١/ ٤٧٠)

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ٣٤٥)

جاءه شعراء ليعارضوه فردت عليهم بنته فأفحمتهم:

حدثني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال:

كان عدي بن الرقاع ينزل بالشام، وكانت له بنت تقول الشعر. فأتاه ناس من الشعراء ليماتنوه [١] وكان غائبا؛ فسمعت بنته وهي صغيرة لم تبلغ دور وعيدهم، فخرجت إليهم وأنشأت تقول:

تجمعتم من كل أوب وبلدة ... على واحد لا زلتم قرن واحد

فأفحمتهم:

كان من أوصف الشعراء للمطية:

وقال عبد الله بن مسلم:

ومما ينفرد به ويقدم فيه وصف المطية؛ فإنه كان من أوصف الشعراء لها.

استحسن أبو عمرو شعره:

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا محمد بن عباد بن موسى قال: كنت عند أبي عمرو أعرض أو يعرض عليه رجل بحضرتي من شعر عدي بن الرقاع، وقرأت أو قرأ هذه الأبيات:

/لو لا الحياء وأن رأسي قد عسا [٢] ... فيه المشيب لزرت أم القاسم

/ وكأنها وسط النساء أعارها ... عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت ... في عينه سنة وليس بنائم

فقال أبو عمرو: أحسن والله!. فقال رجل كان يحضر مجلسه أعرابي كأنه مدني: أما والله لو رأيته مشبوحا بين أربعة وقضبان الدفلى [٣] تأخذه لكنت أشد له استحسانا. يعني إذا كان يغني به على العود.

---

[١] ماتنه في الشعر: عارضه.

[٢] عسا: اشتد.

[٣] الدفلي: نبت مر زهره كالورد الأحمر وحمله كالخروب." (١)

١٢. لقي ابو نواس امرأة مليحة في طريق فقال ما تصنع الحور بين الدور فقالت ما يصنع الشيطان بين الحيطان فأفحمته (٢)

١٣. "أبي مريم المديني، وكان يخاصم رجلا يقال له الحلبي في الفقه، وكان ابن أبي مريم يقول بقول أهل المدينة، والحلبي يقول بقول أهل العراق، قال: فلما جاء ابن أبي مريم الى أبي علي فقال: جعلت فداءك خاصمت اليوم الحلبي بين الملأ وأفحمته، وذاك أني سألته عن قول الله جل وعز: «وقيل من راق» «١» ، قال: إذا مات الانسان قالت الملائكة بعضها لبعض: أيكم يرقى بروحه، فيقول: هذا أنت، ويقول: هذا انت، قال: فقلت: هم والله أطوع من أن يتدافعوا أمره، والله ما يرضى أبو الوزير الكاتب أن يتدافع فيوج «٢» الديوان بأمره فكيف يرضى الله بذلك من ملائكته، وإنما تفسير ذلك أنه إذا مرض الانسان «قيل من راق» يرقيه، فقال: قال أبو علي: فقد كان ينبغي لك أن تحتج بقوله ﷻ: «وظن أنه الفراق» «٣» ، فإن ذلك يدل على أنه حي بعد، قال: فقال له ابن أبي مريم: ولو كان لي هذا العقل كنت يحيى بن خالد. (٣)

١٤. "لا ولكن ذكرت شرفا شريفا وفخرا عظيما غير أنك نلت ذلك كله وأنت تفاخر من بفخره فخرت وتسامي من بفضله سموت قال ابن الزبير وكيف ذلك قال لم تذكر مفخرا إلا برسول الله ﷺ ونحن أهل بيته وأقرب إليه وأولى بالفخر به قال ابن الزبير فأنا أفاخرك بما كان قبل النبي ﷺ فقال ابن عباس لقد انصفت أسائلكم أيها الحضور أعبد المطلب كان أشرب في قريش أم خويلد قالوا عبد المطلب قال أسائلكم أهاشم كان أشرف في قريش أم أمية قالوا بل هاشم قال فأسألكم بالله أعبد مناف كان أشرف أم عبد العزى قالوا اللهم عبد مناف فأنشد ابن عباس يقول:

تفاخرني يا ابن الزبير وقد مضى ... عليك رسول الله لا قول هازل

---

(١) الأغاني (٣٥٦) أبو الفرج الأصبهاني ٢١٢/٩

(٢) أخبار أبي نواس = ملحق الأغاني (٣٥٦) أبو الفرج الأصبهاني ص/٢٨٠

(٣) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٤٧٥٤/١٠

فلو غيرنا يا ابن الزبير فخرته ... ولكن بنا ساميت شمس الأصائل

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ما افترقت فرقتان إلا وكنت في خيرهما فقد فارقك من لدن قصي بن كلاب فنحن في فرقة الخير أولا ونحن في فرقة الخير آخرا فإن قلت نعم خصمت وإن قلت لا كفرت قال فضحك بعض القوم وقالت المرأة من خلف الستر أما والله لقد نهيته عن هذا المجلس فأبى إلا ما ترى فقال ابن عباس مه أيتها المرأة أقنعي ببعلك وأخذ القوم بيد ابن عباس فقالوا إنهض أيها الرجل فقد أفحمته في منزله غير مرة فنهض ابن عباس وهو يقول:." (١)

١٥. "ما لا معنى له، والذي له معنى ذكرناه عن خليفة جميعه، فلا حاجة إلى تكراره إن كان رآه وما إخاله، إنما قلد فيه أبا عمر، وكلام أبي عمر لا بأس به، قد ذكره خليفة، وزاد المزي أشياء لا معنى لها، فينظر.

وفي كتاب «أخبار البصرة» لعمر بن شبة: ارتث مع ابن الزبير مجاشع بن مسعود، فحمل إلى داره في بني سكر فمات، فدفن فيها، قال: ولما كتب عمر إلى المغيرة أن امدد سعدا، فخرج إليه واستخلف على البصرة مجاشع بن مسعود، فحدثني علي بن محمد، عن جويرية بن أسماء قال: بلغ عمر أن امرأة مجاشع نجدت بيوتها، فكتب إليه: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى مجاشع بن مسعود، سلام عليك، أما بعد، فإن الخصيراء نجدت بيوتها، فإذا أتاك كتابي هذا فعزمت عليك أن لا تضعه من يدك حتى تهتك ستورها. ففعل.

وعن محمد بن سالم قال: سير عمر نصر بن الحجاج السلمي من المدينة إلى البصرة، فأنزله مجاشع، فبينا هو عنده يوما تناول عودا، فكتب به لامرأة مجاشع، ثم ناولها العود فكتبت تحت كتابته، فوثب مجاشع إلى جفنة فكبها على الكتابتين، وأرسل إلى كتابه فقرأهما، فكان كتاب نصر: أنا والله أحبك حبا لو كان تحتك لأقلك أو فوقك لأظلك. وكان كتابها: وأنا والله كذلك. فكتب مجاشع بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: أن اغزه.

(١) ثمرات الأوراق في المحاضرات الزيلعي ، فخر الدين ١/١٣٧

وحدثني علي بن محمد قال: قدم عمرو بن معدي كرب البصرة، فأتى مجاشعا فسأله، فأعطاه اثني عشر ألفا، وسيفا قلصا ودرعا حصيفة وفرسا من بنات الغبراء، وجارية وغلاما، فلما خرج قال له أهل المجلس: كيف رأيت صاحبك يا أبا ثور؟ قال: لله بنو سليم! ما أشد في الهيجاء لقاءها، وأكرم في اللزيات عطاءها، وأثبت في المكرمات بناءها، لقد قاتلتها دهرا فما حبيتها، وهاجيتها فما أفحمتها، وسالمتها فما نحلتها. قال ابن شبه: ويقال إن عمرا قال ولا يعرفه أبو الحسن:." (١)

١٦. "(إني إذا الشاعر المغرور حر بني ... جار لقبر على مروان مرموس)

(قد كان أشوس آباء فأورثنا ... شغبا على الناس في أبنائه الشوس)

(أقصر فإن نزارا لنم يفاخرهم ... فرع لئيم وأصل غير مغروس)

(وابن اللبون إذا ما لز في قرن ... لم يستطع صولة البزل القناعيس)

(قد جربت عركي في كل معترك ... غلب الأسود فما بال الضغابيس)

وكان لعدي بنت تقول الشعر فأتاه يوما ناس من الشعراء ليماتنوه وكان غائبا فسمعت ابنته فخرجت إليهم وقالت

(تجمعتم من كل أوب وبلدة ... على واحد لا زلتم قرن واحد)

فأفحمتهم وقال جرير سمعت عدي بن الرقاع ينشد تزجي أغن كأن إبرة روقه فرحمته من هذا التشبيه وقلت بأي شيء يشبهه ترى فلما قال قلم أصاب من الدواة مدادها رحمت نفسي منه ومن شعر عدي بن الرقاع

(لولا الحياء وأن رأسي قد عسا ... فيه المشيب لزرت أم القاسم)

(وكأنها وسط النساء أعارها ... عينيه أحور من جآذر جاسم)

---

(١) إكمال تهذيب الكمال علاء الدين مغلطاي ٦٨/١١

(وسنان أقصده النعاس فرنقت ... في عينه سنة وليس بنائم)

)

ومنه وقيل إنها لنصيب

(وقد كدت يوم الجزع لما ترنمت ... هتوف الضحى محزونة بالترنم)

(أموت لمبكاها أسى إن عولتي ... ووجدي بسعدى شجوه غير منجم)

(وناحت على عيناء من عين أيكة ... بسرة واد غامر السيل مجثم)

(إذا قومت من غصنه الريح أو هفت ... به مائل الأفنان غير مقوم)

(أرنت عليه والها مستحثة ... بصوت متى ما تسمع العود ترزم)

(فلم أبك من علمي بكاها وقد بكت ... بكى أعولت فيه على غير معلم)

(ولو قبل مبكاها بكيت صبابة ... بسعدى شفيت النفس قبل التندم)." (١)

١٧. "قالوا الطراد! فقلنا تلك عادتنا ... أو ينزلون، فإنا معشر نزل (١)

فائدة: في شرح ديوان الأعشى للآمدي، قال أبو الحرة: وجدت على ظهر كتاب المجاز لأبي عبيدة بخط أبي غسان، رفيع بن سلمة المعروف بديار صاحب أبي عبيدة، وحدثنا به السكري بعد حديثا يرفع إلى الأعشى أنه قال: لما خرجت أريد ابن قيس بن معدي كرب بحضرموت أضللت في أوائل أرض اليمن، لأنني لم أكن سلكت ذلك الطريق، فلما أضللت أصابني مطر، فرميت ببصري كل مرمى، أطلب لنفسي مكانا ألجأ اليه، فوقعت عيني على خباء من شعر، فقصدت نحوه فإذا أنا بشيخ على باب الخباء، فسلمت فرد السلام، وأدخل ناقتي إلى بيت، الى جانب البيت الذي كان جالسا على بابه، وقال: احطط رحلك واسترح! قال: فحططت رحلي، وجاءني بشيء فجلست

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٣٥١/١٩

عليه. قال: من تكون وأين تقصد؟ قلت: أريد قيس بن معدي كرب، قال: أظنك قد مدحته بشعر؟ قلت: نعم. قال: أنشدنيه،

فابتدأت أنشده قولي:

رحلت سمية غدوة أجمالها ... غضبى عليك فما تقول بدا لها

فقال: حسبك! أهذه القصيدة لك؟ قلت: نعم، ولم أكن أنشدته منها إلا بيتا واحدا، فقال: من سمية التي شببت بها؟ فقلت: لا أعرفها، ولكنه اسم ألقى في روعي فاستحسنته فتشببت. فنادى: يا سمية، اخرجي. فإذا جارية خماسية قد خرجت فوقفت وقالت: ما تشاء يا أبة، فقال: أنشدي عمك قصيدتي التي مدحت بها قيس بن معدي كرب وتشببت بك في أولها، فاندفعت فأنشأتها من أولها الى آخرها ما حرفت منها حرفا واحدا، فلما أتمتها قال: انصرفي، فانصرفت.

ثم قال: هل قلت شيأ غير هذه؟ قلت: نعم، كان بيني وبين ابن عم لي يقال له يزيد ابن مسهر، ويكنى أبا ثابت، كما يكون بين بني العم، فهجاني وهجوته فأفحمته، قال: وما قلت فيه؟ قال: قلت قصيدة أولها:

---

(١) في الديوان ٦٣ برواية: (قالوا الركوب ... أو تنزلون ...) وانظر ه ٤ ص ٩٦٥."

(١)

١٨. "- الإعراب كل ابتداء وخبره الوقت الثاني الغريب النائل العطاء وأحيانا جمع حين والوهاب جمع واهب وقد روى على التوحيد على وزن فعال بفتح الواو المعنى يقول ليس الجوده وقت محدود بل يجود كل الأوقات والإنسان إنما يجود حينا بعد حين ٣٦ - الغريب سبك صفى وجمع والخزان جمع خازن والسؤال جمع سائل المعنى يقول أنت الذي جمع الأموال وخلصها وصفاها ثم أعطاها لمن يقصده فكأنهم خزان لها فتسلموها كما يتسلمها الخازن وهو من قول البحتري

(جمل من لها يشككن في القوم ... أهم مجتدوه أم خزانه)

---

(١) شرح شواهد المغني السيوطي ٩٦٨/٢

٣٧ – الإعراب يروى أخليت أي وجدت خاليا ويروى أخليت بفتح الهمزة أي وجدت مكانا خاليا يقال أكذبته صادفته كذابا وأجبنته صادفته جبانا وأفحمته وجدته مفحما والمرتقب الرقيب المعنى يقول أنت رقيب على نفسك فلست تفعل في السر غير الذي تفعله في العلن وهذا من قول عبد الله بن الدمينة

(وإني لأستحييك حتى كأنما ... على بظهر الغيب منك رقيب)

٣٨ – المعنى يقول أنت كريم فوق كل كريم إن استزدتك كرما كنت كمن نبه يقظان لأن النائم هو الذي ينبه واليقظان لا ينبه كذلك أنت لا تستزاد كرما وقوله نام ولم يقل نمت هرب من هذا لما كان في الضمير ذم لم يرده إلى نفسه ولم يؤثر الإخبار به عن نفسه وهذا من أدق ما في شعره وأدله على حكمه واستيلائه على قصب السبق في شعره ولو تأملت شعره وجدت فيه كثيرا من هذا وإذا كان في الضمير مدح أعاده إلى نفسه ألا ترى إلى قوله

(وإني لمن قوم كأن نفوسنا ...)

فأعاد الضمير إليه ولم يقل نفوسهم وهذا عادته في شعره وهو من البلاغة والحذق." (١)

١٩. "(لوث)، ٩/ ٢٩١ (قلف)؛ وتاج العروس ٥/ ٣٥٠ (لوث).

* عشية فر الحارثيون بعدما قضي نحبه في ملتقي القوم هوبر

البيت من الطويل، وهو لذي الرمة في ديوانه ٢/ ٦٤٧؛ وخزانة الأدب ٤/ ٣٧١؛ والدرر ٥/ ٣٧؛ وشرح المفصل ٣/ ٢٣؛ ولسان العرب ٥/ ٢٤٨ (هبر)؛ وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ١٣٢٧؛ والمقرب ١/ ٢١٤، ٢/ ٢٠٥؛ وهمع الهوامع ٢/ ٥١.

لئيم نزت في أنفه خنزوانضة عل الرحم القربي أحذ أباتر

البيت من الطويل، وهو لعبادة بن طهفة في لسان العرب ٤/ ٣٨ (بتر)؛ ولأبي الربيس المازني في التنبيه والإيضاح ٢/ ٨٢؛ وأساس البلاغة (بتر)، (خنزل)؛ وبلا نسبة في لسان العرب ٥/ ٣٤٧ (خنز)؛ وتاج العروس ١٥/ ١٤٢ (خنز)؛ ومقاييس اللغة ١/

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري المِلَطي، عَبْد البَاسِط ٤/٢٣٠

١٩٥؛ وأنظر الشاهد التالي.

شديد وكاء البطن ضب ضغينة على قطع ذي القربي أحذ أباتر

البيت من الطويل، وهو لعبادة بن طهفة في لسان العرب ٤/ ٣٨ (بتر)؛ وتاج العروس ١٠/ ٩٨ (بتر)؛ ومجمل اللغة ١/ ٢٣٥؛ وأنظر الشاهد السابق.

* عنيت قصيرات الحجال ولم أرد قصار الخطي شر النساء البحاتر

البيت من الطويل، وهو لكثير عزة في ديوانه ص ٣٦٩؛ والدرر ٢/ ٢٥؛ ولسان العرب ص ٤/ ٨٥ (بهتر)، ٥/ ٩٩ (قصر)؛ والمعاني الكبير ص ٥٠٥؛ وبلا نسبة في أسرار العربية ص ٤١؛ وشرح المفصل ٦/ ٣٧؛ وهمع الهوامع ١/ ١٠٢.

وحتى تقولوا بعدما يشمت العدا بكم إن أصل الحرب فيها التراتر

البيت من الطويل، وهو لهذيل الأشجعي في أساس البلاغة (ترر).

* وقلت وفي الأحشاء داء مخامر الا حبذا يا عزذ ذاك التساتر

البيت من الطويل، وهو لكثير عزة في ديوانه ص ٥٠٢؛ والدرر ٥/ ٢٢٣؛ وهمع الهوامع ٢/ ٨٩.

أرى حثنا أمسي ذليلا كأنه تراث وخلاه الصعاب الصعاتر

البيت من الطويل، وهو لقيس بن خويلد الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٦٠٦؛ ولسان العرب ١٣/ ١٠٨ (حثن)؛ وتاج العروس (حثن).

وسقت ربيعا بالقناة كأنه قريح سلاح يكتف المشي فاتر

البيت من الطويل، وهو للبيد في ديوانه ص٢١٨ (١)؛ ولسان العرب ٩/ ٢٩٥ (كتف)؛

---

(١) ورواية الصدر فيه:

* فأفحمته حتى استكان كأنه *

وهو بهذه الرواية ينسب للأعشي. أنظر الشاهد التالي.." (١)

---

(١) المعجم المفصل في شواهد العربية طاشْكُبْري زَادَهْ ٢٢٣/٣

٢٠. "وتاج العروس ٢٤/ ٢٩٦ (كتف)؛ وتهذيب اللغة ١٠/ ١٤٥؛ وبلا نسبة في المخصص ٣/ ١٠١.

فأفحمته حتى استكان كأنه قريح سلاح يكتف المشي فاتر

البيت من الطويل، وهو للبيد بن ربيعة في ديوانه ص ٢١٨؛ وللأعشى في لسان العرب ٩/ ٢٩٥ (كتف)؛ وتاج العروس ٢٤/ ٢٩٦ (كتف)؛ وليس في ديوانه. وأنظر الشاهد السابق.

يري البخل بالمعروف كسبا وكسعة أولات الذري بالغبر لكع كناتر

البيت من الطويل، وهو لأبي الربيس الثعلبي (عباد بن طهمة) في تاج العروس ٢٢/ ١٦٤ (لكع).

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد قصار الخطي شر النساء البهاتر

البيت من الطويل، وهو لكثير في ديوانه ص ٣٦٩ (١)؛ والتنبيه والإيضاح ٢/ ٩٠؛ وتاج العروس ١٠/ ٢٥٩ (بهتر)؛ وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٧٤٣؛ وتهذيب اللغة ٦/ ٥٣١؛ وانظر قافية «البحاتر».

وقافية حذاء سهل رويها كسرد الصناع ليس فيها تواتر

البيت من الطويل، وهو لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه ص ١٢٦، ٢٧٢؛ ولسان العرب ٥/ ٢٧٥ (وتر)؛ وتاج العروس ١٤/ ٣٣٩ (وتر).

سمين المطايا يشرب السرب والحسا قمطر كحواز الدحاريج أبتر

البيت من الطويل، وهو للعجير السلولي في لسان العرب ٢/ ٢٦٦ (دحرج)، ٥/ ١١٦ (قمطر)؛ وتهذيب اللغة ٥/ ٣٠٨، ٩/ ٤٠٨؛ وبلا نسبة في لسان العرب ٥/ ٣٤٣ (حوز)؛ وتاج العروس ١٥/ ١٢٧ (حوز).

الناس دأبا في طلاب الثري فكلهم من شأنه الختر

البيت من السريع، وهو لبشر بن المعتمر في لسان العرب ٢/ ٤٤٤ (ربح).

وتكعم كلب الحي من خشية القري ونارك كالعذراء من دونها ستر

البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في لسان العرب ١٢/ ٥٢٢ (كعم)؛ وتاج العروس (كعم).

(١) وفيه «البحاتر» مكان «البهاتر».." [1]

٢١. "فأفحمته حتى استكان كأنه قريح سلاح يكتف المشي قاتر

البيت من الطويل، وهو للبيد في ديوانه ص ٢١٨؛ وكتاب الجيم ٣/ ١٦٦.

ولرب خصم قد شهدت ألدة تغلي صدورهم بهتر هاتر

البيت من الكامل، وهو لثعلب بن صعير المازني في لسان العرب ١٢/ ١٨٠ (خصم)؛ وتاج العروس (خصم).

ضربنا حماة النرسيان بكسكر غداة لقيناهم ببيض بواتر

البيت من الطويل، وهو لعامر بن عمرو في تاج العروس ١٦/ ٥٤٩ (نرس).

ومن دونها قوم حموها أعزة بسمر القنا والمرهفات البواتر

البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في أساس البلاغة (شبو).

حمت كل واد من تهامة واحتمت بصم القنا والمرهفات البواتر

البيت من الطويل، وهو لحسان بن ثابت في ديوانه ص ٣٨٦؛ وأساس البلاغة (حي).

نثرنا عليهم يوم إثبيت بعدما شفينا الغليل بالرماح البواتر

البيت من الطويل، وهو للراعي في ديوانه ص ١٣٥ (١)؛ وتاج العروس ٤/ ٤٧٤ (ثبت)؛ ومعجم البلدان ١/ ٩١ (إثبيت)؛ ومعجم ما استعجم ص ١٠٧ (إثبيت).

على رعلة صهب الذفارى كأنها قطا باص أسراب القطا المتواتر

البيت من الطويل، وهو لذي الرمة في ديوانه ص ١٦٨٠؛ ولسان العرب ٧/ ٨ (بوص)؛ وجمهرة الغة ص ٣٥١؛ وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ١٣١٧؛ والمخصص ٨/ ٤٢.

يزر القطا منها ويضرب وجهه بمختلفات كالقسي النواتر

البيت من الطويل، وهو للشماخ في ديوانه ص ٤٤١؛ ولسان العرب ٥/ ١٩١ (تتر)؛ والتنبيه والإيضاح ٢/ ٢١٠؛ وتاج العروس ١٤/ ١٦٩، ١٧٠ (نتر)؛ وبلا نسبة في المخصص ٦/ ٤٥.

---

(١) المعجم المفصل في شواهد العربية طاشْكُبْري زَادَهْ ٢٢٤/٣

قباء قد لحقت خسيسة سنها واستعرضت ببضيعها المتبتر

البيت من الكامل، وهو لان مقبل في ديوانه ص ١٢٦؛ ولسان العرب ٧/ ١٨٦ (عرض)؛ وتهذيب اللغة ١/ ٤٦٨؛ وتاج العروس ١٨/ ٤٢٠ (عرض)؛ وبلا نسبة في مجمل اللغة ٢/ ١٥٥.

---

(١) وفيه «العواتر» مكان «البواتر»، وكذلك الرواية في معجم البلدان.." [1]

٢٢. "وقال جامع الكتاب: هذا عجيب من ذلك الفاضل، فإنه يفهم من حاشيته أن له اطلاعا وممارسة بشعر العرب، وهذه الأبيات التي هذا البيت منها مشهور.

لأبي نواس في وصف الخمر وأولها:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداء

وبعده قوله:

من كف ذات حر في زي ذي ذكر ... لها محبان لوطي وزناء

الاسطرلاب آلة مشتملة على أجزاء يتحرك بعضها فتحكي الأوضاع الفلكية ويستعلم بها بعض الأحوال العلوية، والساعات المستوية والزمانية، ويستنتج منها بعض الأمور السفلية.

قال أرسطو: القنية ينبوع الأحزان، نظمه أبو الفتح البستي فقال:

يقولون ما لك لا تقتني ... من المال ذخرا يفيد الفتى

فقلت فأفحمتهم في الجواب ... لئلا أخاف ولا أحزنا

حكى الصولي عمن أخبره قال: خرجنا للحج فعرجنا عن الطريق للصلاة، فجاءنا غلام فقال: هل فيكم أحد من أهل البصرة؟ فقلنا كلنا منها فقال: إن مولاي منها وهو مريض يدعوكم، قال: فقمنا إليه، فإذا هو نازل على عين ماء، فلما أحس بنا رفع رأسه وهو لا يكاد يرفعه ضعفا وأنشأ يقول:

شعر

---

(١) المعجم المفصل في شواهد العربية طاشْكُبْري زَادَهْ ٣/٤٥١

يا بعيد الدار عن وطنه ... مفردا يبكي على شجنه

كلما جد الرحيل به ... زادت الأسقام في بدنه

ثم أغمي عليه طويلا، فجاء طائر فوقع على شجرة كان مستظلا بها، وجعل يغرد ففتح عينيه وجعل يسمع التغريد، ثم أنشد:

ولقد زاد الفؤاد شجى ... طائر يبكي على فننه

شفه ما شفني فبكى ... كلنا يبكي على سكنه

ثم تنفس الصعداء فغاضت نفسه، قال: فغسلناه وكفناه، وسألنا الغلام عنه فقال: هذا العباس بن الأحنف وكانت وفاته سنة مائة وثلاث وتسعون ومائة وكان لطيف." (١)

٢٣. ". ثم أكب عمر وعلى بني مازن وهم غارون بقتلهم وقال في ذلك:)

(خذوا حققا مخطمة صفايا ... وكيدي يا محزم ما أكيد)

(قتلتم سادتي وتركتموني ... على أكتافكم عبء جديد)

فأرادت بنو مازن أن يردوا عليهم الدية لما آذهم بحرب فأبى عمرو. وكانت بنو مازن من أعداء مذحج وكان عبد الله أخا كبشة لأبيها وأمها دون عمرو وكان عمر وقد هم بالكف عنهم حين قتل من قتل منهم فركبت كبشة في نساء من قومها وتركت عمرا أخاها وعيرته فأفحمته فأكب عليهم أيضا بالقتل فلما أكثر فيهم القتل تفرقوا فلحقت بنو مازن بصاحبهم مازن بن تميم ولحقت ناشرة ببني أسد وهم رهط الصقعب بن الصحصح ولحقت فالج بسليم ابن منصور. وفالج وناشرة: ابنا أنمار بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة.

وأمهما هند بنت عدس بن يزيد بن عبد الله بن دارم فقال كابية بن حرقوص بن مازن:

(يا ليتني يا ليتني بالبلدة ... ردت علي نجومها فارتدت)

(من كان أسرع في تفرق فالج ... فلبونه جربت معا وأغدت)

(هلا كناشرة الذي ضيعتم ... كالغصن في غلوائه المتنبت)." (٢)

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٥٦/٢

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٦٢/٦

٢٤. "فلما أنشدته هذا المطلع منها قال: حسبك أهذه القصيدة لك قلت: نعم. قال: من سمية التي تنسب بها قلت: لا أعرفها وإنما هو اسم ألقي في روعي. فنادى: يا سمية اخرجي.

وإذا جارية خماسية قد خرجت فوقفت وقالت: ما تريد يا أبت قال: أنشدي عمك قصيدتي التي مدحت بها قيس بن معديكرب ونسب بك في أولها.

فاندفعت تنشد القصيدة حتى أتت على آخرها لم تخرم منها حرفا فلما أتمتها قال: انصرفي.

ثم قال: هل قلت شيئا غير ذلك قلت: نعم كان بيني وبين ابن عم لي يقال له: يزيد بن مسهر ويكنى أبا ثابت ما يكون بين بني العم فهجاني وهجوته فأفحمته. قال: ماذا قلت فيه قال: قلت: ودع هريرة إن الركب مرتحل فلما أنشدته البيت الأول قال: حسبك من هريرة هذه التي نسبت فيها قلت: لا أعرفها وسبيلها سبيل التي قبلها. فنادى: يا هريرة. فإذا جارية قريبة السن من الأولى خرجت فقال: أنشدي عمك قصيدتي التي هجوت بها أبا ثابت يزيد بن مسهر.

فأنشدتها من أولها إلى آخرها لم تخرم منها حرفا. فسقط في يدي وتحيرت وتغشتني رعدة.

فلما رأى ما نزل بي قال: ليفرج روعك يا أبا بصير أنا هاجسك مسحل بن أثاثة الذي ألقى على لسانك الشعر. فسكنت نفسي ورجعت إلي وسكن المطر فدلني على الطريق وأراني سمت مقصدي وقال: لا تعج يمينا ولا شمالا حتى تقع ببلاد قيس.." (١)

٢٥. " (خذوا حققا مخطمة صفايا ** وكيدي يا محزم ما أكيد) (قتلتم سادتي وتركتموني ** على أكتافكم عبء جديد) فأرادت بنو مازن أن يردوا عليهم الدية لما آذتهم بحرب فأبى عمرو . وكانت بنو مازن من أعداء مذحج وكان عبد الله أخا كبشة لأبيها وأمها دون عمرو وكان عمر و قد هم بالكف عنهم حين قتل من قتل منهم فركبت كبشة في نساء من قومها وتركت عمرا أخاها وعيرته فأفحمته فأكب عليهم

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٩٦/٨

أيضا بالقتل فلما أكثر فيهم القتل تفرقوا فلحقت بنو مازن بصاحبهم مازن بن تميم ولحقت ناشرة ببني أسد وهم رهط الصقعب بن الصحصح ولحقت فالج بسليم ابن منصور . وفالج وناشرة : ابنا أنمار بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة .

٢٦. وأمهما هند بنت عدس بن يزيد بن عبد الله بن دارم فقال كابية بن حرقوص بن مازن : (يا ليتني يا ليتني بالبلدة ** ردت علي نجومها فارتدت) (من كان أسرع في تفرق فالج ** فلبونه جربت معا وأغدت) (هلا كناشرة الذي ضيعتم ** كالغصن في غلوائه المتنبت) وقال عمرو في ذلك : تمنت مازن جهلا خلاطي

٢٧. ________________

٢٨. ". (١)

٢٩. "

٣٠. فاندفعت تنشد القصيدة حتى أتت على آخرها لم تخرم منها حرفا فلما أتمتها قال : انصرفي .

٣١. ثم قال : هل قلت شيئا غير ذلك قلت : نعم كان بيني وبين ابن عم لي يقال له : يزيد بن مسهر ويكنى أبا ثابت ما يكون بين بني العم فهجاني وهجوته فأفحمته . قال : ماذا قلت فيه قال : قلت : ودع هريرة إن الركب مرتحل فلما أنشدته البيت الأول قال : حسبك من هريرة هذه التي نسبت فيها قلت : لا أعرفها وسبيلها سبيل التي قبلها . فنادى : يا هريرة . فإذا جارية قريبة السن من الأولى خرجت فقال : أنشدي عمك قصيدتي التي هجوت بها أبا ثابت يزيد بن مسهر .

٣٢. فأنشدتها من أولها إلى آخرها لم تخرم منها حرفا . فسقط في يدي وتحيرت وتغشتني رعدة .

٣٣. فلما رأى ما نزل بي قال : ليفرج روعك يا أبا بصير أنا هاجسك مسحل بن أثاثة الذي ألقى على لسانك الشعر . فسكنت نفسي ورجعت إلي وسكن المطر فدلني

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي – العلمية عبد القادر البغدادي ٦/٣٣٣

على الطريق وأراني سمت مقصدي وقال : لا تعج يمينا ولا شمالا حتى تقع ببلاد قيس
.

٣٤. وروى صاحب الأغاني أيضا أن الأعشى قال هذه القصيدة ليزيد بن مسهر أبي ثابت الشيباني .
٣٥. قال أبو عبيدة : وكان من حديث هذه القصيدة أن رجلا من بني كهف بن سعد بن مالك بن)
٣٦. ضبيعة بن قيس بن ثعلبة يقال له ضبيع قتل رجلا من بني همام
٣٧. ________________________
٣٨. ." (١)
٣٩. "حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه. وإذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه.

قال بعضهم:

بقدر الصعود يكون الهبوط ... فإياك والرتب العالية

وكن في مكان إذا ما سقطت ... تقوم ورجلاك في عافيه

١٨٤ كان أنوشروان يمسك عن الطعام وهو يشتهيه ويقول: نترك ما نحب لئلا نقع فيما نكره. كان سقراط الحكيم قليل الأكل خشن اللباس. فكتب إليه بعض الفلاسفة: أنت تحسب أن الرحمة لكل ذي روح واجبة وأنت ذو روح فلا ترحمها. فكتب له سقراط في جوابه: إنما أريد أن آكل لأعيش. وأنت تريد أن تعيش لتأكل. والسلام.

١٨٥ من كلام بعض الحكماء: إذا طلبت العز فاطلبه بالطاعة. وإذا أردت الغنى فأطلبه بالقناعة. فمن أطاع الله عز نصره. ومن لزم القناعة زال فقره. قال أرسطو: القنية ينبوع الأحزان. نظمه أبو الفتح البستي بقوله:

يقولون مالك لا تقتني ... من المال ذخرا يفيد الغنى

فقلت وأفحمتهم في الجواب ... لئلا أخاف ولا أحزنا

(لبهاء الدين)

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي – العلمية عبد القادر البغدادي ٣٩٩/٨

البطنة

١٨٦ (قالوا) البطنة تذهب الفطنة. رأى أبو الأسود الدولي." (١)

٤٠. "أروى

(٠٠٠ - نحو ٥٠ هـ = ٠٠٠ - نحو ٦٧٠ م)

أروى بنت الحارث بن عبد المطلب القرشية: صحابية اشتهرت بالفصاحة. عاشت إلى زمن معاوية بن أبي سفيان، وكان مقامها بالمدينة، فوفدت عليه إلى دمشق وهي عجوز، فعاقبته على خصومته لعلي بن أبي طالب (ابن عمها) وفاخرته ببني هاشم وفضلتهم على بني أمية، فاعترضها عمرو بن العاص فعيرته بنسبه، وتكلم مروان فأفحمته، فاعتذر لها معاوية عنهما وسألها عن حاجتها فقالت: مالي إليك حاجة! وقامت فخرجت، فقال معاوية لأصحابه: والله لو كلمها من في مجلسي جميعا لأجابت كل واحد بغير ما تجيب به الآخر! وإن نساء بني هاشم لأفصح من رجال غيرهم! وبعث لها قبل رحيلها فأكرمها، وعادت إلى المدينة فتوفيت بها في أيامه (١) .

أروى

(٠٠٠ - نحو ١٥ هـ = ٠٠٠ - نحو ٦٣٦ م)

أروى بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية: عمة رسول الله صلى الله على وسلم وإحدى فضليات النساء في الجاهلية والإسلام. كانت راجحة الرأي، تقول الشعر الجيد. أدركت الإسلام فأسلمت، وعمرت إلى خلافة عمر بن الخطاب (٢) .

الأرياني = علي بن عبد الله ١٣٣١

الأريحاوي = منصور بن محمد ١٠١٦؟

از

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١٢٤/٢

الازجي (الحافظ) = المبارك بن أحمد ٥٤٩

الأزد

(... - ... = ... - ...)

أزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان، من القحطانية:

---

(١) ابن سعد ٨: ٣٤ والإصابة ٨: ٤ والدر المنثور ٢٥.

(٢) ابن سعد ٨: ٢٨ والإصابة ٨: ٥ والدر المنثور ٢٥.." [١]

٤١. "قال الشيخ: يقول: إذا هم الإنسان بأمر ولم يفعله فكأنه لم يهم به، وإذا اجتهد في طلب شيء ولم يدركه، فكأنه ما طلبه، وهذا البيت مخاطبة لغير الممدوح، يقول: كأنك يا إنسان إذا جاودت غيرك فغلبك في الجود لم تجاوده وإذا قابلت من لم تقاومه فكأنك لم تقاومه.

ومن التي أولها:

كفي أراني زيك لومك ألوما ... هم أقام على فؤاد أنجما

قال الشيخ أبو العلاء: النصف الأول يحتمل وجين: أحدهما: أن يكون مستغنيا بنفسه، يقول كفى لومك فإني أراني ألوم منك، أي ألومك أكثر من لومك إياي، وويك كلمة لم يصرف منها فعل، وأصحاب اللغة يزعمون أمن معناها التنبيه على الشيء، كأنهم يريدون ألم تروا في الكتاب العزيز:) ويكأنه لا يفلح الكافرون (فذهب الخليل فيما يرون إلى أنه قال: " وي " على معنى التعجب، ثم قال كأنه لا يفلح الكافرون، وهذا مذهب من يقول: " ويك " بلا أن وقد جاءت مع أن الخفيفة في قول الشاعر:

وي كأن من يكن له نشب يح ... بب ومن يفتقر يعش عيش ضر

فإذا جعلت " وي "كلمة والكاف للخطاب، وجب أن تفتح إذا خوطب بها المذكر وأن تكسر إذا أريد بها التأنيث.

والوجه الآخر من الوجهين الجائزين في النصف الأول: أن يكون متعلقا بالنصف الثاني،

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ١/ ٢٩٠

ويكون هم مرفوعا بقوله أراني، كأنه قال أراني لومك ألومك هم أقام على فؤاد أنجم، في أنجم ضمير يعود على الفؤاد، أي ذهب به كما يذهب السحاب المنجم، فيكون قوله) ألوما (أي أحق باللائمة مني حمل على القول الأول فهم مرفوع بابتداء مضمر، أو فعل أو خبر مقدم كأنه قال: هذا هم أو أصابني هم أو بي هم.

لم تجمع الأضداد في متشابه ... إلا لتجعلني لغرمي مغنما

كصفات أو حدنا أبي الفضل التي ... بهرت فأنطق واصفيه وأفحما

قال الشيخ : يقول: بهرت صفات هذا الممدوح فأنطلق الواصفين فوصفوه حتى فحموا، أي انقطع ملامهم، ويقال بكى الصبي حتى فحم، أي عجز عن البكاء، وقالوا أفحم الشاعر إذا تعذر عليه قول الشعر، ويجب أن يكون أخذ هذا اللفظ من الفحم المعروف، لأنهم يريدون أن الخاطر كان كالنار الموقدة فأنقطع إلى أن صار كالفحم، قال الهذلي.

أصخر بن عبد الله كنت شاعرا ... فإنك لا تهدي القوافي لمفحم

قال ابن فورجة: الأضداد هي الليل والشمس في قوله) شمس النهار تقل ليلا مظلما (ونحافة الغصن وكثافة النقا، في قوله: غصن على تقوى فلاة نابت والمتشابه يريد تشابه حسنها وتمثاله، وهذا كقول الأول:

إني غرضت إلى تناصف وجهها ... غرض المحب إلى الحبيب الغائب

تناصف وجهها أي كونه غير متنافر الحسن، ثم شبه اجتماع تلك الأضداد في الحسن المتشابه بصفات هذا الممدوح، إذ أنطقت الواصفين بحسنها وبهائها، ثم أفحمتهم بعجزهم عن إدراك كنهها، فهذان ضدان قد اجتمعا في صفاته المتشابهة، وجعل الفعل في أنطق وأفحم للممدوح لا للصفات.

يا أيها الملك المصفى جوهرا ... من ذات ذي الملكوت أسمى من سما

قال ابن جني: أي من ذات الله، وبالغ عز الله وعلا، وأسمى هاهنا اسم مضاف إلى من، وموضعه نصب لأنه منادى، فكأنه قال: يا أعلى من علا، وأرفع من ارتفع ويجوز أن يكون موضعه رفعا كأنه قال أنت أعلى من علا.

وقال الشيخ: جعل الممدوح خاصا من جوهر من عز عن الجواهر والأعراض، وخلقها بالإرادة، والقائل لها مذموم وإن رضي الممدوح بذلك، فقد أقدم على أمر يستعظم

والملكوت فعلوت، والتاء في ذات أصلها هاء، ولكنها استعملت مضافة " وأسمى من
سما " في موضع خفض نعت لله سبحانه.
نور تظاهر فيك لا هوتية ... فتكاد تعلم علم ما لن يعلما." [(١)]
٤٢. "الكونيات

والليل أكبر آيات
لله در (١) ذوي التفكير والعبر وراجعوا أنفسا ضلت برمتها (٢) وأفحموا (٣) كل من
يرجوا معاندة حتى أقروا بأن الله موجدهم إلاالأولى مرقوا (٤) كالسهم حين مضى ...
. ... بدقة بحثوا في الكون في البشر إلى الصواب بصدق القول في الخبر دليل عقل مع
الآيات والسور إقرار صدق بما أبدوه من نظر تالله إنهموا في معظم الخطر ... .

----

١ - لله در: جملة استحسان وإعجاب.
٢ - برمتها: جميعها، والرمة بالضم، قطعة حبل يشد بها الأسير أو القاتل الذي يقاد
إلى
القصاص أي يسلم إليهم بالحبل الذي شد به تمكينا لهم منه لئلا يهرب، ثم اتسعوا فيه
حتى
قالوا أخذت الشيء برمته وبزغبره وبجملته أي أخذته كله لم أدع منه شيئا وأخذه برمته
أي
بجماعته.
٣ - أفحموا: أسكتوا: ويقال: كلمته حتى أفحمته إذا أسكته في خصومة أو غيرها
وفي حديث
عائشة مع زينب بنت جحش: (فلم ألبث أن أفحمتها) أي أسكتها.
٤ - مرقوا: خرجوا: ومرق السهم من الرمية يمرق مرقا ومروقا: خرج من الجانب الآخر

(١) تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي محمد الطيب النجار ص/٨٨

ومرق الرجل من دينه ومرق من بيته خرج، وفي الحديث وذكر الخوارج: (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) وفي حديث علي عليه السلام: (أمرت بقتال المارقين) يعني الخوارج، ومنه سميت الخوارج مارقة والمارقة: الذين مرقوا من الدين لغلوهم فيه.." (١)

٤٣. "ترى الغر الجحاجح من قريش ... إذا ما الأمر في الحدثان عالا (١)

قياما ينظرون إلى سعيد ... كأنهم يرون به الهلالا

فقال الحطيئة: هذا والله الشعر، لا ما تعلل به نفسك هذا اليوم، يا غلام أدركت من قبلك، وسبقت من بعدك، وإن طال عمرك لتبرزن، ثم قال له: هل أنجدت أمك يا غلام، قال: لا بل أنجد أبي، فوجده لقنا حاضر الجواب فأعجبه.

وكان للفرزدق نديم يسمى زيادا الأقطع، فأتى بابه، فخرجت له بنية له صغيرة اسمها مكية، فقال لها: ابنة من أنت؟ قالت: ابنة الفرزدق، قال: فما بالك حبشية؟

قالت: فما بال يدك مقطوعة؟ قال: قطعت في حرب الحرورية، قالت: بل قطعت في اللصوصية، فقال: عليك وعلى أبيك لعنة الله، ثم أخبر الفرزدق بالخبر، فقال: أشهد أنها ابنتي حقا، ثم قال: [الرجز]

سام إذا ما كنت محميه ... بدارمي أمه ضبيه

* صمحمح مثل أبي مكيه (٢) *

وقرع باب عدي بن الرقاع جماعة من الشعراء، فخرجت إليهم بنية له صغيرة فقالت: ما تريدون من أبي؟ فقالوا: جئنا لنهاجيه، فقالت: [الطويل]

تجمعتم من كل أوب ووجهة ... على واحد لا زلتم قرن واحد (٣)

فأفحمتهم، ورجعوا بأخزى حالة.

وقال معاوية لعمرو بن سعيد وهو صغير: إلى من أوصى بك أبوك؟ فقال: إن أبي أوصى إلي ولم يوص بي. أخذه بعضهم فقال: [المتقارب]

وكنت النجيب لدى ناجلي ... فأوصى إلي ولم يوص بي

قال يحيى بن يزيد: استنشدت غلاما، فأنشدني أرجوزة، فقلت: لمن هذه؟ فقال:

---

(١) روضة الشعر الهادف المؤلف غير معروف ص/٧٤

لي. فزجزته فأنشأ يقول: [الرجز]

إني وإن كنت صغير السن ... وكان في العين نبو عني

---

(١) البيتان في ديوان الفرزدق ص ٦١٨.

(٢) يروى الرجز:

شاهد إذا ما كنت ذا محميه ... برجل مثل أبي مكيه

وهو للفرزدق في أساس البلاغة (حمي).

(٣) يروى صدر البيت:

تجمعتم من كل أوب وحاضر

وهو لابنة عدي بن الرقاع في الشعر والشعراء ص ٦٢٢، وذيل الأمالي ٣/ ٧٠، والكامل ص ٣٤٣، والأغاني ٩/ ٣٥٤، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ١٠٢٩.." [١]

٤٤. "هاكها من بحر فكري دررا

طالما ظن بها البحر العميق

هل يباري الفصح من منطقه

مفحم شقشقه الفحل الفتيق (١)

فقد كنى الشاعر عن بعض صفاته من علم وثقافة ودراية، مصحوبة بمنطق جيد ورأي سديد لا يباريه فيه أحد.

أو أن يصف أحدهم شدة كرم ممدوحه، كقول الأديب أبي الحسين محمد بن الحسن الوركاني (٢):

كأن الناس بعدك غير ناس

كأن الجود قد سكن الترابا

فمن خواص الكناية هنا إنها مكنته من أن يشفي غلته من خصمه من غير أن يخدش وجه الأدب:

---

(١) شرح مقامات الحريري للشريشي (٦١٩) المؤلف غير معروف ٢٤٢/٣

ذئاب في ثياب فاخرات

ومن يرجو لمكرمة ذئابا

فالذئاب هم (الناس) في البيت السابق، والذئب رمز للخداع والغدر، والذين جاءوا بعد نظام الملك أناس لا يستحقون هذه المناصب، كذلك جاء هذا البيت بكنايته عن الغدر مناسبا جدا لما أحسه الشاعر.

وقول عبد الواسع بن عبد الجامع الجبلي، وفيه كناية لطيفة (٣):

ما روضة تمتص أطفال الثرى

فيها أفاويق الغمام الغاذ (٤)

فلفظة (أطفال) كناية عن العشب الصغير.

---

(١) مفحم: العاجز أمام الحجة الذي لا ينطق، أفحمته: أسكته في خصومة أو غيرها. الفتيق: رجل فتيق اللسان أي: حديد اللسان. (٢) الخريدة – أصفهان ١/ ٢٠٠.

(٣) الخريدة – خراسان ٢/ ٢٩. وينظر: البلاغة الواضحة ص١٣١.

(٤) أفاويق: ما أجتمع من السحاب الذي يمطر ساعة بعد ساعة.." [1]

٤٥. " (وأنوكته) حصين (وأهوجته) إذا وجدته كذلك (وأقهرته) إذا وجدته مقهورا وأنشد :

٤٦. (٤٧٤ تمنى حصين أن يسود جذاعه ... فأمسى حصين قد أذل وأقهرا)

٤٧. وقال الأعشى :

٤٨. (فمضى وأخلف من قتيلة موعدا ...)

٤٩. أي : وجده مخلفا

٥٠. ويقال : هاجيت فلانا (فأفحمته) أي : وجدته مفحما لا يقول الشعر ويقال : خاصمته حتى أفحمته أي قطعته

---

(١) الشعر العربي في بلاد العجم في القرن السادس للهجرة من خلال خريدة القصر المؤلف غير معروف ص/١٨٩

٥١.	وأتيت الأرض ٤٧٥ (فأجدبتها) (وأحييتها) (وأوحشتها) (وأهيجتها)

إذا وجدتها حية النبات وجدبة ووحشة وهائجة النبات وقال رؤبة :

٥٢.	(وأهيج الخلصاء من ذات البرق ...)

٥٣.	أي : وجدها هائجة النبات ." (١)

٥٤.	"أروى بنت الحارث

؟ - ٥٠ هـ / ؟ - ٦٧٠ م

أروى بنت الحارث بن عبد المطلب القرشية.

صحابية اشتهرت بالفصاحة، عاشت إلى زمن معاوية بن أبي سفيان، وكان مقامها بالمدينة، فوفدت عليه إلى دمشق وهي عجوز، فعاتبته على خصومته لعلي بن ابي طالب (ابن عمها) وفاخرته ببني هاشم وفضلتهم على بني أمية، فاعترضها عمرو بن العاص فعيرته بنسبه، وتكلم مروان فأفحمته، فاعتذر لها معاوية عنهما وسألها عن حاجتها فقالت: ما لي إليك حاجة! وقامت فخرجت، فقال معاوية لأصحابه: والله لو كلمها من في مجلسي جميعا لأجابت كل واحد بغير ما تجيب الآخر! وإن نساء بني هاشم لأفصح من رجال غيرهم! وبعث لها قبل رحيلها فأكرمها، وعادت إلى المدينة فتوفيت بها في أيامه.." (٢)

٥٥.	"ولو غيرنا يابن الزبير فخرته ... ولكنما ساميت شمس الأصائل١

قضى لنا رسول الله صلى الله عليه وآله بالفضل في قوله: "ما افترقت فرقتان إلا كنت في خيرهما" فقد فارقناك من بعد قصي٢ بن كلاب، أفنحن في فرقة الخير أم لا؟ إن قلت: نعم، خصمت، وإن قلت: لا، كفرت، فضحك بعض القوم، فقال ابن الزبير: أما والله لولا تحرمك٣ بطعامنا يابن عباس لأعرقت٤ جبينك قبل أن تقوم من مجلسك. قال ابن عباس: ولم أبباطل؟ فالباطل لا يغلب الحق، أم بحق؟ فالحق لا يخشى من الباطل.

فقالت المرأة من وراء الستر: إني والله لقد نهيته عن هذا المجلس، فأبى إلا ما ترون، فقال

---

(١) أدب الكاتب = أدب الكتاب لابن قتيبة ط-أخرى محمد بن موسى الشريف ص/٤٣٤

(٢) معجم الشعراء العرب عبد الناصر بن خضر ميلاد ص/٤٧٥

ابن عباس: مه أيتها المرأة، اقنعي ببعلك، فما أعظم الخطر، وما أكرم الخبر، فأخذ القوم بيد ابن عباس وكان قد عمي، فقالوا: انهض أيها الرجل فقد أفحمته غير مرة، فنهض وقال:

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا ... فلو ترك القطا لغفا وناما٥

فقال ابن الزبير: يا صاحب القطا أقبل علي، فما كنت لتدعني حتى أقول: وايم الله لقد عرف الأقوام أني سابق غير مسبوق، وابن حواري وصديق، متبجح٦ في الشرف الأنيق، خير من طليق٧ وابن طليق، فقال ابن عباس: رسغت

---

١ الأصائل: جمع أصيل، وهو العشي "ما بعد صلاة العصر إلى الغروب".

٢ كان من أولاده عبد العزى بن قصي "ومن سلالته ابن الزبير" وعبد مناف بن قصي "ومن سلالته بنو هاشم".

٣ تحرم منه بحرمة: تمنع وتحمى بذمة.

٤ أي لذكرت لك من المساوئ ما يعرق له جبينك ويندى خجلا.

٥ غفا وأغفى: نام نومة خفيفة.

٦ من تبجح به: إذا افتخر وتعظم، وأرجح أنه "متبحبح" من تبحبح: أي تمكن في المقام والحلول.

٧ يعرض بأبيه العباس بن عبد المطلب، وكان خرج مع المشركين في غزوة بدر الكبرى ووقع أسيرا، وقد أطلقه عليه الصلاة والسلام بعد أن أخذ منه الفدية "ويروى أنه لما طلب منه الفداء قال: علام يؤخذ مني الفداء، وكنت مسلما؟ ولكن القوم استكرهوني، فقال له ﷺ: الله أعلم بما تقول إن يك حقا، فإن الله يجزيك، ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا".." (١)

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ١١٧/٢

٥٧. "فلما أصبحوا جاءت تغلب يقودها عمرو بن كلثوم حتى جلس إلى الملك.
وقال الحارث بن حلزة لقومه: إني قد قلت خطبة فمن قام بها ظفر بحجته، وفلج على خصمه فرواها ناسا منهم، فلما قاموا بين يديه لم يرضهم، فحين علم أنه لا يقوم بها أحد مقامه. قال لهم: والله إني لأكره أن آتي الملك، فيكلمني من وراء سبعة ستور، وينضح أثري بالماء إذا انصرفت عنه، وذلك لبرص كان به، غير أني لا أرى أحدا يقوم بها مقامي، وأنا محتمل ذلك لكم.
فانطلق حتى أتى الملك، فلما نظر إليه عمرو بن كلثوم قال للملك، أهذا يناطقني، وهو لا يطيق صدر راحلته؟ فأجابه الملك حتى أفحمه، وأنشد الحارث قصيدته "آذنتنا ببينها أسماء" وهو من وراء سبعة ستور، وهند تسمع، فلما سمعتها قالت: تالله ما رأيت كاليوم قط رجلا يقول مثل هذا القول يكلم من وراء سبعة ستور.
فقال الملك: ارفعوا سترا ودنا فما زالت تقول ويرفع ستر، فستر حتى صار مع الملك على مجلسه، ثم أطعمه من جفنته، وأمر ألا ينضح أثره بالماء، وجز نواصي السبعين الذين كانوا في يديه من بكر، ودفعها إلى الحارث، وأمر ألا ينشد قصيدته إلا متوضئا. فلم تزل تلك النواصي في بني يشكر بن الحارث، وهو من ثعلبة بن غنم من بني مالك بن ثعلبة.
وأنشد عمرو بن كلثوم قصيدته] .
[وقال عمرو بن كلثوم يذكر أيام بني تغلب ويفتخر بهم] .
يمكن أن يلاحظ المرء في هذه القصة ما يلي: ١- تعاطف عمرو بن هند مع بني بكر منذ البداية حينما وصف حارث بن حلزة.
٢- إن قصيدة الحارث رقيقة لطيفة ولكنها لا تكفل بدفع الحق عن بني بكر فهم الذين دفعوا رجال تغلب إلى الموت لعدم تركهم يشربون.." (١)

(١) شرح المعلقات التسع أبو عمرو الشيباني ص/٣٠٦

٥٨. "ومر هشام بن عبد الملك ببعض أهل الكلفة والفضول، وعليه حلة ذيالة يسحبها في التراب، فقال له المتكلف: يا هذا، إنك قد أفسدت ثوبك. قال: وما يضرك من ذلك؟ قال: ليتك ألقيته في النار. قال: وما ينفعك من ذلك؟ فأفحمه غاية الإفحام.

ولو تهيأ للمتكلفين في كل وقت مثل صرامة هشام لازدجر من به حياء منهم، ولقلت الفضول والكلف والغيبة.

قالوا: وليس من أحد أذل من مغتاب؛ لأنه يخفي شخصه، ويطامن حسه، ويغض من صوته؛ ولا يزيد بما يناله من ذلك إلا بأن يرفع من قدر خصمه ويعظم من شأنه.

قال معاوية: أتدرى من النبيل؟ هو الذي إذا رأيته هبته، وإذا غاب عنك اغتبته.

وهي لعمري سبيل العظماء عند العوام، والملوك عند الرعية، والسادة عند العبيد.

فلم يأخذ المغتاب ممن اغتابه شيئا بعضيهته إياه إلا والذي أعطى من الهيبة عند حضوره أكثر منه.

ولو كان المغتاب لا يستتر من الغيبة إلا ممن يخاف سطوته، كان أعذر. ولكن اللؤم المتمكن منه يحمله على اغتياب عبده وأمته، فضلا عن كفئه ونظيره.." (١)

٥٩. "دهتك بعلة الحمام فوز ... ومال بها الرسول إلى سعيد

أرى أخبار دارك عنك تخفى ... فكيف وليت أخبار البريد

ولما فخم ابن غسطة عظيم الروم شأن ملكه، ثم قال للرسول: هل عندكم بعض ما تعارضوني به؟ قال: نعم، لملكنا أربعون ألف بغل موقوفة على إبلاغ رسائله وأخباره، من واسطة ملكه إلى أقطار سلطانه. فأفحمه.

يعني بغال البريد. قال هذا وحال البرد على غير هذه الحال، ولم يعرفوا توجيه الخرائط في الماء، وعلى أيدي الرجال.

وابن غسطة هو الذي ذكره سلم الخاسر في قصيدته التي مدح فيها الرشيد، قال:." (٢)

---

(١) الرسائل للجاحظ الجاحظ ١٦٤/١

(٢) الرسائل للجاحظ الجاحظ ٢٦٩/٢

٦٠. "هل عندكم بعض ما تعارضوني به؟ قال: نعم، لملكنا أربعون ألف بغل موقوفة على إبلاغ رسائله وأخباره، من واسطة ملكه إلى أقطار سلطانه. فأفحمه.

يعني بغال البريد. قال هذا وحال البرد على غير هذه الحال، ولم يعرفوا توجيه الخرائط «١» في الماء، وعلى أيدي الرجال.

وابن غسطة هو الذي ذكره سلم الخاسر «٢» في قصيدته التي مدح فيها الرشيد، قال:

منع ابن غسطة رأسه بخراجه ... ولقد يكون وما عليه خراج

قالوا: ولما رأى نصر أن يزيد بن عمر يميت أخباره، ليموت ذكره عند الخليفة كتب إليه:

أبلغ يزيد وخير القول أصدقه ... وقد علمت بأن لا خير في الكذب

وكتب إليه:

أرى تحت الرماد وميض نار ... فيوشك أن يكون لها ضرام

فإن النار بالعودين تذكى ... وإن الحرب أولها الكلام

فقلت تعجبا: يا ليت شعري ... أأيقاظ أمية أم نيام

حدثني علي بن المديني، قال: كان يزيد بن زريع «٣» إذا سمع." (١)

٦١. "ألا ترى أن الحارث بن حدان، حين أمر بالكلام عند مقتل يزيد بن المهلب، قال: «أيها الناس، اتقوا الفتنة، فإنها تقبل بشبهة، وتدبر ببيان، وإن المؤمن لا يلسع من جحر تين» ، فضرب بكلام رسول الله ﷺ المثل، ثم قال: «اتقوا عصبا تأتيكم من الشام، كأنها دلاء قد انقطع وذمها» .

وقال ابن الأشعث لأصحابه، وهو على المنبر: «قد علمنا إن كنا نعلم، وفهمنا إن كنا نفهم، أن المؤمن لا يلسع من جحر مرتين، وقد والله لسعت بكم من جحر ثلاث مرات، وأنا أستغفر الله من كل ما خالف الإيمان، واعتصم به من كل ما قارب الكفر»
.

وأنا ذاكر بعد هذا فنا آخر من كلامه ﷺ، وهو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر

---

(١) البغال الجاحظ ص/٥٨

عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف، وكان كما قال الله ﷻ: قل يا محمد: وما أنا من المتكلفين

. فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التقعيب، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق. وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الأفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته.

لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصار، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج «١» إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز «٢» ، ولا يبطىء ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر. ثم لم يسمع الناس." (١)

٦٢. " وقال ابن الاشعث لاصحابه وهو على المنبر قد علمنا ان كنا نعلم وفهمنا ان نفهم ان المؤمن لا يلسع من جحر مرتين وقد والله لسعت بكم من جحر ثلاث مرات وانا استغفر الله من كل ما خالف الايمان وأعتصم به من كل ما قرب من الكفر

٦٣. وأنا اذكر بعد هذا فنا آخر من كلامه وهو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف وكان كما قال الله ﷻ قل يا محمد (وما أنا من المتكلفين) فكيف وقد عاب التشديق وجانب اصحاب التقعير واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر وهجر الغريب الوحشي ورغب عن الهجين السوقي فلم ينطق الا عن ميراث حكمة ولم يتكلم الا بكلام قد حف بالعصمة وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق

---

(١) البيان والتبيين الجاحظ ١٣/٢

٦٤.	وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة بين حسن الافهام وقلة عدد الكلام ومع استغنائه عن اعادته وقلة حاجة السامع الى معاودته لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ولا يلتمس اسكات الخصم الا بما يعرفه الخصم ولا يحتج الا بالصدق ولا يطلب الفلج الا بالحق ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطىء ولا يعجل ولا يسهب ولا يحصر ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا اصدق لفظا ولا أعدل وزنا ولا اجمل مذهبا ولا اكرم مطلبا ولا احسن موقعا ولا اسهل مخرجا ولا افصح عن معناه ولا أبين في فحواه من كلامه كثيرا ولم أرهم يذمون المتكلف للبلاغة فقط بل كذلك يرون المتظرف والمتكلف للغناء ولا يكادون يضعون اسم المتكلف الا في المواضع التي يذمونها قال قيس بن خطيم

٦٥.	(فما المال والأخلاق الا معارة ... فما استطعت من معروفها فتزود)

٦٦.	(واني لأغنى الناس عن متكلف ... يرى الناس ضلالا وليس بمهتد)

٦٧.	وقال ابن قميئة ." (١)

٦٨.	"الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف وكان كما قال الله ﷻ قل يا محمد (وما أنا من المتكلفين) فكيف وقد عاب التشديق وجانب اصحاب التقعير واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر وهجر الغريب الوحشي ورغب عن الهجين السوقي فلم ينطق الا عن ميراث حكمة ولم يتكلم الا بكلام قد حف بالعصمة وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق

وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة بين حسن الافهام وقلة عدد الكلام ومع استغنائه عن اعادته وقلة حاجة السامع الى معاودته لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ولا يلتمس اسكات الخصم الا

---

(١) البيان والتبيين – دار صعب الجاحظ ص/٢٢١

بما يعرفه الخصم ولا يحتج الا بالصدق ولا يطلب الفلج الا بالحق ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطىء ولا يعجل ولا يسهب ولا يحصر ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا اصدق لفظا ولا أعدل وزنا ولا اجمل@." (١)

٦٩. "ومر هشام بن عبد الملك ببعض أهل الكلفة والفضول، وعليه حلة ذيالة يسحبها في التراب، فقال له المتكلف: يا هذا، إنك قد أفسدت ثوبك.

قال: وما يضرك من ذلك؟ قال: ليتك ألقيته في النار. قال: وما ينفعك من ذلك؟ فأفحمه غاية الإفحام.

ولو تهيأ للمتكلفين في كل وقت مثل صرامة هشام لازدجر من به حياء منهم، ولقلت الفضول والكلف والغيبة.

[١١- عودة الى الغيبة]

قالوا: وليس من أحد أذل من مغتاب، لأنه يخفى شخصه، ويطامن حسه، ويغض من صوته، ولا يزيد بما يناله من ذلك إلا بأن يرفع من قدر خصمه ويعظم من شأنه.

قال معاوية: أتدري من النبيل؟ هو الذي إذا رأيته هبته، وإذا غاب عنك اغتبته.

وهي لعمري سبيل العظماء عند العوام، والملوك عند الرعية، والسادة عند العبيد.

فلم يأخذ المغتاب ممن اغتابه شيئا بعضيهته إياه إلا والذي أعطى من الهيبة عند حضوره أكثر منه.

ولو كان المغتاب لا يستتر من الغيبة إلا ممن يخاف سطوته، كان أعذر. ولكن اللؤم المتمكن منه يحمله على اغتياب عبده وأمته، فضلا عن كفئه ونظيره.

ويغتاب الرجل عند عدوه والمشاحن له، مساعدة له بالسخف، وتقربا إليه بالمهانة والضعف، من غير أن يكون له عليه طول، أو يلتمس منه على ما." (٢)

٧٠. "الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف وكان كما قال الله ﷻ قل يا محمد (وما أنا من المتكلفين) فكيف وقد عاب التشديق وجانب اصحاب التقعير واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع

---

(١) البيان والتبيين ط- أخرى الجاحظ ١٧/٢

(٢) الرسائل الأدبية الجاحظ ص/١٠٥

القصر وهجر الغريب الوحشي ورغب عن الهجين السوقي فلم ينطق الا عن ميراث حكمة ولم يتكلم الا بكلام قد حف بالعصمة وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق

وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة بين حسن الافهام وقلة عدد الكلام ومع استغنائه عن اعادته وقلة حاجة السامع الى معاودته لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ولا يلتمس اسكات الخصم الا بما يعرفه الخصم ولا يحتج الا بالصدق ولا يطلب الفلج الا بالحق ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطيء ولا يعجل ولا يسهب ولا يحصر ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا اصدق لفظا ولا أعدل وزنا ولا اجمل@." (١)

٧١. "قال إبراهيم بن شماس: لو تمنيت، كنت أتمنى عقل ابن المبارك وورعه، وزهد فضيل ورقته، وعبادة وكيع وحفظه، وخشوع عيسى بن يونس، وصبر حسين الجعفي، ثم قال: كان وكيع أفقه الناس.

وقال مروان بن محمد الطاطري: ما رأيت أخشع من وكيع، وما وصف لي أحد إلا ورأيته دون الصفة، إلا وكيع فإني رأيته وفق ما وصف لي.

قال سعيد بن منصور: قدم وكيع مكة وكان سمينا، فقال له الفضيل ابن عياض: ما هذا السمن وأنت راهب العراق؟ قال: هذا من فرحي بالإسلام فأفحمه.

قال ابن عمار: ما كان بالكوفة في زمان وكيع أفقه ولا أعلم بالحديث منه.

قال أبو داود: ما روي لوكيع كتاب قط.

وقال أحمد بن حنبل: ما رأت عيني مثل وكيع قط، يحفظ الحديث، ويذاكر بالفقه فيحسن، مع ورع واجتهاد، ولا يتكلم في أحد.

قال حماد بن مسعدة: قد رأيت الثوري، ما كان مثل وكيع.

وقال أحمد بن زهير (١) سمعت يحي بن معين يقول: من فضل عبد الرحمن على وكيع فعليه كذا وكذا- ولعن.

---

(١) البيان والتبيين – ط الخانجي الجاحظ ١٧/٢

قال أبو حاتم: وكيع أحفظ من ابن المبارك.

وقال أحمد بن حنبل: عليكم بمصنفات وكيع.

---

(١) في الأصل: «قال أحمد وزهير سمعنا» تحريف، صوابه في تذكرة الحفاظ للذهبي.

وهو أحمد ابن أبي خيثمة زهير بن حرب الامام أبو بكر الحافظ الحجة، صاحب التاريخ الكبير، ثقة بصير بأيام الناس، راوية للأدب. أخذ علم الحديث عن ابن معين. مات سنة ٢٧٩ (تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/ ٥٩٦).." [١]

٧٢. "قال الله ﷻ: {وتنذر به قوما لدا} (١). وقال: {وهو ألد الخصام} (٢).

وقالت ليلى الأخيلية:

كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ ... بنجد ولم يطلع مع المتغور (٣)

ولم يقدع (٤) الخصم الألد ويملإ ... الجفان سديفا (٥) يوم نكباء صرصر (٦)

السديف شقق السنام، والنكباء الريح بين الريحين لأن الرياح أربع وما بين كل ريحين نكباء فهي ثمان في المعنى فما بين مطلع سهيل إلى مطلع الفجر جنوب.

من وصف العرب للرياح

وإنما تأتي الجنوب من قبل اليمن. قال جرير:

وحبذا تفحات من يمانية ... تأتيك من قبل الريان أحيانا

وإذا هبت من تلقاء الفجر فهي الصبا تقابل القبلة، فالعرب تسميها القبول. قال الشاعر:

إذا قلت هذا حين أسلو يهيجني ... نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر

وإذا أتت من قبل الشام فهي شمال. قال الفرزدق:

مستقبلين شمال الشام تضربنا ... بحاصب كنديف القطن منتور

وهي تقابل الجنوب. وكذلك قال امرؤ القيس:

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ... لما نسجتها من جنوب وشمال

---

(١) طبقات المفسرين للداوودي الذُّهْلي، محمد بن يحيى ٢/ ٣٦٠

(١) سورة مريم: الاية ٩٧.

(٢) سورة البقرة: الاية ٢٠٤.

(٣) المتغور: الذي يقصد الغور وهو كل ما انحدر مغربا عن تهامة.

(٤) قدح الخصم: اعجزه وأفحمه.

(٥) السديف: بالفتح شحم السنام.

(٦) صرصر: الريح الشديدة الباردة. والمقصود هنا: شدة القحط والجفاف.." (١)

٧٣. "وحملهم من عظائم الامور أمرا ليس هينا، وجرهم إلى ما كان التباعد عنه أولى بهم، وأوقعهم في دكادك من نار المرجو من الله أن يتجاوزها لهم ولاصحابهم" (١) .

وهذه النصوص تشير إلى قدم هذه العلاقة التي ابتدأت منذ أيام الطلب، وأخذت تنمو على مرور الايام، فتزيد متانة وصلابة.

وهكذا تكون فكر الحافظ المزي، فهو شافعي المذهب، سلفي العقيدة، أخلص الاخلاص كله لرفيقه ابن تيمية وآرائه التجديدية، وجعله مثله الاعلى، ويظهر ذلك جليا من دراسة سيرتيهما، فقد أوذي المزي بسبب ذلك: أوذي مرة، واختفى مدة من أجل تحديثه بتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢) ، وأوذي ثانية في رجب من سنة (٧٠٥) حينما تناظر ابن تيمية مع الاشاعرة عند نائب السلطنة الافرم، وقرئت عقيدة ابن تيمية الواسطية وحصل البحث في أماكن منها، ثم اضطر المناظرون له إلى قبولها بعد أن أفحمهم شيخ الاسلام، فقعد المزي عندئذ تحت قبة النسر بجامع دمشق، وقرأ فصلا بالرد على الجهمية من كتاب"أفعال العباد"للامام البخاري بعد قراءة ميعاد البخاري، فغضب بعض الفقهاء الشافعية الحاضرون، وقالوا: نحن المقصودون بذلك، وشكوه إلى القاضي الشافعي نجم الدين أحمد بن صصرى، وكان عدوا للشيخ ابن تيمية، فسجن المزي، فبلغ الشيخ تقي الدين ذلك

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ط_أخرى محمد بن يزيد المبرد ٦٨/٢

(١) الطبقات: ١٠ / ٤٠٠ وهذا الكلام جزء من كلامه في هؤلاء الرفقة من الأئمة الاعلام ولاسيما في شيخه الذهبي بحيث قال فيه: والذي أدركنا عليه المشايخ النهي عن النظر في كلامه وعدم اعتبار قوله، ولم يكن يستجري أن يظهر كتبه التاريخية إلا لمن يغلب على ظنه أنه لا ينقل عنه ما يعاب عليه" (الطبقات: ٢ / ١٤ ١٣) ، قال ذلك وشحن كتابه الطبقات من كتب الذهبي إذ كان معتمده الرئيس!

وكان السبكي أشعريا جلدا بحيث قال فيه عز الدين الكناني"ت ٨١٩": هو رجل قليل الادب، عديم الانصاف جاهل بأهل السنة ورتبهم" (الاعلان للسخاوي: ٤٦٩ فما بعد، ومعجم الشافعية لابن عبد الهادي، الورقة: ٤٨ ٤٧ (الظاهرية) ، وانظر مناقشتنا لاقواله في الفصل الذي كتبناه عن"النقد"عند الذهبي من كتابنا: الذهبي ومنهجه، وخاصة: ٤٥٨ فما بعد) .

(٢) أعيان العصر: ١٢ / الورقة: ١٢٤.." [1]

٧٤. "لا يستعين بأحد، ولا على وضوء كان إذا أراد ذلك قام هو.

وقال أبو السائب سلم بن جنادة: جالست وكيع بن الجراح سبع سنين فما رأيته بزق، ولا رأيته مس والله حصاة بيده، ولا رأيته جلس مجلسه فتحرك، وما رأيته إلا مستقبل القبلة، وما رأيته يحلف بالله.

وقال سعيد بن منصور: قدم وكيع مكة حاجا، فرآه الفضيل ابن عياض، وكان وكيع سمينا، فقال الفضيل: ما هذا السمن وأنت راهب العراق؟ فقال له وكيع: هذا من فرحي بالإسلام، فأفحمه.

وقال داود بن رشيد، عن إبراهيم بن شماس السمرقندي: لو تمنيت كنت أتمنى عقل ابن المبارك وورعه، وزهد بن فضيل ورقته، وعبادة وكيع وحفظه، وخشوع عيسى بن يونس، وصبر حسين الجعفي صبر ولم يتزوج ولم يدخل في شيء من أمر الدنيا.

وقال طاهر بن محمد المصيصي: سمعت وكيعا يقول: لو علمت أن الصلاة أفضل من الحديث ما حدثتكم.

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال الزجاج ٢١/١

وقال علي بن الحسين بن الجنيد الرازي، عن محمد بن عبد الله بن نمير: وكيع أعلم بالحديث من ابن إدريس، ولكن ليس مثل ابن إدريس، وكانوا إذا رأوا وكيعا سكتوا يعني في الحفظ والإجلال، وسمع وكيع من سعيد بن أبي عروبة بأخرة.

وقال محمد بن سعد: كان ثقة، مأمونا، عاليا، رفيعا، كثير الحديث، حجة.

وقال العجلي: كوفي، ثقة، عابد، صالح، أديب، من حفاظ الحديث، وكان يفتي.." (١)

٧٥. "تاريخ القرآن: جمعه وتدوينه

أنزل هذا القرآن منجما في بضع وعشرين سنة، فربما نزلت الآية المفردة، وربما نزلت آيات عدة إلى عشر، كما صح عن أهل الحديث فيما انتهى إليهم من طرق الرواية، وذلك بحسب الحاجة التي تكون سببا في النزول، وليثبت به فؤاد النبي ﷺ، فإن آياته كالزلازل الروحية، ثم ليكون ذلك أشد على العرب وأبلغ الحجة عليهم وأظهر لوجه إعجازه وأدعى لأن يجري أمره في مناقلاتهم ويثبت في ألسنتهم ويتسلسل به القول.

ولولا نزوله متفرقا: آية واحدة إلى آيات قليلة، ما أفحمهم الدليل في تحديهم بأقصر سورة منه. إذ لو أنزل جملة واحدة كما سألوا لكان لهم في ذلك وجه من العذر يلبس الحق بالباطل، وينفس عليهم أمر الإعجاز، ويهون في أنفسهم من الجملة بعض ما لا يهون من التفصيل؛ لأنهم قوم لا يقرءون ولا يتدارسون، ولكن الآية أو الآيات القصيرة تنزل في زمن يعرفون مقداره بما ينزل في عقبها ثم هم يعجزون عن مثلها في مثل هذا الزمن بعينه، وفيما يربو عليه ويضعف، وعلى انفساح المدة وتراخي الأيام بعد ذلك إلى نفس من الدهر طويل؛ أمر هو يشبه في مذهب الإعجاز أن يكون دليل التاريخ عليه وأنه ليس في طبعهم ألبتة لا قوة ولا حيلة، فإن العجز عن صنع المادة لا يثبت في التاريخ إلا إذا ثبتت مدة صنعها على وجه التعيين بأي قرينة من القرائن التاريخية.

وبخاصة إذا اعتبرت أن أكثر ما أنزل في ابتداء الوحي واستمر بعد ذلك من لدن كان رسول الله ﷺ يأتي حراء١ فيتحنث فيه الليالي، إلى أن هاجر من مكة، إنما هو من قصار السور، على نسق يترقى إلى الطول في بعض جهاته. وذلك ولا ريب مما تتهيأ

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال الزجاج ٤٨٢/٣٠

فيه المعارضة بادئ الرأي إذا كانت ممكنة؛ لأنه مفصل آيات، ثم لقرب غايته ممن ينشط إلى معارضته والأخذ في طريقته، دون ما يكون ممتد النسق بعيد الغاية، فتصدف النفس عن جملته الطويلة، ويخلف نشاطها فيه؛ لأن للقوة النفسية حدا إذا حملت على ما وراءه كان من طبعها أن تنتهي إلى ما دونه، وهذا أمر يعرفه من يرى شاعرا يعد أبيات القصيدة الرائعة قبل أن يقرأها، أو كاتبا ينظر في أعقاب الرسالة الجيدة ولما يأخذ في أوائلها.

وهلم مما يجري هذا المجرى.

وقد كان ابتداء الوحي في سنة ٦١١ للميلاد بمكة، ثم هاجر منها النبي ﷺ في سنة ٦٢٢ إلى المدينة، فنزل القرآن مكيا ومدنيا. وقد اختلفت الروايات في آخر آية نزلت وتاريخ نزولها، وفي بعضها

---

١ هو جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال منها؛ وكان النبي ﷺ قبل أن يأتيه الوحي يتعبد في غار من هذا الجبل، وفيه ابتدأ الوحي إليه.." (١)

٧٦. "الأقوال في الإعجاز:

واعلم أننا لسنا نلتمس بما نتأتى إليه من هذا الفصل، ونستأني به تعب الكتابة في سرده، ونصبنا له من استقراء مذاهب القوم وآرائهم أن نقيم من ذلك برهانا صحيحا، أو نقدم رأيا صريحا، فإن هذا بعض ما لا يطمع فيه ولا يرد التعب منه شيئا على المباحث يكون فيه مطمع فلقد أبعد القوم في المقايسة وأمعنوا في المذاكرة، وأطالوا في الخصومة، وفخموا ما شاءوا، ومضغوا من الكلام ما ملأ أفواههم، وجاءوا بما هو لعمري فلسفة ومنطق؛ بيد أنهم في كل ذلك إنما توافوا على صنيع واحد من الرد بعضهم على بعض فمن فلج بحجته فقطع خصمه عن المعارضة، وأفحمه دون المناضلة كان الرأي في الإعجاز ما رآه هو، وكان أكبر البرهان على صوابه عجز خصمه عن تخطئته.

وهذه سبيل من الكلام لا يزال أذاها حاضرا، وسالكها حائرا، فإنه ما يندفع إليها رأيان

---

(١) تاريخ آداب العرب محمد بن إسحاق الخراساني ٢/٢٤

متناقضان إلا كان أقواهما معتبرا صوابا بحتا، لا بقوته ولكن بضعف الآخر، وإن كان هو في نفسه خطأ صراحا وفسادا صرفا أو جهلا وإحالة.

وقد مضى أكثر المتكلمين من رءوس الفرق الإسلامية على أن لا يبالوا أن يضربوا بآرائهم صفحا، ولهم في ذلك صلابة يوهمون أنها صلابة أهل الحق وعناد يلتبس باليقين على العامة وأشباه العامة من أتباعهم فلا تنفعهم نافعة حتى يأخذوا بآرائهم وينتحلوها، ثم لا تكون لهم الخيرة من أمرهم بعد ذلك فيما يأخذون وما يدعون.

وقد أسلفنا في غير هذا الموضع أن كل فرقة انشعبت في الإسلام وانبسط لها ظل، فإنما هي عقل رجل ذكي واحد؛ بالغا ما بلغ أتباعها ومنتحلو عقائدها؛ فإن نبغ في هؤلاء عقل آخر انصدعت الفرقة فخرجت منها فرقة ثانية، وهلم جرا.

فالمقر من أولئك كالمنكر من هؤلاء، ما دام سبيل جميعهم من صناعة الكلام، وعلى ناحية المكابرة، وما دام نفي الشك بقوة المنطق كأنه في المنطق إقرار اليقين بقوة الحق فإن سقت الشبهة وبطل الاعتراض -ولو من عجز أو عي أو ما هو في حكمها من عوارض المنطق- فلذلك هو العلم المحض والرأي الصريح، وإلا فما دام للشبهة ظل، وللاعتراض وجه -ولو من المعارضة والمكابرة- فلا قرار لذلك الرأي، ولا ثبوت لذلك العلم، ولا يبلغ الجدال منهما رأيا ولا علما.

وعلى هذه الجهة رأينا كل أقوالهم في إعجاز القرآن: لا يصنعون شيئا دون أن ينكر ويدفع من ينكر من يدفع، فإما أن تتعارض الحجج الكلامية فتسقط بعضها بعضا، وإما أن تقوى واحدة منهن فتسقط الباقيات وتبقى هي كلاما من الكلام لا تصلح لنفي ولا إثبات.

وليس من طلب الحق ليعرفه كالذي يطلبه ليعرف به، فإن الأول ينصف من نفسه كما ينتصف لها، ولكن الثاني خصم لا يريده إلا جدلا وله مع الجدل قوة الحرص على المؤاربة، وشدة الصريحة في المراوغة؛ كيما تنتهي إليه الحجة ويقف عنده البرهان فيكون له الصوت المردد ويصير إليه مرجع." (١)

---

(١) تاريخ آداب العرب محمد بن إسحاق الخراساني ٩٤/٢

٧٧. "استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج١ إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المؤاربة، ولا يهمز ولا يلمز٢، ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر؛ ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا أصدق لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ" ا. هـ.

ولا نعلم أن هذه الفصاحة قد كانت له ﷺ إلا توفيقا من الله وتوقيفا، إذ ابتعثه للعرب وهم قوم يقادون من ألسنتهم، ولهم المقامات المشهورة في البيان والفصاحة؛ ثم هم مختلفون في ذلك على تفاوت ما بين طبقاتهم في اللغات آداب العرب، فمنهم الفصيح والأفصح، ومنهم الجافي والمضطرب، ومنهم ذو اللوثة والخالص في منطقه، إلى ما كان من اشتراك اللغات وانفرادها بيهم، وتخصص بعض القبائل بأوضاع وصيغ مقصورة عليهم، لا يساهمهم فيها غيرهم من العرب، إلا من خالطهم أو دنا منهم دنو المأخذ.
فكان ﷺ يعلم كل ذلك على حقه؛ كأنما تكاشفه أوضاع اللغة بأسرارها، وتبادره بحقائقها؛ فيخاطب كل قوم بلحنهم وعلى مذهبهم، ثم لا يكون إلا أفصحهم خطابا، وأسدهم لفظا، وأبينهم عبارة، ولم يعرف ذلك لغيره من العرب، ولو عرف لقد كانوا نقلوه وتحدثوا به واستفاض فيهم.

ومثل هذا لا يكون لرجل من العرب إلا عن تعليم أو تلقين أو رواية عن أحياء العرب حيا بعد حي وقبيلا بعد قبيل، حتى يفلي لغاتهم، ويتتبع مناطقهم، مستفرغا في ذلك متوفرا عليه، وقد علمنا أنه ﷺ لم يتهيأ له شيء مما وصفنا، ولا تهيأ لأحد من سائر قومه على ذلك الوجه٣ علما ليس بالظن، ويقينا لا مساغ للشبهة فيه؛ إذ ترادفت به طرق الأخبار المتواترة، وكان مصداقه من أحوال العرب أنفسهم؛ فما عرف أن أحدا منهم تقصص اللغات وحفظ ما بينها من فروق الأوضاع واختلاف الصيغ وأنواع الأبنية، واستقصى لذلك يستظهر به عليهم أو ينتحله فيهم؛ بل كانت هذه الأسباب

مقطوعة منهم، لا تجد في الطبيعة ما يمتد بها، أو ينميها، أو يجعل لها عندهم شأنا، أو يبغيها حاجة من الحاجات الباعثة عليها؛ فليس إلا أن يكون ما خص به النبي ﷺ من ذلك قد كان توفيقا وإلهاما من الله، أو ما هذه سبيله، مما لا ننفذ في أسبابه، ولا نقضي فيه بالظن فقد علمه الله من أشياء كثيرة ما لم

---

١ أي: الفوز والظفر.

٢ لا يغتاب ولا يعيب.

٣ قلنا على ذلك الوجه؛ لأن قريشا كانوا أهل تجارة، وكانوا يضربون في الأرض ولهم رحلة الشتاء والصيف، ثم كانت تتوافى إليهم قبائل العرب في الموسم وتختلط بهم في الأسواق، وخاصة في عكاظ، فلا بد أن يكون في ألسنتهم كثير من ألفاظ العرب، ولكن هذا غير ما نحن فيه. فإن رسول الله ﷺ كان يخاطب كل قوم بالغريب من لغتهم، وكان أصحابه لا يفهمون أكثر ذلك، كما ستأتي الإشارة إليه في موضعه.." (١)

٧٨. "الكبراء لأموالهم لا لأحسابهم، حتى قيل فيهم إنهم يمدحون بثمن ويهجون مجانا.... وقد صار الهجاء من يومئذ كما قلنا ضربا من الصناعة ونوعا معدودا من الشعر، وإن لم تكن إجادته في طبع كل شاعر، كما قالوا عن ذي الرمة، فقد كان أحسن الناس نسيبا وأجودهم تشبيها وأوصفهم لرمل، وهاجرة، وفلاة، وماء، وقراد، وحية، فإذا صاء إلى المديح والهجاء خانه الطبع؛ وذلك الذي أخره عن الفحول، فقالوا: في شعره أبعار غزلان ونقط عروس "ص١٤: طبقات".

وأشهر المحدثين بالهجاء على هذا الوصف بشار بن برد، وكان إذا غضب وأراد أن يقول هجاء صفق بيديه وتفل عن يمينه ويساره "ص٢١٠: سرح العيون" ودعبل بن علي الخزاعي، وكان هجاء الملوك جسورا على الخليفة متحاملا لا يبالي ما صنع حتى عرف بذلك وطار اسمه فيه، وكان لذلك يقول عن نفسه إنه يحمل خشبة منذ كذا سنة لا يجد من يصلبه عليها، وابن الرومي علي بن عباس، وكان لسانه أطول من عقله حتى

---

(١) تاريخ آداب العرب محمد بن إسحاق الخراساني ١٨٧/٢

قتله الهجاء، وأكثر إجادته فيه؛ لأنه كان سلك طريقة جرير من الإطالة والإفحاش، فإن جريرا أول من أطال الهجاء، وكان يقول: إذا هجوت فأضحك "ص ١٤٠ ج٢: العمدة" وابن بسام، وكان يهجو أباه وأقاربه، يستن في ذلك سنة الحطيئة الذي هجا أمه، وابن الحجاج البغدادي خبيث العراق؛ وأبو بكر المخزومي هجاء الأندلس في القرن الخامس؛ وكان أعمى شديد الشر كأنه صاعقة، وكان يهجو في كلامه من شعر وغير شعر؛ ويقول عن نفسه: لا تبديل لخلق الله. ومع سبقه في الهجاء كان إذا مدح ضعف شعره "ص٨٩ ج١: نفح الطيب"؛ وابن القطان المتوفى سنة ٤٩٨ ﻫ كان هجاء لم يسلم منه الخليفة فمن دونه، وأبو القاسم [الشميشي] الأندلسي في القرن السادس وقد جمع هجاءه في ديوان سماه "شفاء الأمراض في أخذ الأعراض" وعلي بن حزمون هجاء المغرب في أوائل القرن السابع وكانوا يتدارسون هجاءه حتى لم تخل بلدة في المغرب من شعره "ص١٩٦ المعجب" وابن عنين هجاء مصر في القرن السابع. قال المقري في "نفح الطيب": وله ديوان سماه "مقراض الأعراض" ولكن ابن خلكان وكان معاصرا له ورآه قال: إن المقراض قصيدة طويلة جمع فيها خلقا كثيرا من رؤساء دمشق، وقد نفاه صلاح الدين الأيوبي إلى اليمن لإفحاشه في هجاء الناس، وتوفي سنة ٦٣٠ ﻫ.

فهؤلاء أشهر أهل الهجاء لغلبته على شعرهم وإتيانهم فيه بالأوابد وذهابهم في معاريضه كل مذهب، وهم في المحدثين كالذين عدهم أبو عبيدة في الإسلاميين والجاهليين وإن كان من عداهم كلهم يهجون؛ ومن الشعراء قوم يسمونهم المغلبين وهم الذين غلبوا بالهجاء وإن كان ممن ليسوا إليهم في الشعر ولا قريبا منهم، ومعنى المغلب عندهم الذي لا يزال مغلوبا. قال ابن رشيق: ومنهم نابغة بني جعدة، وقد غلب عليه أوس بن مغراء القريعي وغلبت عليه ليلى الأخيلية.... وقد علم الكافة ما صنع جرير بالأخطل والراعي جميعا.. ومن المغلبين: الزبرقان، غلبه عمرو بن الأهتم وغلبه المخبل السعدي وغلبه الحطيئة، وقد أجاب الاثنين ولم يجب الحطيئة، ومنهم تميم بن أبي مقبل، هجاه النجاشي فقهره وغلب عليه، وهاجى النجاشي عبد الرحمن بن حسان فغلبه عبد الرحمن وأفحمه.... ومن مغلبي المولدين على جلالته بشار بن برد، فإن حماد عجرد وليس

من رجاله ولا أكفائه هجاه فأبكاه ومثل به أشد تمثيل، وعلي بن الجهم هاجى أبا السمط مروان بن أبي الجنوب فغلبه مروان،." (١)

٧٩. "الأحاجي:

هي جمع أحجية، وهي اسم من المحاجاة، ويقال لها أدعية من المداعاة.

قال في "الصحاح" ويقال: حجيك ما كذا وكذا؟ وهي لعبة وأغلوطة يتعاطاها الناس بينهم، قال أبو عبيد: هو نحو قولهم: أخرج ما في يدي ولك كذا؛ وتقول أيضا: أنا حجيك في هذا الأمر، أي: من يحاجيك. وقال في "تاج العروس": واحتجى: أصاب ما حوجي به، وقال:

فناصيتي وراحلتي ورحلي ... ونسعا ناقتي لمن احتجاها

فالأحاجي على ذلك تشبه الأغاليط التي يسميها عامة مصر "بالفوازير" وهي بهذا المعنى أعم من الألغاز، وإن كان الأصل في كلها واحدا.

وهذه الأحاجي غريزية في الفطرة على ما يظهر لي، فإن الطفل الذي هو دليل الطبيعة الأولى في الإنسان يسأل عن أشياء كثيرة بوصفها والإشارة إليها، فإذا سئل هو بمثل ذلك كانت عنده أحاجي، ومما يؤيد ذلك ورود بعض الأحاجي في أسفار العهد [القديم] كسفر القضاة، وشيء مما يماثلها في الخرافات القديمة أيضا "الميثولوجيا" ويكون تقرير هذه المعاني وإخراجها مخرج الموضوعات النفسية مما عمله الحكماء ملحقا بالنرد والشطرنج وأمثالهما.

وأقدم ما وصل إلينا من أحاجي العرب نوع كان يستعمل في اختبار البداهة وقوة العارضة، فيلقي السائل الكلمة المفردة والمسئول يتمها في كل مرة حتى يحتبس لسانه أو يكل بيانه، كهذا الذي نقلوه عن هند بنت الخس وهي قديمة في الجاهلية أدركت المتلمس أحد حكام العرب الذي يقال إنه أول من وصل الوصيلة وسيب السائبة، وهي امرأة ساجعة متبذلة كانت تحاجي الرجال، إلى أن مر بها رجل فسألته المحاجاة؛ فقال: كاد.... فقالت: كاد العروس يكون الأمير، فقال: كاد.... قالت: كاد المنتعل

(١) تاريخ آداب العرب محمد بن إسحاق الخراساني ٦٢/٣

يكون راكبا، فقال: كاد ... قالت: كاد البخيل يكون كلبا، وانصرف، فقالت له: أحاجيك، فقال: قولي، قالت: عجبت ... قال: عجبت للسبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها، فقالت: عجبت ... قال: عجبت للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها ... ثم أفحمها بكلمة بذيئة فخجلت وتركت المحاجاة.

ولكن الحريري المتوفى سنة ٥١٦ ه وضع نوعا من المعمى استعار له اسم الأحجية، وهو أول من اخترعه وسماه كذلك، وقد نظم منه في المقامة السادسة والثلاثين عشرين أحجية، وقال: وضع الأحجية لامتحان الألمعية، واستخراج الخبية الخفية، وشرطها أن تون ذات مماثلة حقيقية وألفاظ معنوية ولطيفة أدبية فمتى نافت هذا النمط ضاهت السقط ولم تدخل السفط ا. ه.

وذلك النوع كلام مركب يستخرج منه لفظ بسيط لو جزئ انقسم إلى ما يعادل ذلك المركب في أجزائه ويرادفها في المعنى، كقوله في أسكوب١:

يا من تبوأ ذروة ... في الفضل فاقت كل ذروه

ما مثل قولك أعط إبريـ ... قا يلوح بغير عروه

لأن "أعط" يرادفها "أس" من الأوس [وهو الإعطاء] والإبريق بغير عروة يرادفه الكوب.

وقوله أبي الوفاء العرضي في صهباء:

يا مفردا فيما جمع ... وكاملا فيما ابتدع

بين لنا أحجية ... حاصلها أسكت رجع

وقد فلا المتأخرون مركبات اللغة التي يستخرج منها مثل هذه الألفاظ وجمعوا من ذلك كلمات

---

١ قلت: الأسكوب: الإسكاف، أو القين.." (١)

٨٠. "وكان دميما فأنكره فقال: يا اعرابى! اين ربك؟ قال: بالمرصاد فأفحمه.

هنأ رجل رجلا في يوم فطر فقال: قبل الله منك الفرض والسنة، واستقبل بك الخير

---

(١) تاريخ آداب العرب محمد بن إسحاق الخراساني ٣/٢٦٩

والنعمة.

قال: أمر ملك من الملوك بقتل رجل فقال: ايها الملك ان قتلتني وأنا صادق في عذرى عظم عنتك، وإن تركتنى وأنا كاذب قل وزرك وأنت وراء ما تريد، والعجلة موكل بها الزلل، فعفا عنه.

كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج في ايام ابن الأشعث: إنك اعز ما تكون بالله احوج ما تكون اليه فاذا عززت بالله فاعف له فانك به تعز وإليه ترجع.

قال: دخل الشعبي على ابن هبيرة وبين يديه رجل يريد قتله فقال: اصلح الله الأمير انك على رد ما لم تفعل اقدر منك على رد ما فعلت، فقال: صدقت يا شعبى ردوه الى محبسه.

باب

قال: دعا اعرابى فقال: اللهم إن كان وجهى قد اخلق عندك لكثرة ذنوبى فانى اسألك بجدة وجهك الا وهبتنى لمن أحببت من عبادك.

قال: دعا اعرابى: اللهم إنى اعوذ من فقر ملب (١) ومن ضرع الى غير محب.

وقال آخر: اللهم إنى أعوذ بك من الفقر الا اليك، ومن الذل الا لك. قال: دعا اعرابى فقال: اللهم سل قلبى عن شىء لا أتزوده اليك، ولا أنتفع به يوم القاك، واولى رجل أعرابيا بلاء حسنا، فقال: لا ابتلاك الله ببلاء يعجز عنه صبرك، وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك.

قال: ودعا أعرابى فقال: استغفر الله لا اصر ولا استكبر ولا استحسر اللهم إن بى اليك لفقرا وإن بك على لقدرا، اللهم غفرا، وقال: اللهم

---

(١) في هامش نسخة المتحف: مكب.." (١)

٨١. "البيت للفرزدق، من قصيدة يعلن فيها رجوعه عن الفسق وزور الكلام من الهجاء.

---

(١) المجتنى ابن دريد ص/٤٤

وقوله: ألم تريني: تنصب مفعولين، لأنها قلبية. وجملة إنني - بكسر الهمزة حال من التاء في عاهدت. وبين: خبر إن. وقائما: حال من فاعل متعلق الظرف، ومقام معطوف على رتاج، وهو الباب المغلق، والباب العظيم، وأراد به باب الكعبة، والمقام: مقام إبراهيم. والبيت سبق مع أخيه، بقافية (زور كلام). [شرح أبيات مغني اللبيب ج ٦/ ٢٤١،

وشرح المفصل ج ٢/ ٥٩ وج ٦/ ٥٠، والخزانة ج ١/ ٢٢٣ وج ٤/ ٤٦٣].

٤٩٣ - لا ينعش الطرف إلا ما تخونه ... داع يناديه باسم الماء مبغوم

البيت لذي الرمة. ومضى الكلام عليه في حرف الميم المضمومة، (مبغوم) وإنما أعدته في الميم المجرورة، لأنه جاء في الأشموني كذلك (مبغوم) والصحيح أنه مرفوع.

وهو في الخزانة ج ٤/ ٣٤٤، وشرح المفصل ج ٣/ ١٤، والأشموني/ ٣/ ٢١٢.

٤٩٤ - وما يشعر الرمح الأصم كعوبه ... بثروة رهط الأعيط المتظلم

البيت للنابغة الجعدي. أي: من كان عزيزا كثير العدد فالرمح لا يشعر به ولا يباليه، بقوله متوعدا والثروة: كثرة العدد، وكثرة المال. والأعيط: الطويل. والمراد: المتطاول كبرا. والمتظلم: الظالم. ويروى أنه لما قال هذا، أجابه المتوعد: لكن حامله يشعر فيقدمه يا أبا ليلى، فأفحمه.

والشاهد: رفع «كعوبه» بالأصم، وإفراده تشبيها له بما يسلم جمعه من الصفات، وكان وجه الكلام أن يقول «الصم» لأن أصم لا يجمع جمع السلامة. [سيبويه/ ٢/ ٤٢، هارون، واللسان، عيط وظلم].

٤٩٥ - وإني لأطوي الكشح من دون ما انطوى ... وأقطع بالخرق الهبوع المراجم

البيت غير منسوب. والخرق: الصحراء. والهبوع: يقال: هبع بعنقه هبعا وهبوعا فهو هابع - وهبوع: إذا استعجل واستعان بعنقه. وأصل الكلام: أقطع الخرق بالهبوع. قال ابن منظور: إنما أراد وأقطع الخرق بالهبوع، فأتبع الجر الجر. وقال السيوطي: يجوز فصل

الجار من مجروره، للضرورة، بالمفعول به. وأنشد البيت أي: وأقطع الخرق بالهبوع.

[اللسان – هبع، والهمع ج ٢/ ٣٧]..» (١)

٨٢. «انتحال العلم

قال بعض الحكماء: لا ينبغي لأحد أن ينتحل العلم، فإن الله ﷻ يقول:

وما أوتيتم من العلم إلا قليلا

«١» وقال ﷻ: وفوق كل ذي علم عليم

. «٢»

وقد ذكر عن موسى بن عمران عليه السلام، أنه لما كلمه الله تعالى تكليما، ودرس التوراة وحفظها، حدثته نفسه أن الله لم يخلق خلقا أعلم منه، فهون الله إليه نفسه بالخضر عليه السلام.

وقال مقاتل بن سليمان وقد دخلته أبهة العلم: سلوني عما تحت العرش إلى أسفل من الثرى. فقام إليه رجل من القوم فقال: ما نسألك عما تحت العرش ولا أسفل من الثرى، ولكن نسألك عما كان في الأرض وذكره الله في كتابه: أخبرني عن كلب أهل الكهف، ما كان لونه؟ فأفحمه.

وقال قتادة: ما سمعت شيئا قط ولا حفظت شيئا قط فنسيته. ثم قال: يا غلام، هات نعلي. فقال: هما في رجليك. ففضحه الله.

وأنشد أبو عمرو بن العلاء في هذا المعنى:

من تحلى بغير ما هو فيه ... فضحته شواهد الإمتحان

وفي هذا المعنى:

من تحلى بغير ما هو فيه ... شان ما في يديه ما يدعيه

وإذا قلل الدعاوى لما في ... ه أضافوا إليه ما ليس فيه

ومحل الفتى سيظهر للنا ... س وإن كان دائبا يخفيه

وبحسب الذي ادعى ما عداه ... أنه عالم بما يفتريه.» (٢)

---

(١) شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية أحمد بن بجير ١٨٧/٣

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٨٦/٢

٨٣. "قال معاوية يوما: أيها الناس، إن الله فضل قريشا بثلاث: فقال لنبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : وأنذر عشيرتك الأقربين

«١» ، فنحن عشيرته؛ وقال: وإنه لذكر لك ولقومك

«٢» ، فنحن قومه؛ وقال: لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف

«٣» ، ونحن قريش! فأجابه رجل من الأنصار فقال: على رسلك يا معاوية، فإن الله يقول:

وكذب به قومك

«٤» ، وأنتم قومه؛ وقال: ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون

«٥» ، وأنتم قومه، وقال الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا

«٦» ، وأنتم قومه؛ ثلاثة بثلاثة، ولو زدتنا لزدناك! فأفحمه.

وقال معاوية لرجل من اليمن: ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة! فقال: أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله ﷺ: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم

«٧» ، ولم يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه.

مجاوبة الأمراء والرد عليهم

قال معاوية لجارية بن قدامة: ما كان أهونك على أهلك إذ سموك جارية. قال: ما كان أهونك على أهلك إذ سموك معاوية، وهي الأنثى من الكلاب. قال: لا أم لك! قال: أمي ولدتني للسيوف التي لقيناك بها في أيدينا. قال: إنك لتهددني! قال: إنك لم تفتتحنا قسرا ولم تملكنا عنوة، ولكنك أعطيتنا عهدا وميثاقا وأعطيناك سمعا وطاعة، فإن وفيت لنا وفينا لك، وإن فزعت إلى غير ذلك، فإنا تركنا وراءنا رجالا شدادا وألسنة حدادا.." (١)

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٤/١١٢

٨٤. "جمعتها، وهي تعتد في أكثر من خمسة آلاف. قال له: محمد بن الفضل: إن كثرة عددها ليس يخرج من عنقك فضل واحدها.

زياد ومعاوية:

فخر مولى زياد بزياد عند معاوية؛ فقال له معاوية: اسكت، فوالله ما أدرك صاحبك شيئا بسيفه إلا أدركت أكثر منه بلساني.

الأحوص ومخزومي:

وقال رجل من مخزوم للأحوص بن عبد الله الأنصاري: أتعرف الذي يقول:

ذهبت قريش بالمكارم كلها ... والذل تحت عمائم الأنصار؟

قال: لا، ولكني أعرف الذي يقول:

الناس كنوه أبا حكم ... والله كناه أبا جهل

أبقت رياسته لأسرته ... لؤم الفروع ورقة الأصل

قريش وقيس:

سأل رجل من قريش رجلا من بني قيس بن ثعلبة: ممن أنت؟ قال: من ربيعة. قال له القرشي: لا أثر لكم ببطحاء مكة. قال القيسي: آثارنا في أكناف الجزيرة مشهورة، ومواقفنا في يوم ذي قار معروفة؛ فأما مكة فسواء العاكف فيه والباد كما قال الله ﷻ. فأفحمه.

الأشعث وشريح:

قال الأشعث بن قيس لشريح القاضي: لشد ما ارتفعت. قال: فهل ضرك؟ قال: لا. قال: فأراك تعرف نعمة الله على غيرك وتجهلها على نفسك.

سليمان ويزيد ابن المهلب:

قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب: فيمن العز بالبصرة؟ قال: فينا وفي." (١)

٨٥. "أهلا بذلكم الخيال المقبل ... فعل الذي نهواه أو لم يفعل

ثم وصف الفرس فقال:

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٣٧/٤

وأغر في الزمن البهيم محجل ... قد رحت منه على أغر محجل

كالهيكل المبني إلا أنه ... في الحسن جاء كصورة في هيكل

يهوي كما تهوي العقاب إذا رأت ... صيدا وينتصب انتصاب الأجدل

متوجس برقيقتين كأنما ... يريان من ورق عليه موصل

وكأنما نفضت عليه صبغها ... صهباء اللبردان أو قطربل

ملك العيون فإن بدا أعطينه ... نظر المحب إلى الحبيب المقبل

ما إن يعاف قذى ولو أوردته ... يوما خلائق حمدويه الأحول

وكان هذا عدوا للذي مدحه. فحدثني عبد الله بن الحسين وقد اجتمعنا بقرقيسياء قال، قلت للبحتري: إنك احتذيت في شعرك – يعني الذي ذكرناه – أبا تمام، وعملت كما عمل من المعنى، وقد عاب هذا عليك قوم، فقال لي: أيعاب على أن أتبع أبا تمام، وما عملت بيتا قط حتى أخطر شعره ببالي؟ ولكنني أسقط بيت الهجاء من شعري. قال: فكان بعد ذلك لا ينشده، وهو ثابت في أكثر النسخ.

حدثني محمد بن سعيد أبو بكر الأصم قال، حدثني أحمد بن أبي فنن قال: حضرت أبا تمام وقد وصل بمائتي دينار، فدفع إلى رجل عنده منها مائة، وقال: خذها. ثم قيل لي إنه صديق له، واستبنت منه خلة فعذلته على إعطائه ما أعطى، وقلت: لو كان شقيقك ما عذرتك مع اضطراب حالك، فقال:

ذو الود مني وذو القربي بمنزلة ... وإخوتي أشوة عندي وإخواني

عصابة جاورت آدابهم أدبي ... فهم وإن فرقوا في الأرض جيراني

أرواحنا في مكان واحد وغدت ... أجسامنا لشآم أو خراسان

قال ابن أبي فنن: وكان أبو تمام أحضر الناس خاطرا. وقد أجاد هذا المعنى إبراهيم بن العباس الصولي فقال:

أميل مع الذمام على ابن عمي ... وأقضي للصديق على الشقيق

افرق بين معروفي ومني ... وأجمع بين مالي والحقوق

وإما تلقني حرا مطاعا ... فإنك واجدي عبد الصديق

حدثني أبو الحسن الأنصاري قال، حدثني ابن الأعرابي المنجم قال: كان أبو تمام إذا

كلمه إنسان أجابه قبل انقضاء كلامه، كأنه كان علم ما يقول فأعد جوابه، فقال له رجل: يا أبا تمام. ولم لا تقول من الشعر ما يعرف؟ فقال: وأنت لم لا تعرف من الشعر ما يقال؟ فأفحمه. وحدثني أبو الحسين الجرجاني قال: الذي قال له هذا أبو سعيد الضرير بخراسان، وكان هذا من علماء الناس، وكان متصلا بالطاهرية. ولا أعرف أحدا بعد أبي تمام أشعر من البحتري، ولا أغض كلاما، ولا أحسن ديباجة، ولا أتم طبعا وهو مستوى الشعر، حلو الألفاظ، مقبول الكلام، يقع على تقديمه الإجماع، وهو مع ذلك يلوذ بأبي تمام في معانيه. فأي دليل على فضل أبي تمام ورياسته يكون أقوى من هذا؟.

قال أبو تمام:

يستنزل الأمل البعيد ببشره ... بشرى المخيلة بالربيع المغدق

وكذا السحائب قلما تدعو إلى ... معروفها الرواد ما لم تبرق

فحسن هذا المعنى وكمله، ثم أوضحه في مكان آخر واختصره فقال:

إنما البشر روضة فإذا أعقب بذلا فروضة وغدير

فما زال البحتري يردد هذا المعنى في شعره، ويتبع أبا تمام فيه، ويقع في أكثره دونه، قال في قصيدة يمدح بها رافعا:

كانت بشاشتك الأولى التي ابتدأت ... بالبشر ثم اقتبلنا بعدها النعما

كالمزنة استوبقت أولى مخيلتها ... ثم استهلت بغزر تابع الديما." (١)

٨٦. "من أعقل الناس، لو أن الناس (١) ألقوا في عقله لغرقوا في عقله. وكان لا يأخذ في شيء إلا تقول: هذه صناعته. إذا أخذ في الشعر والعربية تقول: هذه صناعته،، وإذا أخذ في أيام العرب تقول: هذه صناعته. كان يناظر الرجل فلا يزال يناظره حتى يقطعه، ثم يقول لمناظره: تقلد أنت الآن قولي، وأتقلد قولك. فيتقلد المناظر قوله، ويتقلد الشافعي قول المناظر، فلا يزال يناظره حتى يقطعه.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: أخبرني عبد الله بن أحمد البستي، حدثنا أبو نعيم،

---

(١) أخبار أبي تمام الصولي ص/٣

حدثنا إسحاق بن أبي عمران، قال: سمعت قتيبة بن سعيد يقول: حدثنا الحميدي، قال:

اجتمع الشافعي ومحمد بن الحسن بمكة، فناظر محمد الشافعي، فقال محمد بن الحسن: إن تابعتك لا أقوى بك، وإن خالفتك لا أقوى بك.

قال قتيبة: ورأيت الشافعي وهو شاب آدم.

ورواه أبو الحسن العاصمي، عن أبي نعيم بإسناده، وزاد فيه: وكان الشافعي يدخل على محمد بن الحسن حتى أفحمه. ثم قال محمد ما قال.

ورواه أبو عبد الله: محمد بن إبراهيم البوشنجي، عن قتيبة بن سعيد، عن الحميدي، قال:

رأيت الشافعي ومحمد بن الحسن تناظرا، فألقى عليه الشافعي مسألة، فأجابه،

---

(١) في ح: «الخلق».." (١)

٨٧. "لعمر أبي، دين يفرق بيننا ... وبينك قسرا إنه لعظيم

وقال حجر بن معاوية بن عيينة بن حصن بن حذيفة لمنظور:

/لبئس ما خلف الآباء بعدهم ... في الأمهات عجان [١] الكلب منظور

قد كنت تغمزها والشيخ حاضرها ... فالآن أنت بطول الغمز معذور

تزوجت ابنته خولة الحسن بن علي بعد موت زوجها

قال أبو الفرج الأصبهاني [٢]: أخطأ ابن الكلبي في هذا. وإنما طلحة بن عبيد الله الذي تزوجها؛ فأما محمد فإنه تزوج خولة بنت منظور فولدت له إبراهيم بن محمد وكان أعرج، ثم قتل عنها يوم الجمل، فتزوجها الحسن بن علي عليهما السلام، فولدت له الحسن بن الحسن عليهما السلام. وكان إبراهيم بن محمد بن طلحة نازع بعض ولد الحسين بن علي بعض ما كان بينهم وبين بني الحسن من مال علي عليه السلام، فقال الحسيني لأمير المدينة: هذا الظالم الضالع الظالع [٣] - يعني إبراهيم - فقال له إبراهيم: والله [٤] إني لأبغضك.

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي الفاكهي، أبو محمد ١/١٧٩

فقال له الحسيني: صادق، والله يحب الصادقين، وما يمنعك من ذلك وقد قتل أبي أباك وجدك، وناك عمي أمك؟ - لا يكني - فأمر بهما فأقيما من بين يدي الأمير.

لقي مليكة بعد فراقها فتعرض لها ولزوجها

رجع الخبر إلى رواية ابن الكلبي قال: فلما فرق عمر ﵁ بينهما وتزوجت رآها منظور يوما وهي تمشي في الطريق - وكانت جميلة رائعة الحسن - فقال: يا مليكة، لعن الله دينا فرق بيني وبينك! فلم تكلمه وجازت، وجاز بعدها زوجها؛ فقال له منظور: كيف رأيت أثر أيري في حر مليكة؟ قال: كما رأيت أثر أير أبيك فيه، فأفحمه. وبلغ عمر ﵁ الخبر فطلبه ليعاقبه، فهرب منه.

رجع إلى زواج ابنته خولة بالحسن

وقال الزبير في حديثه: فتزوج محمد بن طلحة بن عبيد الله خولة بنت منظور فولدت له إبراهيم وداود وأم القاسم بني محمد بن طلحة، ثم قتل عنها يوم الجمل، فخلف عليها الحسن بن علي بن أبي طالب ﵉، فولدت له الحسن بن الحسن ﵄.

/ قال الزبير: وقال محمد بن الضحاك الحزامي عن أبيه:

تزوج الحسن ﵇ خولة بنت منظور، زوجه إياها عبد الله بن الزبير وكانت أختها تحته.

وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثني يحيى بن الحسن قال حدثني موسى بن عبيد الله [٥] بن الحسن قال:

---

[١] العجان: الآست.

[٢] في ف: «قال مؤلف هذا الكتاب».

[٣] الضالع: الجائر، والظالع: المتهم.

[٤] في ف: «الله يعلم أني أبغضك».

[٥] في ط، ف: «عبد الله».." (١)

---

(١) الأغاني (٣٥٦) أبو الفرج الأصبهاني ٤٠٨/١٢

٨٨. "استهزأ به رجل فرد علهى فأفحمه وقال في ذلك شعرا

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال:

كان طريق أبي الأسود الدؤلي إلى المسجد والسوق في بني تيم الله بن ثعلبة وكان فيهم رجل متفحش يكثر الاستهزاء بمن يمر به، فمر به أبو الأسود الدؤلي يوما/ فقال لقومه: كأن وجه أبي الأسود وجه عجوز راحت إلى أهلها بطلاق، فضحك القوم، وأعرض عنهم أبو الأسود. ثم مر به مرة أخرى، فقال لهم: كأن غضون قفا أبي الأسود غضون الفقاح [١]. فأقبل عليه أبو الأسود فقال له: هل تعرف فقحة أمك فيهن؟ فأفحمه، وضحك القوم منه، وقاموا إلى أبي الأسود، فاعتذروا إليه مما كان، ولم يعاوده الرجل بعد ذلك، وقال فيه أبو الأسود بعد ذلك حين رجع إلى أهله:

وأهوج ملجاج تصاممت قبله ... أن اسمعه وما بسمعي من باس

ولو شئت قد أعرضت حتى أصيبه ... على أنفه حدباء تعضل بالاسي [٢]

فإن لساني ليس أهون وقعة ... وأصغر آثارا من النحت بالفاس

وذي إحنة لم يبدها غير أنه ... كذي الخبل تأبى نفسه غير وسواس [٣]

صفحت له صفحا جميلا كصفحه ... وعيني - وما يدري - عليه وأحراسي [٤]

/و عندي له إن فار فوار صدره ... فما جبلي لا يعاوده الحاسي

وخب لحوم الناس أكثر زاده ... كثير الخنا صعب المحالة هماس [٥]

تركت له لحمي وأبقيت لحمه ... لمن نابه من حاضر الجن والناس

فكر قليلا ثم صد كأنما ... يعض بصم من صفا جبل راسي [٦]

خبره مع أعرابي جاء يسأله

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني قال:

خرج أبو الأسود الدؤلي ومعه جماعة أصحاب له إلى الصيد، فجاءه أعرابي فقال له: السلام عليك. فقال له أبو الأسود: كلمة مقولة. قال: أدخل؟ قال: وراؤك أوسع لك. قال: إن الرمضاء قد أحرقت رجلي، قال: بل عليها أو ائت الجبل يفيء عليك. قال: هل عندك شيء تطعمنيه؟ قال: نأكل ونطعم العيال، فإن فضل شيء فأنت

[١] الفقاح: جمع فقحة وهي حلقة الدبر.

[٢] حدباء: صعبة شديدة، الآسي: المداوي. أعضل به الأمر: ضاقت عليه الحيل فيه.

[٣] الإحنة: الضغينة والعداوة.

[٤] الفحا: تواب القدور كالفلفل والكمون ونحوهما.

[٥] الخب: الخداع.

[٦] صم: جمع أصم وهو الحجر الصلب المصمت. وفي الأصول «من صدى» وهو تحريف.." (١)

٨٩. "يا معشر العاشقين أنتم ... بالمنزل الأرذل الخسيس

يزيد أضحى لكم رئيسا ... فاتبعوا منهج الرئيس

من رام بلا لرأس أير ... ذلل نفسا بحل كيس [١]

هجاؤه للجماز وأبي قلابة

/ أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني يزيد بن محمد المهلبي، قال: بلغ عبد الصمد بن المعذل أن أبا قلابة الجرمي تدسس إلى الجماز لما بلغه تعرضه له، وهجاؤه إياه، فحمله على الزيادة في ذلك، ويضمن له أن ينصره ويعاضده، وقد كان عبد الصمد هجا أبا قلابة حتى أفحمه، فقال عبد الصمد فيهما:

يا من تركت بصخرة ... صماء هامته أميمه [٢]

إن الذي عاضدته ... أشبهته خلقا وشيمه [٣]

وكفعل جدتك الحدي ... ثة فعل جدته القديمه

فتناصرا، فابن اللئي ... مة ناصر لابن اللئيمه

عتابه لصديق ارتفعت حاله

حدثني جعفر بن قدامة، قال: حدثني أبو العيناء، قال: كان لعبد الصمد بن المعذل

(١) الأغاني (٣٥٦) أبو الفرج الأصبهاني ٤٨٥/١٢

صديق يعاشره ويأنس به، فتزوج إليه أمير البصرة، وكان من ولد سليمان بن علي، فنبل الرجل وعلا قدره، وولاه المتزوج إليه عملا، فكتب إليه عبد الصمد:

أحلت [٤] عما عهدت من أدبك ... أم نلت ملكا فتهت في كتبك

أم هل ترى أن في مناصفة الإخ ... وان نقصا عليك في حسبك

أم كان ما كان منك عن غضب ... فأي شيء أدناك من غضبك [٥]

إن جفاء كتاب ذي ثقة ... يكون في صدره «و أمتع بك»

كيف بإنصافنا لديك وقد ... شاركت آل النبي في نسبك

قل للوفاء الذي تقدره ... نفسك عندي مللت من طلبك

أتعبت كفيك في مواصلتي ... حسبك ماذا كفيت من تعبك

فأجابه صديقه:

كيف يحول الإخاء يا أملي ... وكل خير أنال من نسبك [٦]

---

[١] في الأصول: «دلك نفسا لحل».

[٢] الأميم: المشجوج الرأس، الذي بلغت الطعنة أم دماغه.

[٣] الشيمة: الطبع والسجية. س، ش: «وسيمه». والسيمة: العلامة.

[٤] حلت: تغيرت.

[٥] في الأصول: «عن غضبك».

[٦] في الأصول: «كيف أحول».." (١)

٩٠. "كان مطيع بن إياس كثير العبث، فوقف على أبي العمير: رجل من أصحاب المعلى الخادم، فجعل يعبث به ويمازحه إلى أن قال:

ألا أبلغ لديك أبا العمير ... أراني الله في استك نصف أير

فقال له أبو العمير: يا أبا سلمى، لوجدت لأحد بالأير كله لجدت به إلى ما بيننا من الصداقة، ولكنك بحبك لا نريده كله إلا لك. فأفحمه، ولم يعاود العبث به.

---

(١) الأغاني (٣٥٦) أبو الفرج الأصبهاني ١٦٢/١٣

قال: وكان مطيع يرمى بالأبنة.

ما دار بينه وبين صديق له حين سقط له حائط

قال: وسقط لمطيع حائط، فقال له بعض أصدقائه: احمد الله على السلامة! قال: احمد الله أنت الذي لم ترعك هدته، ولم يصبك غباره، ولم تعدم أجرة بنائه.

مدحه جرير بن يزيد

/ أخبرني إسماعيل بن يونس بن أبي اليسع الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: وفد مطيع بن إياس إلى جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري وقد مدحه بقصيدته:

أمن آل ليلى عزمت البكورا ... ولم تلق ليلى فتشفي الضميرا

وقد كنت دهرك فيما خلا ... لليلى وجارات ليلى زءورا

ليالي أنت بها معجب ... تهيم إليها وتعصي الأميرا

وإذ هي حوراء شبه الغزا ... ل تبصر في الطرف منها فتورا [١]

تقول ابنتي إذ رأت حالتي ... وقربت للبين عنسا وكورا [٢]

إلى من أراك، وقتك الحتو ... ف نفسي، تجشمت هذا المسيرا

فقلت: إلى البجلي الذي ... يفك العناة ويغني الفقيرا [٣]

أخي العرف أشبه عند الندى ... وحمل المئين أباه جديرا [٤]

عشير الندى ليس يرضى الندى ... يد الدهر بعد جرير عشيرا

إذا استكثر المجتدون القلي ... ل للمعتفين استقل الكثيرا

إذا عسر الخير في المجتدي ... ن كان لديه عتيدا يسيرا

وليس بمانع ذي حاجة ... ولا خاذل من أتى مستجيرا

فنفسي وقتك أبا خالد ... إذا ما الكماة أغاروا النمورا [٥]

/إلى ابن يزيد أبي خالد ... أخي العرف أعملتها عيسجورا [٦]

---

[١] الفتور: الضعف.

[٢] العنس: الناقة الصلبة. والكور: بالضم: الرحل أو هو بأداته.

[٣] العناة: جمع عان، وهو الأسير.

[٤] في الأصول: «إياه جديرا».

[٥] الكماة: جمع كمى، وهو الرجل الشجاع المدجج بالسلاح. والنمور: جمع نمر، أراد أنهم فاقوا النمور في شجاعتهم.

[٦] العيسجور: الناقة الصلبة والسريعة.." (١)

٩١. "فما مدحي لكم لأصيب مالا ... ولكن مدحكم زين لشعري

كان هجاء خبيث اللسان

حدثني محمد بن يحيي الصولي قال: حدثنا أبو ذكوان قال: حدثنا أبو محلم قال: هجا عمارة بن عقيل امرأة، ثم أتته في حاجة [١] بعد ذلك، فجعل يعتذر إليها، فقالت له: خفض عليك يا أخي، فلو صر [٢] الهجاء أحدا لقتلك وقتل أباك وجدك.

قال مؤلف هذا الكتاب [٣]:

وكان عمارة هجاء خبيث اللسان، فهجا [٤] فروة بن حميصة الأسدي وطال [٥] التهاجي بينهما، فلم يغلب أحدهما صاحبه [٦] حتى قتل فروة.

ما هاجى شاعرا إلا كفي مؤونته

وأخبرني محمد بن يحيي قال:

حدثنا أبو ذكوان قال: قال لي عمارة: ما هاجيت شاعرا قط إلا كفيت مؤونته في سنة أو أقل من سنة، إما أن يموت، أو يقتل، أو أفحمه، حتى هاجاني أبو الرديني العكلي، فخنقني [٧] بالهجاء، ثم هجا بني نمير فقال:

أ توعدني لتقتلني نمير ... متى قتلت نمير من هجاها؟

/ فكفانيه بنو نمير فقتلوه، فقتلت بنو عكل - وهو يومئذ ثلاثمائة رجل - أربعة آلاف رجل من بني نمير.

وقتلت لهم شاعرين: رأس الكلب [٨] وشاعرا آخر.

المأمون يقف على ما وقع بينه وبين فروة بن حميصة

---

(١) الأغاني (٣٥٦) أبو الفرج الأصبهاني ٢٠٣/١٣

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني العنزي قال:

حدثني محمد بن عبد الله بن آدم العبدي قال: حدثني عمارة بن عقيل قال:

كنت جالسا مع المأمون، فإذا أنا بهاتف يهتف من خلفي ويقول:

/نجى عمارة منا أن مدته ... فيها تراخ وركض السابح النقل

ولو ثقفناه أوهينا جوانحه ... بذابل من رماح الخط معتدل

فإن أعناقكم للسيف محلبة [٩] ... وإن مالكم المرعي كالهمل

---

[١] ف: «في حاجته».

[٢] خد: «فلو قتل الهجاء ... ».

[٣] خد: «قال أبو الفرج الأصفهاني».

[٤] خد: «فهجاه فروة .. ».

[٥] ف: وطالت المدة بينهما في التهاجي».

[٦] ب، س: «فلم يغلب أحدهما على صاحبه».

[٧] ب، ف: «فخبثني».

[٨] خد: «رأس الكبش».

[٩] ب، س: «مختلة» وفي خد: «مخلية».." (١)

٩٢. "ما على رسم منزل بالجناب [١] ... لو أبان الغداة رجع الجواب

غيرته الصبا وكل ملث [٢] ... دائم الودق مكفهر السحاب

/ دار هند وهل زماني بهند ... عائد بالهوى وصفو الجناب

كالذي كان والصفاء مصون ... لم تشبه بهجرة واجتناب

ذاك منها إذ أنت كالغصن غض ... وهي رؤد [٣] كدمية المحراب

غادة تستبي العقول بعذب ... طيب الطعم بارد الأنياب

وأثيث [٤] من فوق لون نقي ... كبياض اللجين في الزرياب

---

(١) الأغاني (٣٥٦) أبو الفرج الأصبهاني ٢٤/٣٥٠

فأقل الملام فيها وأقصر ... لج قلبي من لوعة واكتئاب [٥]

صاح أبصرت أو سمعت براع ... رد في الضرع ما قرى في العلاب [٦]

[انقضت شرتي وأقصر جهلي ... واستراحت عواذلي من عتابي] [٧]

وقال فيها يفخر على العرب بالعجم:

رب خال متوج لي وعم ... ماجد مجتدى كريم النصاب

إنما سمي الفوارس بالفر ... س مضاهاة رفعة الأنساب

فاتركي الفخر يا أمام علينا ... واتركي الجور وانطقي بالصواب

واسألي إن جهلت عنا وعنكم ... كيف كنا في سالف الأحقاب

إذ نربي بناتنا وتدسو ... ن سفاها بناتكم في التراب

/ فقال رجل من آل كثير بن الصلت: إن حاجتنا إلى بناتنا غير حاجتكم؛ فأفحمه. يريد: أن العجم يربون بناتهم لينكحوهن، والعرب لا تفعل ذلك. وفي هذه الأبيات غناء، نسبته:

---

[١] الجناب (بالفتح): الفناء وما قرب من محلة القوم، وقيل: هو موضع في أرض كلب في السماوة بين العراق والشام. والجناب (بالكسر): موضع بعراض خيبر وسلاح ووادي القرى، وقيل: هو من منازل بني مازن. وقال نصر: الجناب: من ديار بني فزارة بين المدينة وفيد. (انظر «معجم البلدان» لياقوت).

[٢] يقال: ألث المطر ولث إذا أقام أياما ولم يقلع. والودق: المطر.

[٣] الرؤد: الشابة الحسنة. والدمية: الصورة.

[٤] شعر أثيث: كثير عظيم. والزرياب: الذهب، وقيل: ماؤه، معرب زرأي ذهب، وآب أي ماء (خففت الهمزة فأبدلت ياء). وفي ح: «و الزرباب» بواو العطف.

[٥] في ء، ط: «من عولتي واكتئابي». والعولة والعول: البكاء والصياح.

[٦] كذا في أكثر الأصول. وقرى الماء في الحوض: جمعه. والعلاب: جمع علبة، وهي إناء كالقدح الضخم، تتخذ من جلود الإبل أو الخشب يحلب فيها. وفي ء، ط و «تجريد الأغاني» لابن واصل الحموي: «الحلاب» بالحاء المهملة. والحلاب (بالكسر): الإناء

الذي يحلب فيه اللبن.

[٧] الزيادة عن «تجريد الأغاني» لابن واصل الحموي، وقد ذكره المؤلف بعد قليل.." (١)

٩٣. "وأي شيء قال هذا الآخر ابن الزانية! فضحك من حضر ووجم الرجل ولم يحر جوابا.

جعفر بن محمد وشعر السيد:

وقال التميمي وحدثني أبي قال قال لي فضيل الرسان [١]:

/أنشد جعفر بن محمد قصيدة السيد:

لأم عمرو باللوى مربع ... دارسة أعلامه بلقع

فسمعت النجيب من داره. فسألني لمن هي، فأخبرته أنها للسيد، وسألني عنه فعرفته وفاته؛ فقال: . قلت: إني رأيته يشرب النبيذ في الرستاق [٢]؛ قال: أتعني الخمر؟ قلت نعم. قال: وما خطر ذنب عند الله أن يغفره لمحب علي!.

كان يقول بالرجعة:

وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال: جاء رجل إلى السيد فقال: بلغني أنك تقول بالرجعة [٣]؛ فقال: صدق الذي أخبرك، وهذا ديني. قال: أفتعطيني دينارا [٤] بمائة دينار إلى الرجعة؟ قال السيد:

نعم وأكثر من ذلك إن وثقت لي بأنك ترجع إنسانا. قال: وأي شيء أرجع! قال: أخشى أن ترجع كلبا أو خنزيرا فيذهب مالي؛ فأفحمه.

جعفر بن عفان الطائي وعمر بن حفص:

أخبرني [٥] الحسن بن علي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال قال جعفر بن عفان الطائي الشاعر: أهدى إلي سليمان [٦] بن علي مهرا أعجبني وعزمت [٧] تربيته. فلما مضت علي أشهر عزمت على الحج، ففكرت في صديق لي أودعه المهر ليقوم عليه، فأجمع رأيي على رجل من أهلي يقال له عمر بن حفص، فصرت إليه فسألته أن/ يأمر سائسه بالقيام عليه وخبرته بمكانه من قلبي؛ ودعا بسائسه فتقدم إليه في

(١) الأغاني (٣٥٦) أبو الفرج الأصبهاني ٤/٥٣٨

ذلك؛ ووهبت للسائس دراهم وأوصيته به، ومضيت إلى الحج. ثم انصرفت وقلبي متعلق، فبدأت بمنزل عمر بن حفص قبل منزلي لأعرف حال المهر، فإذا هو قد ركب حتى دبر ظهره وعجف من قلة القيام عليه. فقلت له: يا أبا حفص، أهكذا أوصيتك من هذا المهر! فقال:

وما ذنبي! لم ينجع فيه العلف. فانصرفت به وقلت:

---

[١] هو فضيل الرسان بن الزبير من أصحاب محمد بن علي وأبي خالد الواسطي ومنصور بن أبي الأسود، وكان من متكلمي الزيدية (عن «فهرست ابن النديم» ص ١٧٨ طبع أوروبا).

[٢] الرستاق: السواد والقرى (فارسي معرب). قال ياقوت: الذي شاهدناه في زماننا في بلاد الفرس أنهم يعنون بالرستاق كل موضع فيه مزدرع وقرى. (انظر «شرح القاموس» مادة رزدق).

[٣] الرجعة: أن يؤمن بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت، وهو مذهب قوم من العرب في الجاهلية، ومذهب طائفة من المسلمين من أولى البدع والأهواء يقولون: إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حيا كما كان.

[٤] كذا في «تجريد الأغاني». وفي أ، م، ء: «مهيارا». وفي ب، س، ح: «مهنيارا». وهو تحريف.

[٥] هذه القصة ليست لها مناسبة واضحة في ترجمة السيد الحميري.

[٦] هو سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، مات وهو على البصرة سنة ١٤٢ هو عمره تسع وخمسون سنة.

[٧] كذا في ح. وفي سائر الأصول: «و زعمت» وهو تحريف.." (١)

٩٤. "/ فطرب عدي وقال: لا والله ما سمعت يا أمير المؤمنين بمثل هذا قط ولا ظننت أن يكون مثله طيبا وحسنا. ولو لا أنه في مجلس أمير المؤمنين لقلت طائف من

---

(١) الأغاني (٣٥٦) أبو الفرج الأصبهاني ١٧٦/٧

الجن. أيأذن لي أمير المؤمنين أن أقول؟ قال: قل. قال: مثل هذا عند أمير المؤمنين وهو يبعث إلى ابن سريج يتخطى به قبائل العرب فيقال: ابن سريج المغني مولى بني نوفل بعث أمير المؤمنين إليه!. فضحك ثم قال للخادم: أخرجه فخرج. فلما رآه عدي أطرق خجلا ثم قال: المعذرة إلى الله وإليك يا أخي، فما ظننت أنك بهذه المنزلة، وإنك لحقيق أن تحتمل على كل هفوة وخطيئة. فأمر لهم الوليد بمال سوى بينهم فيه، ونادمهم يومئذ إلى الليل.

نسبة هذا الصوت المذكور في هذا الخبر وسائر ما مضى في أخبار عدي قبله من الأشعار التي فيها غناء:

صوت

عرف الدار توهما فاعتادها ... من بعد ما شمل البلى أبلادها

إلا رواكد كلهن قد اصطلى ... حمراء أشعل أهلها إيقادها

عروضه من الكامل. الشعر لعدي بن الرقاع. والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أفحمه كثير في حضرة الوليد بن عبد الملك:

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال:

أنشد عدي بن الرقاع الوليد بن عبد الملك قصيدته التي أولها:

عرف الديار توهما فاعتادها

وعنده كثير وقد كان يبلغه عن عدي أنه يطعن على شعره ويقول: هذا شعر حجازي مقرور إذا أصابه قر الشأم جمد وهلك. فأنشده إياها حتى أتى على قوله:

/و قصيدة قد بت أجمع بينها ... حتى أقوم ميلها وسنادها [١]

فقال له كثير: لو كنت مطبوعا أو فصيحا أو عالما لم تأت فيها بميل ولا سناد فتحتاج إلى أن تقومها. ثم أنشد:

نظر المثقف في كعوب قناته ... حتى يقيم ثقافه منآدها

فقال له كثير: لا جرم أن الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء، ولأن تكون مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف أجود لها.

ثم أنشد:

وعلمت حتى ما أسائل واحدا ... عن علم واحدة لكي أزدادها

فقال كثير: كذبت ورب البيت الحرام! فليمتحنك أمير المؤمنين بأن يسألك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك. وما كنت قط أحمق منك الآن حيث تظن هذا بنفسك. فضحك الوليد ومن حضر، وقطع بعدي بن الرقاع حتى ما نطق.

---

[١] يريد بالسناد هنا عيبا في الشعر. والسناد في اصطلاح العروضيين هو اختلاف الحرف الذي قبل الردف بالفتح والكسر. والردف هو حرف اللين الذي قبل الروي. (انظر الكلام عليه في «العقد الفريد» ج ٣ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ طبع بولاق، و «اللسان» مادة «سند»).." (١)

٩٥. " وكساء صوف وفي يده دفتر فرفع رأسه إلي فقال قاتله الله ما أشعره قلت من يا أبا عمرو قال الذي يقول

٩٦. (إذا نحن أثنينا عليك بصالح ** فأنت كمانثني وفوق الذي نثني)

٩٧. قلت من هو يا أبا عمرو قال أو ما تعرفه قلت لا قال هو الذي يقول

٩٨. (تغطيت من دهري بظل جنابه ** فعيني ترى دهري وليس يراني)

٩٩. (فلو تسأل الأيام ما اسمي ما درت ** وأين مكاني ما عرفن مكاني)

١٠٠. (أخذت بحبل من حبال محمد ** أمنت به من طارق الحدثان)

١٠١. فقلت من هو قال أو ما تعرفه قلت لا قال الذي يقول

١٠٢. (إن السحاب لتستحيي إذا نظرت ** إلى نداك فقاسته بما فيها)

١٠٣. (حتى تهم بإقلاع فيمنعها ** خوف العقوبة من عصيان منشيها)

١٠٤. فقلت من هو قال أو ما تعرفه قلت لا قال لا عرفت هو أبو نواس

---

(١) الأغاني (٣٥٦) أبو الفرج الأصبهاني ٢١٦/٩

١٠٥.	خرج محمد بن خالد يوما من عند الرشيد فلقيه أبو نواس فقال له يا أبا نواس البشرى قال وما ذاك قال ولاك أمير المؤمنين القردة والخنازير قال فاسمع لي وأطع فإنك من رعيتي فأفحمه وأخجله من بديع شعره

١٠٦.	" (إذ تربي بناتنا وتدسون ... سفاها بناتكم في التراب)

فقال رجل من آل كثير بن الصلت إن حاجتنا إلى بناتنا غير حاجتكم فأفحمه يريد أن العجم يربون بناتهم لينكحوهن والعرب لا تفعل ذلك وفي هذه الأبيات قال فأنشد يوما في مجلس فيه أشعب قوله ." (١)

١٠٧.	وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال جاء رجل إلى السيد فقال بلغني أنك تقول بالرجعة فقال صدق الذي أخبرك وهذا ديني قال أفتعطيني دينارا بمائة دينار إلى الرجعة قال السيد نعم وأكثر من ذلك إن وثقت لي بأنك ترجع إنسانا قال وأي شيء أرجع قال أخشى أن ترجع كلبا أو خنزيرا فيذهب مالي فأفحمه

١٠٨.	" سعد قطبة كان خيرا من صباح فقال جميل يهجو بني الأحب رهط قطبة ويهجو النخار

(إن أحب سفل أشرار ... حثالة عودهم خوار)

(أذل قوم حين يدعى الجار ... كما أذل الحارث النخار)

وقال الأبيرق العتبي قطبة كان خيرا من صباح فقال جميل

(يابن الأبيرق وطب بت مسنده ... إلى وسادك من حم الذرى جون)

(وأكلتان إذا ما شئت مرتفقا ... بالسير من نغل الدفين مدهون)

(أذكر وأمك مني حين تنكبني ... جني فيغلب جني كل مجنون)

وقال جماعة من شعراء سعد في تفضيل قطبة على صباح أقوالا اجابهم عنها جميل فأفحمهم حتى قال له جعفر بن سراقة أحد بني قرة

(نحن منعنا ذا القرى من عدونا ... وعذرة إذ نلقى يهودا ويعشرا)

(منعناه من عليا معد وأنتم ... سفاسيف روح بين قرح وخيبرا)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٤/٤٠٤

(فريقان رهبان بأسفل ذي القرى ... وبالشام عرافون فيمن تنصرا)

فلما بلغت جميلا اتقاه وعلم أنه سيعلو عليه فقال جميل

(بني عامر أنى انتجعتم وكنتم ... إذا حصل الأقوام كالخصية الفرد) ." [١]

١٠٩. رجع الخبر إلى رواية ابن الكلبي قال فلما فرق عمر ﷺ بينهما وتزوجت رآها منظور يوما وهي تمشي في الطريق وكانت جميلة رائعة الحسن فقال يا مليكة لعن الله دينا فرق بيني وبينك فلم تكلمه وجازت وجاز بعدها زوجها فقال له منظور كيف رأيت أثر أيري في حر مليكة قال كما رأيت اثر أير أبيك فيه فأفحمه وبلغ عمر ﷺ الخبر فطلبه ليعاقبه فهرب منه

١١٠. أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال كان طريق أبي الأسود الدؤلي إلى المسجد والسوق في بني تميم الله بن ثعلبة وكان فيهم رجل متفحش يكثر الأستهزاء بمن يمر به فمر به أبو الأسود الدؤلي يوما فقال لقومه كأن وجهه أبي الأسود وجه عجوز راحت إلى أهلها بطلاق فضحك القوم وأعرض عنهم أبو الأسود ثم مر به مرة أخرى فقال لهم كأن غضون قفا أبي الأسود غضون الفقاح فأقبل عليه أبو الأسود فقال له هل تعرف فقحة أمك فيهن فأفحمه وضحك القوم منه وقاموا ." [٢]

١١١. "أخبرنى عبيد الله بن أحمد، قال: حدثنا أحمد بن محمد، عن أحمد بن الحارث الحراز، عن العباس بن خالد البرمكى، قال: أول ما نبغ أبو تمام الطائى أتانى بدمشق يمدح محمد بن الجهم، فكلمته فيه فأذن له، فدخل عليه، وأنشده، ثم خرج، فأمر له بدراهم يسيرة. ثم قال: إن عاش هذا ليخرجن شاعرا! فقلت: وما ذاك؟ قال: يغوص على المعانى الدقاق، فربما وقع من شدة غوصه على المحال.

أخبرنى الصولى، قال «١٩٥» : حدثنى أبو الحسن الأنصارى، قال: حدثنى ابن الأعرابى المنجم، قال: كان أبو تمام إذا كلمه إنسان أجابه قبل انقضاء كلامه، كأنه قد علم ما يقول فأعد جوابه. فقال له رجل: يا أبا تمام؛ لم لا تقول من الشعر ما يعرف، فقال:

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٤٦/٨

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٥٢/١٢

وأنت لم لا تعرف من الشعر ما يقال؟ فأفحمه.

قال الصولى: وحدثنى أبو الحسين الجرجانى، قال: الذى قال له هذا أبو سعيد الضرير بخراسان، وكان هذا من علماء الناس، وكان متصلا بالطاهرية.

وأخبرنى عبيد الله بن سليمان الطاهرى، قال: حدثنى عمى عيسى بن عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر، عن مشايخ أهلنا، قالوا: كان أبو العباس عبد الله بن طاهر قد رسم فى أمر من يقصده من شعراء الأطراف أن يؤخذ المديح منه، فيعرض على أبى سعيد المكفوف مؤدب ولده أولا، فما كان منه يليق بمثله أن يسمعه من قائله فى مجلسه أنفذه أبو سعيد إليه- والقائل له معه؛ فأنشده إياه فى مجلسه. وما لم يكن بالجيد [١٩٥] أو كان مهجنا لم يعرضه ولم ينفذه أو تقدم بين القاصد به. فلما رحل إليه أبو تمام وامتدحه بالقصيدة التى أولها «١٩٦» :

هن عوادى يوسف وصواحبه «١٩٧»." (١)

١١٢. "قال علي بن عبد الله: شهدت الحجاج خارجا من عند عبد الملك بن مروان، فقال له خالد بن يزيد بن معاوية: إلى متى تقتل أهل العراق يا أبا محمد! فقال: إلى أن يكفوا عن قولهم في أبيك: إنه كان يشرب الخمر.

قال المدائني: أسرت مزينة حسان بن ثابت- وكان قد هجاهم- قال:

مزينة لا يرى فيها خطيب ... ولا فلج يطاف به خضيب

أناس تهلك الأحساب فيهم ... يرون التيس يعدله الحبيب

فأتتهم الخزرج يفتدونه، فقالوا: نفاديه بتيس، فغضبوا وقاموا، فقال لهم حسان: يا إخوتي خذوا أخاكم وادفعوا إليهم أخاهم.

وقال المدائني: فرق عمر بن الخطاب بين منظور بن أبان وبين امرأته- وكان خلف عليها بعد أبيه- فتزوجها طلحة بن عبد الله، فلقيه منظور، فقال له: كيف وجدت سؤري؟ فقال: كما وجدت سؤر أبيك. فأفحمه.

وقال حاطب بن أبي بلتعة: بعثني النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى المقوقس

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المرزباني ص/٤٠٥

ملك الإسكندرية، فأتيته بكتاب رسول الله-ﷺ- وأبلغته رسالته، فضحك ثم قال: كتب إلي صاحبك أن أتبعه على دينه، فما يمنعه- إن كان نبيا- أن يدعو الله أن يسلط علي البحر فيغرقني فيكتفي مؤونتي ويأخذ ملكي؟ قلت: فما صنع عيسى إذ أخذته اليهود فربطوه في حبل وحلقوا وسط رأسه، وجعلوا عليه إكليل شوك، وحملوا خشبته التي صلبوه عليها على عنقه، ثم أخرجوه وهو يبكي حتى نصبوه على الخشبة، ثم طعنوه حيا بحربة حتى مات، هذا على زعمكم، فما منعه أن يسأل الله فينجيه ويهلكهم فيكفى مؤونتهم ويظهر هو وأصحابه عليهم؟ وما منع يحيى بن زكريا حين سألت امرأة الملك الملك أن يقتله فقتله، وبعث برأسه إليها حتى وضع بين يديها، أن يسأل الله تعالى أن ينجيه ويهلك الناس؟ فأقبل على جلسائه وقال: إنه والله لحكيم، وما يخرج الحكيم إلا من عند الحكماء.

قال المدائني: أبطأ على رجل من أصحاب الجنيد بن عبد الرحمن ما قبله- وهو على خراسان- وكان يقال للرجل: زامل بن عمرو من بني أسد بن خزيمة، فدخل على الجنيد يوما فقال: أصلح الله الأمير، قد طال انتظاري، فإن رأى الأمير أن يضرب لي موعدا أصير إليه فعل. فقال: موعدك الحشر، فخرج زامل متوجها إلى أهله، ودخل على الجنيد بعد ذلك رجل من أصحابه فقال: أصلح الله الأمير:

أرحني بخير منك إن كنت فاعلا ... وإلا فميعاد كميعاد زامل

قال: وما فعل زامل؟ قال: لحق بأهله. فأبرد الجنيد في أثره بريدا وبعث يعهده إلى الكورة التي يدرك بها، فأدرك بنيسابور، فنزلها.." (١)

١١٣. "وكلم عامر بن عبد قيس حمران يوما في المسجد. فقال له حمران: لا أكثر الله فينا مثلك. فقال عامر: لكن: أكثر الله فينا مثلك، فقال له القوم: يا عامر، يقول لك حمران ما لا تقول مثله؟ فقال: نعم يكسحون طرقنا، ويحوكون ثيابنا، ويخرزون خفافنا. فقيل له: ما كنا نرى أنك تعرف مثل هذا، قال: ما أكثر ما نعرف مما لا تظنون بنا.

وقال: مر جرير بن عطية على الأحوص وهو على بغل، فأدلى البغل، فقال الأحوص:

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/٣٨٨

بغلك يا أبا حزرة على خمس قوائم. قال جرير: والخامسة أحب إليك.

ومر جرير بالأحوص وهو يفسق بامرأة وينشد:

يقر بعيني ما يقر بعينها ... وأحسن شيء ما به العين قرت

فقال له جرير: فإنه يقر بعينها أن تقعد على مثل ذراع البكر، أفتراك تفعل ذلك؟

فقال الوزير: من رأيت من الكبار كان يحفظ هذا الفن وله فيه غزارة وانبعاث وجسارة على الإيراد؟

قلت: ابن عباد على هذا، ويبلغ من قوته أنه يفتعل أشياء شبيهة بهذا الضرب على من حضر، فقال: الكذب لا خير فيه، ولا حلاوة لروايه، ولا قبول عند سامعيه.

وقال: أرسل بلال بن أبي بردة إلى أبي علقمة فأتاه، فقال: أتدري لأي شيء أرسلت إليك؟ قال: نعم، لتصنع بي خيرا. قال: أخطأت ولكن لأسيء بك.

فقال: أما إذ قلت ذاك لقد حكم المسلمون حكمين، فسخر أحدهما بالآخر. فقال الوزير: أيقال سخر به! فكان الجواب أن أبا زيد حكاه، وصاحب التصنيف قد رواه، وسخر منه أيضا كلام، وإنما يقال هو أفصح، لأنه في كتاب الله ﷻ، وإلا فكلاهما جائز.

وقال حمزة بن بيض الحنفي للفرزدق: يا أبا فراس، أيما أحب إليك أن تسبق الخير أم يسبقك! قال: ما أريد أن أسبقه ولا أن يسبقني، بل نكون معا. ولكن حدثني أيما أحب إليك: أن تدخل منزلك فتجد رجلا على حرامك، أو تجدها قابضة على قمد الرجل. فأفحمه.

فلما قرأت الجزء في ضروب الجواب المفحم. قال: ما أفتح هذا النوع من الكلام لأبواب البديهة! وأبعثه لرواقد الذهن! وما يتفاضل الناس عندي بشيء أحسن من هذه الكلمات الفوائق الروائق، ما أحسن ما جمعت وأتيت به.." (١)

١١٤. """""""" صفحة رقم ٤٩٦ """""""

يا إخوتي خذوا أخاكم وادفعوا إليهم أخاهم . وقال المدائني : فرق عمر بن الخطاب

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/٣٩١

بين منظور بن أبان وبين امرأته – وكان خلف عليها بعد أبيه – فتزوجها طلحة بن عبد الله ، فلقيه منظور ، فقال له : كيف وجدت سورى ؟ فقال : كما وجدت سور أبيك . فأفحمه . وقال حاطب بن أبي بلتعة : بعثني النبي (ﷺ) إلى المقوقس ملك الإسكندرية ، فأتيته بكتاب رسول الله (ﷺ) وابلغته رسالته ؛ فضحك ثم قال : كتب إلي صاحبك أن أتبعه على دينه ، فما يمنعه إن كان نبيا أن يدعو الله أن يسلط علي البحر فيغرقني فيكتفي مؤونتي ويأخذ ملكي ؟ قلت : فما صنع عيسى إذ أخذته اليهود فربطوه في حبل وحلقوا وسط رأسه ، وجعلوا عليه إكليل شوك ، وحملوا خشبته التي صلبوه عليها على عنقه ، ثم أخرجوه وهو يبكي حتى نصبوه على الخشبة ، ثم طعنوه حيا بحربة حتى مات ؛ هذا على زعمكم ، فما منعه أن يأسل الله فينجيه ويهلكهم فيكفى مؤونتهم ويظهر هو وأصحابه عليهم ؟ وما منع يحي بن زكريا حين سألت امرأة الملك الملك أن يقتله فقتله ، وبعث برأسه إليها حتى وضع بين يديها ، أن يسأل الله تعالى أن ينجيه ويهلك الناس ؟ فأقبل على جلسائه وقال : إنه والله لحكيم إلا من عند الحكماء . قال المدائني : أبطأ علي رجل من أصحاب الجنيد بن عبد الرحمن ما قبله – وهو على خراسان – وكان يقال للرجل : زامل بن عمرو من بني أسد بن خزيمة ، فدخل على الجنيد يوما فقال : أصلح الله الأمير ، قد طال انتظاري ، فإن رأى الأمير أن يضرب لي موعدا أصير إليه فعل . فقال : موعدك الحشر ؛ فخرج زامل متوجها إلى أهله ؛ ودخل على الجنيد بعد ذلك رجل من أصحابه فقال : أصلح الله الأمير . أرحني بخير منك إن كنت فاعلا . . . وإلا فميعاد كميعاد زامل قال : وما فعل زامل ؟ قال : لحق بأهله . فأبرد الجنيد في أثره بريدا وبعث يعهده إلى." (١)

١١٥. """""""" صفحة رقم ٥٠١ """"""""

أم يسبقك قال : ما أريد أن أسبقه ولا أن يسبقني ، بل نكون معا . ولكن حدثني أيما أحب إليك : أن تدخل منزلك فتجد رجلا على حرامك ، أو تجدها قابضة على قمد الرجل . فأفحمه . فلما قرأت الجزء في ضروب الجواب المفحم . قال : ما أفتح هذا

---

(١) الإمتاع والمؤانسة – العلمية أبو حيّان التوحيدي ص/٤٩٦

النوع من الكلام لأبواب البديهة وأبعثه لرواقد الذهن وما يتفاضل الناس عندي بشيء أحسن من هذه الكلمات الفوائق الروائق ، ما أحسن ما جمعت وأتيت به .

الليلة الأربعون

وقال مرة أخرى : حدثني عن اعتقادك في أبي تمام والبحتري ، فكان الجواب : إن هذا الباب مختلف فيه ، ولا سبيل إلى رفعه ، وقد سبق هذا من الناس في الفرزدق وجرير ومن قبلهما في زهير والنابغة حتى تكلم على ذلك الصدر الأول ، مع علو مراتبهم في الدين والعقل والبيان ، لكن حدثنا أبو محمد العروضي عن أبي العباس المبرد قال : سألني عبيد الله بن سليمان عن أبي تمام والبحتري ؛ فقلت : أبو تمام يعلو علوا رفيعا ، ويسقط سقوطا قبيحا ، والبحتري أحسن الرجلين نمطا ، وأعذب لفظا ؛ فقال عبيد الله : قد كان ذلك ظني . . . فعاد ظني يقينا فقلت : وهذا أيضا شعر . فقال : ما علمت . فقال : هذه حكاية مفيدة من هذا العالم المتقدم ، وحكم يلوح منه الإنصاف ، وقد أغنى هذا القول عن خوض كثير . ودع ذا ؛ من أين دخلت الآفة على أصحاب المذاهب حتى افترقوا هذا الافتراق ، وتباينوا هذا التباين ، وخرجوا إلى التكفير والتفسيق وإباحة الدم والمال ورد الشهادة وإطلاق اللسان بالجرح وبالقذع والتهاجر والتقاطع." (١)

١١٦. "عجيبة في الأنام محنتنا ... يجرعها في الحياة كاظمنا

يفرح هذا الورى بعيدهم ... طرا وأعيادنا (١) مآتمنا (٢)

قال أبو منصور الثعالبي في اليتيمة، سمعت الشيخ أبا الطيب يحكي أن الأموي صاحب الأندلس كتب إليه نزار صاحب مصر كتابا سبه فيه وهجاه فكتب إليه الأموي أما بعد، فإنك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك (٣) فاشتد هذا على العزيز وأفحمه، عن الجواب يشير أنك دعي لا نعرف قبيلتك.

قال أبو الفرج ابن الجوزي: كان العزيز قد ولى عيسى بن نسطورس (٤) النصراني أمر مصر واستناب منشا اليهودي بالشام فكتبت إليه امرأة بالذي أعز اليهود والنصارى بمنشا وابن نسطورس وأذل المسلمين بك إلا ما نظرت في أمري فقبض على الاثنين

---

(١) الإمتاع والمؤانسة – العلمية أبو حيّان التوحيدي ص/٥٠١

وأخذ من عيسى ثلاث مائة ألف دينار (٥) .

قال ابن خلكان وغيره: أكثر أهل العلم لا يصححون نسب المهدي عبيد الله جد خلفاء مصر حتى إن العزيز في أول ولايته صعد المنبر يوم جمعة فوجد هناك رقعة فيها:

إذا سمعنا نسبا منكرا ... نبكي على المنبر والجامع (٦)

---

(١) في " يتيمة الدهر " وأفراحنا.

(٢) الابيات في " يتيمة الدهر ": ١ / ٢٥٤ مع اختلاف.

فصدر البيت الأول مع عجز البيت الثاني، وصدر البيت الثاني مع عجز البيت الأول.

(٣) " يتيمة الدهر ": ١ / ٢٥٥.

(٤) في الأصل: نسطور.

(٥) " المنتظم ": ٧ / ١٩٠.

(٦) في " وفيات الأعيان ": ٥ / ٣٧٣.

إنا سمعنا نسبا منكرا * يتلى على المنبر في الجامع." [١]

١١٧. "العالمين عن الصاحبة والولد (١) !

وقيل: إن الطاغية سأله: كيف جرى لزوجة نبيكم؟

يقصد توبيخا - فقال: كما جرى لمريم بنت عمران، وبرأهما الله، لكن عائشة لم تأت بولد، فأفحمه (٢) .

قال الخطيب (٣) :سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول:

كل مصنف ببغداد إنما ينقل من كتب الناس سوى القاضي أبي بكر، فإنما صدره يحوي علمه وعلم الناس.

وقال أبو محمد الباقي: لو أوصى رجل بثلث ماله لأفصح الناس، لوجب أن يدفع إلى أبي بكر الأشعري (٤) .

قال أبو حاتم محمود بن الحسين القزويني: كان ما يضمره القاضي أبو بكر الأشعري

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة ابن ثرثال ١٦٨/١٥

من الورع والدين أضعاف ما كان يظهره.

فقيل له في ذلك.

فقال: إنما أظهر ما أظهره غيظا لليهود والنصارى، والمعتزلة والرافضة، لئلا يستحقروا علماء الحق (٥) .

وعمل بعضهم في موت القاضي:

انظر إلى جبل تمشي الرجال به ... وانظر إلى القبر ما يحوي من الصلف

وانظر إلى صارم الإسلام منغمدا ... وانظر إلى درة الإسلام في الصدف (٦)

---

(١) " تبيين كذب المفتري " ٢١٨، ٢١٩.

(٢) انظر " تبيين كذب المفتري " ٢١٩، و" البداية والنهاية " ١١ / ٣٥٠، وانظر مناظرته في مجلس ملك الروم وأخباره معه في " ترتيب المدارك " ٤ / ٥٩٤ - ٦٠١..

(٣) في " تاريخ بغداد " ٥ / ٣٨٠.

(٤) " تاريخ بغداد " ٥ / ٣٨٠، و" الأنساب " ٢ / ٥٢.

(٥) انظر " تبيين كذب المفتري " ٢٢٠.

(٦) البيتان في " تاريخ بغداد " ٥ / ٣٨٢، ٣٨٣، و" الأنساب " ٢ / ٥٢، و" تبيين =." (١)

١١٨. "قال مروان بن محمد الطاطري: ما رأيت فيمن رأيت أخشع من وكيع، وما وصف لي أحد قط إلا رأيته دون الصفة، إلا وكيعا، رأيته فوق ما وصف لي.

قال سعيد بن منصور: قدم وكيع مكة، وكان سمينا، فقال له الفضيل بن عياض: ما هذا السمن وأنت راهب العراق؟!

قال: هذا من فرحي بالإسلام، فأفحمه.

أبو سعيد الأشج: سمعت وكيعا يقول: الجهر بالبسملة بدعة (١) .

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة ابن ثرثال ١٩٢/١٧

(١) وذلك لم يثبت عنه ﷺ أنه جهر بها، ولا عن أبي بكر، ولا عمر، ولا عثمان، فقد أخرج البخاري ٢ / ١٨٨ في صفة الصلاة: باب ما يقول بعد التكبير من حديث أنس أن النبي ﷺ، وأبا بكر، وعمر رضي الله عنهما كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين، وأخرجه الترمذي (٢٤٦) ، وعنده " القراءة " بدل " الصلاة " وزاد: " وعثمان " وأخرجه مسلم (٣٩٩) في الصلاة: باب حجة من قال: لا يجهر بالبسملة، بلفظ " صليت مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فلم أسمع أحدا منهم يقرأ " بسم الله الرحمن الرحيم " ورواه أحمد ٣ / ٢٦٤، والطحاوي ١ / ١١٩، والدارقطني: ١١٩، وقالوا فيه " فكانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم " ورواه ابن حبان في " صحيحه " وزاد: " ويجهرون بالحمد لله رب العالمين "، وفي لفظ للنسائي ٢ / ١٣٥، وابن حبان: " فلم أسمع أحدا منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم " وفي لفظ لأبي يعلى الموصلي في " مسنده " " فكانوا يفتتحون القراءة فيما يجهر به، بالحمد لله رب العالمين "، وفي لفظ للطبراني في " معجمه "، وأبي نعيم في " الحلية "، وابن خزيمة في " صحيحه " (٤٩٨) ، والطحاوي ١ / ١١٩: " وكانوا يسرون ببسم الله الرحمن الرحيم ".

قال الزيلعي في " نصب الراية " ١ / ٣٢٧: ورجال هذه الروايات كلهم ثقات مخرج لهم في الصحيح جمع.

وأخرج أحمد ٤ / ٨٥، والترمذي (٢٤٤) ، والنسائي ٢ / ٢٣٥ من حديث عبد الله بن مغفل قال: سمعني أبي وأنا في الصلاة أقول: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال لي: أي بني، محدث! إياك والحدث، قال: ولم أر أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ كان أبغض إليه الحدث في الإسلام - يعني - منه، قال: وقد صليت مع النبي ﷺ ومع أبي بكر، ومع عمر، ومع عثمان، فلم أسمع أحدا منهم يقولها، فلا تقلها، إذا أنت صليت، فقل: الحمد لله رب العالمين.

وحسنه الترمذي.." (١)

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة ابن ثرثال ١٥٦/٩

١١٩. "٣٤١ - ع: وكيع بن الجراح بن مليح، الإمام أبو سفيان الرؤاسي الأعور الكوفي، [الوفاة: ١٩١ - ٢٠٠ هـ]

أحد الأعلام.

ورؤاس بطن من قيس عيلان.

ولد سنة تسع وعشرين ومائة، وأصله من خراسان.

سمع: من الأعمش، وهشام بن عروة، وإسماعيل بن أبي خالد، وابن عون، وابن جريج، وداود بن يزيد الأودي، وأسود بن شيبان، ويونس بن أبي إسحاق، وهشام بن الغاز، والأوزاعي، وشعبة، والثوري، وإسرائيل، وجعفر بن برقان، وحنظلة بن أبي سفيان، وزكريا بن أبي زائدة، وطلحة بن عمرو المكي، وطلحة بن يحيى التيمي، وفضيل بن غزوان، وموسى بن علي، وهشام الدستوائي، وأبي جناب الكلبي، وخلق.

وعنه: ابن المبارك وهو أكبر منه، وعبد الرحمن بن مهدي، ويحيى بن آدم، والحميدي، ومسدد، وأحمد بن حنبل، وإسحاق، وابن المديني، وابن معين، وأبو خيثمة، وابنا أبي شيبة، وأبو كريب، وعبد الله بن هاشم الطوسي، وإبراهيم بن عبد الله القصار، وأمم سواهم.

وكان رأسا في العلم والعمل، وكان أبوه الجراح بن مليح بن عدي بن فرس بن جمجمة ناظرا على بيت المال بالكوفة.

وقد أراد الرشيد أن يولي وكيعا القضاء فامتنع.

قال يحيى بن يمان: لما مات الثوري جلس وكيع موضعه.

قال القعنبي: كنا عند حماد بن زيد، فلما خرج وكيع قالوا: هذا راوية سفيان. فقال حماد: إن شئتم قلت: أرجح من سفيان.

وعن يحيى بن أيوب المقابري قال: ورث وكيع من أمه مائة ألف درهم.

وقال الفضل بن محمد الشعراني: سمعت يحيى بن أكثم يقول: صحبت وكيعا في الحضر والسفر، وكان يصوم الدهر ويختم القرآن كل ليلة.

قال يحيى بن معين: وكيع في زمانه كالأوزاعي في زمانه. -[١٢٣١]-

وقال أحمد بن حنبل: ما رأيت أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع.

وقال أحمد بن سهل بن بحر النيسابوري الحافظ: دخلت على أحمد بن حنبل بعد المحنة، فسمعته يقول: كان وكيع إمام المسلمين في وقته.

وروى نوح بن حبيب عن عبد الرزاق قال: رأيت الثوري ومعمرا ومالكا، فما رأت عيناي مثل وكيع قط.

وقال ابن معين: ما رأيت أفضل من وكيع؛ كان يحفظ حديثه، ويقوم الليل، ويسرد الصوم، ويفتي بقول أبي حنيفة، وكان يحيى القطان يفتي بقول أبي حنيفة أيضا.

وقال قتيبة: سمعت جريرا يقول: جاءني ابن المبارك، فقلت: من رجل الكوفة اليوم؟ فسكت عني ثم قال: رجل المصرين ابن الجراح؛ يعني وكيعا.

قال سلم بن جنادة: جالست وكيعا سبع سنين، فما رأيته بزق ولا مس حصاة، ولا جلس مجلسا فتحرك، ولا رأيته إلا مستقبل القبلة، وما رأيته يحلف بالله.

وقد روى غير واحد أن وكيعا كان يترخص في شرب النبيذ، قال إسحاق بن بهلول الحافظ: قدم علينا وكيع - يعني الأنبار - فنزل في المسجد على الفرات، فصرت إليه لأسمع منه، فطلب مني نبيذا فجئته به، فأقبل يشرب وأنا أقرأ عليه، فلما نفد طفا السراج، فقلت: ما هذا؟ قال: لو زدتنا لزدناك.

وقال أبو سعيد الأشج: كنا عند وكيع، فجاءه رجل يدعوه إلى عرس، فقال: أثم نبيذ؟ قال: لا. قال: لا نحضر عرسا ليس فيه نبيذ. قال: فإني آتيكم به. فقام.

قال ابن معين: سال رجل وكيعا أنه شرب نبيذا، فرأى في النوم كأن رجلا يقول له: إنك شربت خمرا. فقال وكيع: ذاك الشيطان.

وقال نعيم بن حماد: سمعت وكيعا يقول: هو عندي أحل من ماء الفرات.

ويروى عن وكيع أن رجلا أغلظ له، فدخل بيتا فعفر وجهه ثم خرج إلى الرجل وقال: زد وكيعا بذنبه، فلولاه ما سلطت عليه. -[١٢٣٢]-

وقال إبراهيم بن شماس: لو تمنيت كنت أتمني عقل ابن المبارك وورعه، وزهد فضيل ورقته، وعبادة وكيع وحفظه، وخشوع عيسى بن يونس، وصبر حسين الجعفي.

وقال نصر بن المغيرة البخاري: سمعت إبراهيم بن شماس يقول: رأيت أفقه الناس وكيعا، وأحفظ الناس ابن المبارك، وأورع الناس فضيل بن عياض.

وقال مروان بن محمد الطاطري: ما رأيت فيمن رأيت أخشع من وكيع، وما وصف لي أحد قط إلا رأيته دون الصفة إلا وكيعا؛ فإني رأيته فوق ما وصف لي.

قال سعيد بن منصور: قدم وكيع مكة وكان سمينا، فقال له الفضيل بن عياض: ما هذا السمن وأنت راهب العراق؟! قال: هذا من فرحي بالإسلام! فأفحمه.

وقال محمد بن عبد الله بن عمار: ما كان بالكوفة في زمان وكيع أفقه ولا أعلم بالحديث منه.

وقال أبو داود: ما رؤي لوكيع كتاب قط، ولا لهشيم، ولا لحماد، ولا لمعمر.

قال أحمد بن حنبل: ما رأت عيني مثل وكيع قط؛ يحفظ الحديث، ويذاكر بالفقه فيحسن، مع ورع واجتهاد، ولا يتكلم في أحد.

قال حماد بن مسعدة: قد رأيت سفيان الثوري، فما كان مثل وكيع.

وقال أحمد أيضا: ما رأيت أوعى للعلم من وكيع، كان حافظا حافظا.

وقال ابن أبي خيثمة وغيره: سمعنا يحيى بن معين يقول: من فضل عبد الرحمن بن مهدي على وكيع فعليه، فذكر اللعنة.

قلت: ما أدري ما عذر يحيى في هذا اللعن.

وقال أبو حاتم: وكيع أحفظ من ابن المبارك. -[١٢٣٣]-

وقال أحمد بن حنبل: عليكم بمصنفات وكيع.

وقال علي ابن المديني: كان وكيع يلحن، ولو حدثت عنه بألفاظه لكان عجبا، كان يقول: عن عيشة.

وروى أبو هشام الرفاعي وغيره عن وكيع قال: من زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر.

قال وكيع: الجهر بالبسملة بدعة. سمعها أبو سعيد الأشج منه.

قال أحمد بن زهير: حدثنا محمد بن يزيد قال: حدثني حسين أخو زيدان قال: كنت مع وكيع، فأقبلنا جميعا من المصيصة أو طرسوس فأتينا الشام، فما أتينا بلدا إلا استقبلنا واليها، وشهدنا الجمعة بدمشق، فلما سلم الإمام أطافوا بوكيع، فما انصرف إلى أهله، فحدثت به مليحا ولده فقال: رأيت في جسده آثارا خضراء مما زحم.

قال الفضل بن عنبسة: ما رأيت مثل وكيع من ثلاثين سنة.

محمود بن غيلان: سمعت وكيعا يقول: اختلفت إلى الأعمش سنتين.

قال ابن راهويه: حفظي وحفظ ابن المبارك تكلف، وحفظ وكيع أصلي، قام وكيع واستند فحدث بسبعمائة حديث حفظا.

وقال محمود بن آدم: تذاكر بشر بن السري ووكيع ليلة وأنا أراهما من العشاء إلى أن نودي بالصبح، فقلت لبشر: كيف رأيته؟ قال: ما رأيت أحفظ منه. وكذا قال سهل بن عثمان: ما رأيت أحفظ من وكيع.

وقال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي يقول: وكيع مطبوع الحفظ، كان حافظا حافظا، كان أحفظ من عبد الرحمن بكثير.

وقال ابن نمير: كانوا إذا رأوا وكيعا سكتوا؛ يعني في الحفظ والإجلال.

وقال أبو حاتم: سئل أحمد عن وكيع ويحيى وابن مهدي، فقال: كان وكيع أسردهم. -[١٢٣٤]-

قال أبو زرعة الرازي: سمعت أبا جعفر الجمال يقول: أتينا وكيعا، فخرج بعد ساعة وعليه ثياب مغسولة، فلما بصرنا به فزعنا من النور الذي رأينا يتلألأ من وجهه، فقال رجل بجنبي: أهذا ملك؟ فتعجبنا من ذلك النور.

قال أحمد بن سنان القطان: رأيت وكيعا إذا قام في الصلاة ليس يتحرك منه شيء، لا يزول ولا يميل على رجل دون الأخرى.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت وكيعا يقول: ما نعيش إلا في سترة، ولو كشف الغطاء لكشف عن أمر عظيم. وسمعته يقول: الصدق النية.

قال صالح بن أحمد: قلت لأبي: أيهما أصلح؛ وكيع أو يزيد؟ فقال: ما منهما والحمد لله إلا كل، لكن وكيع لم يختلط بالسلطان.

قال الفلاس: ما سمعت وكيعا ذاكرا أحدا بسوء قط.

وقال ابن عمار: أحرم وكيع من بيت المقدس.

وقال ابن سعد: كان وكيع ثقة مأمونا رفيعا كثير الحديث حجة.

وقال محمد بن خلف التيمي: أخبرنا وكيع قال: أتيت الأعمش فقلت: حدثني. قال: ما اسمك؟ قلت: وكيع. قال: اسم نبيل، وما أحسب إلا سيكون لك نبأ، أين تنزل من

الكوفة؟ قلت: في بني رؤاس. قال: أين من منزل الجراح؟ قلت: هو أبي. وكان على بيت المال، قال: اذهب فجئني بعطائي، وتعال حتى أحدثك بخمسة أحاديث. فجئت أبي فقال: خذ نصف العطاء واذهب، فإذا حدثك بالخمسة فخذ النصف الآخر حتى تكون عشرة. فأتيته بذلك، فأملي علي حديثين، فقلت: وعدتني خمسة. قال: فأين الدراهم كلها؟ أحسب أن أباك أمرك بهذا ولم يدر أن الأعمش مدرب قد شهد الوقائع. قال: فكنت إذا جئته بالعطاء في كل شهر حدثني بخمسة.

قال قاسم الحرمي: كان سفيان يتعجب من حفظ وكيع ويقول: تعال يا رؤاسي، ويتبسم.

قال ابن عمار: سمعت وكيعا يقول: ما نظرت في كتاب منذ خمس عشرة -[١٢٣٥]- سنة، إلا في صحيفة يوما. فقلت له: عدوا عليك بالبصرة أربعة أحاديث غلطت فيها. قال: وحدثتهم بعبادان بنحو من ألف وخمسمائة حديث، أربعة ما هي كثيرة في ذلك.

قال ابن معين: سمعت وكيعا يقول: ما كتبت عن الثوري حديثا قط؛ إنما كنت أحفظ، فإذا رجعت كتبتها.

قال يحيى بن يمان: نظر سفيان في عيني وكيع فقال: لا يموت هذا حتى يكون له شأن. فمات سفيان وجلس وكيع مكانه.

قال سليمان الشاذكوني: قال لنا أبو نعيم: ما دام هذا التنين حيا ما يفلح أحد معه؛ يعني وكيعا.

وقال يحيى بن أيوب العابد: حدثني صاحب لوكيع أن وكيعا كان لا ينام حتى يقرأ ثلث القرآن، ثم يقوم في آخر الليل فيقرأ المفصل، ثم يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر.

قال إبراهيم بن وكيع: كان أبي يصلي الليل، فلا يبقي في دارنا أحد إلا صلي، حتى جارية لنا سوداء.

ابن معين: سمعت وكيعا يقول: أي يوم لنا من الموت. وأخذ وكيع في قراءة كتاب " الزهد "، فلما بلغ حديثا منه قام فلم يحدث، وكذا فعل من الغد. وهو حديث: "كن في الدنيا كأنك غريب ".

الدارقطني: حدثنا القاضي أبو الحسن محمد بن علي ابن أم شيبان، عن أبيه، عن أبي عبد الرحمن بن سفيان بن وكيع، عن أبيه قال: كان أبي يجلس لأصحاب الحديث من بكرة إلى ارتفاع النهار، ثم ينصرف فيقيل، ثم يصلي الظهر ويقصد طريق المشرعة التي يصعد منها أصحاب الروايا، فيريحون نواضحهم، فيعلمهم من القرآن ما يؤدون به الفرض إلى حدود العصر، ثم يرجع إلى مسجده فيصلي العصر، ثم يجلس يتلو ويذكر الله إلى آخر النهار، ثم يدخل منزله فيفطر على نحو عشرة أرطال نبيذ، فيشرب منها، ثم يصلي ورده، كلما صلي ركعتين شرب منها حتى ينفدها ثم ينام. -[١٢٣٦]-

قال نعيم بن حماد: تعشينا عند وكيع، فقال: أي شيء تريدون؟ أجيئكم بنبيذ الشيوخ أو نبيذ الفتيان؟ فقلت: تكلم بهذا؟! قال: هو عندي لأحل من ماء الفرات.

قلت: ماء الفرات لم يختلف فيه، وقد اختلف في هذا.

وقال الفسوي: قد سئل أحمد إذا اختلف وكيع وعبد الرحمن؟ فقال: عبد الرحمن يوافق أكثر خاصة في سفيان، وعبد الرحمن كان يسلم عليه السلف ويجتنب المسكر، ولا يرى أن يزرع في أرض الفرات.

وقال عباس: قلت لابن معين: إذا اختلف وكيع وأبو معاوية في حديث الأعمش؟ قال: يوقف حتى يجيء من يتابع أحدهما. ثم قال: كانت الرحلة إلى وكيع في زمانه.

قال ابن معين: لقيت عند مروان بن معاوية لوحا فيه: فلان رافضي، وفلان كذا، ووكيع رافضي، فقلت لمروان: وكيع خير منك. فبلغ وكيعا ذلك، فقال: يحيى صاحبنا. وكان بعد ذلك يعرف لي ويرحب.

قال أحمد بن سنان: كان وكيع يكونون في مجلسه كأنهم في صلاة، فإن أنكر من أحد شيئا قام. وكان عبد الله بن نمير يغضب ويصيح، وإذا رأى من يبري قلما تغير وجهه غضبا.

قال تميم بن محمد الطوسي: سمعت أحمد يقول: عليكم بمصنفات وكيع.

وروى عبد الله بن أحمد عن أبيه قال: أخطأ وكيع في خمسمائة حديث.

قال أبو هشام الرفاعي: سمعت وكيعا يقول: من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أنه محدث، ومن زعم أن القرآن محدث فقد كفر. فيقول: احتج بعض المبتدعة بقول الله

تعالى: (ما يأتيهم من ذكر ربهم محدث)، وبقوله تعالى: (لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا)، وهذا قال فيه علماء السلف معناه: إنه أحدث إنزاله إلينا، وكذا في الحديث الصحيح: " إن -[١٢٣٧]- الله يحدث من أمره ما شاء ". وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة، فالقرآن العظيم كلام الله ووحيه وتنزيله، وهو غير مخلوق.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت وكيعا يقول: ما أحدث حديثا قط عرضا.

قال ابن أبي الحواري: ذكرت لابن معين وكيعا، فقال: وكيع عندنا ثبت.

وقال عبد الرحمن بن الحكم بن بشير: وكيع عن سفيان غاية الإسناد، ليس بعده شيء، ما أعدل بوكيع أحدا. فقيل له: أبو معاوية؟ فنفر من ذلك.

نوح بن حبيب: حدثنا وكيع قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: حضرت موت سفيان، فكان عامة كلامه: ما أشد الموت. قال نوح: فأتيت ابن مهدي فقلت: حدثنا وكيع عنك، وحكيت له الكلام، وكان متكئا فقعد، فقال: أنا حدثت أبا سفيان؟ جزى الله أبا سفيان خيرا، ومن مثل أبي سفيان، وما يقال لمثل أبي سفيان.

علي بن خشرم: حدثنا وكيع، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله البهي أن أبا بكر الصديق جاء إلى النبي ﷺ بعد وفاته، فأكب عليه فقبله وقال: بأبي وأمي، ما أطيب حياتك ومماتك. ثم قال البهي: وكان النبي ترك يوما وليلة حتى ربا بطنه وأنثنت خنصراه. قال ابن خشرم: فلما حدث وكيع بهذا بمكة اجتمعت قريش وأرادوا صلبه، ونصبوا خشبة ليصلبوه، فجاء ابن عيينة فقال لهم: الله الله، هذا فقيه أهل العراق وابن فقيهه، وهذا حديث معروف. قال: ولم أكن سمعته، إلا أني أردت تخليص وكيع.

قال ابن خشرم: سمعته من وكيع بعدما أرادوا صلبه، فتعجبت من جسارته، وأخبرت أن وكيعا احتج فقال: إن عدة من الصحابة منهم عمر قالوا: أن رسول الله ﷺ لم يمت، فأحب الله أن يريهم آية الموت.

رواها أحمد بن محمد بن علي بن رزين الباشاني عن علي بن خشرم، ورواه قتيبة عن وكيع.

وهذه هفوة من وكيع كادت تذهب فيها نفسه، فما له ولرواية هذا الخبر -[١٢٣٨]- المنكر المنقطع، وقد قال النبي ﷺ: "كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع "، ولولا

أن الحافظ ابن عساكر وغيره ساقوا القصة في تواريخهم لتركتها ولما ذكرتها، ولكن فيها عبرة.

قال الفسوي في تاريخه: وفي هذه السنة حدث وكيع بمكة عن إسماعيل عن البهي، وذكر الحديث. قال: فرفع إلى العثماني فحبسه، وعزم على قتله، ونصبت خشبة خارج الحرم، وبلغ وكيعا وهو محبوس، قال الحارث بن صديق: فدخلت عليه لما بلغني وقد سبق إليه الخبر. قال: وكان بينه وبين سفيان بن عيينة يومئذ متباعد، فقال: ما أرانا إلا قد اضطررنا إلى هذا الرجل واحتجنا إليه؛ يعني سفيان. فقلت: دع هذا عنك، فإن لم يدركك قتلت. فأرسل إليه وفزع إليه، فدخل سفيان على العثماني فكلمه فيه، والعثماني يأبى عليه، فقال له سفيان: إني لك ناصح، إن هذا رجل من أهل العلم، وله عشيرة، وولده بباب أمير المؤمنين، فتشخص لمناظرتهم. قال: فعمل فيه كلام سفيان، فأمر بإطلاقه. فرجعت إلى وكيع فأخبرته، وأخرج، فركب حمارا، وحملنا متاعه، وسافر، فدخلت على العثماني من الغد وقلت: الحمد لله الذي لم تبتل بهذا الرجل، وسلمك الله. قال: يا حارث، ما ندمت على شيء ندامتي على تخليته، خطر ببالي هذه الليلة حديث جابر بن عبد الله قال: حولت أبي والشهداء بعد أربعين سنة فوجدناهم رطابا يثبتون، لم يتغير منهم شيء.

قال الفسوي: فسمعت سعيد بن منصور يقول: كنا بالمدينة، فكتب أهل مكة إلى أهل المدينة بالذي كان من وكيع، وقالوا: إذا قدم عليكم فلا تتكلوا على الوالي، وارجموه حتى تقتلوه. قال: فعرضوا علي ذلك، وبلغنا الذي هم عليه، فبعثنا بريدا إلى وكيع أن لا يأتي المدينة، ويمضي من طريق الربذة. وكان قد جاوز مفرق الطريقين، فلما أتاه البريد رد، ومضى إلى الكوفة. -[١٢٣٩]-

وقد ساق ابن عدي هذه الواقعة في ترجمة عبد المجيد بن أبي رواد، ونقل أنه هو الذي أفتى بقتل وكيع، فقال: أخبرنا محمد بن عيسى المروزي فيما كتب إلي قال: حدثنا أبي عيسى بن محمد قال: حدثنا العباس بن مصعب قال: حدثنا قتيبة قال: حدثنا وكيع قال: حدثنا ابن أبي خالد، فساق الحديث. ثم قال قتيبة: حدث وكيع بهذا بمكة سنة حج الرشيد، فقدموه إليه، فدعا الرشيد سفيان بن عيينة وعبد المجيد، فأما عبد المجيد

فإنه قال: يجب أن يقتل، فإنه لم يرو هذا إلا من في قلبه غش للنبي ﷺ. وقال سفيان: لا قتل عليه، رجل سمع حديثا فرواه، المدينة شديدة الحر، توفي النبي ﷺ فترك ليلتين؛ لأن القوم كانوا في إصلاح أمر الأمة، واختلفت قريش والأنصار، فمن ذلك تغير. قال قتيبة: فكان وكيع إذا ذكر فعل عبد المجيد قال: ذاك جاهل، سمع حديثا لم يعرف وجهه فتكلم بما تكلم.

عن مليح بن وكيع قال: لما نزل بأبي الموت أخرج يديه فقال: يا بني، ترى يدي ما ضربت بها شيئا قط.

قال مليح: فحدثني داود بن يحيى بن يمان قال: رأيت رسول الله ﷺ في النوم، فقلت: يا رسول الله، من الأبدال؟ قال: الذين لا يضربون بأيديهم شيئا، وإن وكيعا منهم.

قلت: بل من ضرب بيديه في سبيل الله فهو أفضل.

قال علي بن عثام: مرض وكيع فدخلنا عليه، فقال: إن سفيان أتاني فبشرني بجواره، فأنا مبادر إليه.

غنجار في تاريخه: حدثنا أحمد بن سهل، سمعت قيس بن أنيف، سمعت يحيى بن جعفر، سمعت عبد الرزاق يقول: يا أهل خراسان، إنه نعي لي إمام خراسان؛ يعني وكيعا. قال: فاهتممنا لذلك. ثم قال: بعدا لكم يا معشر الكلاب، إذا سمعتم من أحد شيئا اشتهيتم موته.

قلت: ومن جسارته كونه حج بعد تيك المحنة.

قال أبو هشام الرفاعي: مات وكيع سنة سبع وتسعين ومائة يوم عاشوراء، ودفن بفيد؛ يعني راجعا من الحج. -[١٢٤٠]-

وقال أحمد: حج وكيع سنة ست وتسعين، ومات بفيد.." (١)

١٢٠. "٢٣٦ - نزار، أبو منصور العزيز بالله ابن المعز بالله أبي تميم معد ابن المنصور بالله أبي الطاهر إسماعيل ابن القائم بأمر الله محمد العبيدي، [المتوفى: ٣٨٦ هـ] المدعون أنهم علويون فاطميون.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ابن ثرثال ١٢٣٠/٤

وهذا هو صاحب مصر والشام والغرب، ووالد الحاكم. ولي -[٦٠٢]- المملكة بعد والده في ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة، وله إحدى وعشرون سنة.

وكان كريما شجاعا، حسن الصفح.

قال المسبحي: وفي أيامه بني قصر البحر بالقاهرة الذي لم يكن مثله لا في شرق ولا غرب، وقصر الذهب، وجامع القرافة. وكان أسمر، أصهب الشعر، أعين أشهل، بعيد ما بين المنكبين، حسن الخلق، قريبا من الناس، لا يؤثر سفك الدماء، وكان مغرى بالصيد، ويتصيد السباع، وكان أديبا فاضلا، فذكر له أبو منصور الثعالبي في " يتيمة الدهر " هذه:

نحن بنو المصطفى ذوو محن ... تجرعها في الحياة كاظمنا

عجيبة في الأنام محنتنا ... أولنا مبتلى وخاتمنا

يفرح هذا الورى بعيدهم ... طرا وأعيادنا مآتمنا

وكان قد مات له ابن في العيد، فقال هذا. ثم قال أبو منصور: سمعت الشيخ أبا الطيب يحكي أن الأموي صاحب الأندلس كتب إليه نزار صاحب مصر كتابا يسبه فيه ويهجوه، فكتب إليه: " أما بعد، فإنك قد عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك " قال: فاشتد ذلك على نزار، وأفحمه عن الجواب، يعني أنه دعي لا يعرف قبيلته، حتى كان يهجوه.

وقال أبو الفرج بن الجوزي: كان العزيز قد ولى عيسى بن نسطور النصراني، واستناب بالشام منشا اليهودي، فكتبت إليه امرأة: بالذي أعز اليهود بمنشا، والنصارى بابن نسطور، وأذل المسلمين بك، إلا نظرت في أمري، فقبض على اليهودي والنصراني، وأخذ من ابن نسطور ثلاثمائة ألف دينار.

قال ابن خلكان، : وأكثر أهل العلم لا يصححون نسب المهدي عبيد الله جد خلفاء مصر، حتى أن العزيز في أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة، فوجد هناك ورقة فيها: -[٦٠٣]-

إذا سمعنا نسبا منكرا ... نبكي على المنبر في الجامع

إن كنت فيما تدعي صادقا ... فاذكر أبا بعد الأب السابع

وإن ترد تحقيق ما قلته ... فانسب لنا نفسك كالطائع

أو لا دع الأنساب مستورة ... وادخل بنا في النسب الواسع

فإن أنساب بني هاشم ... يقصر عنها طمع الطامع

وصعد العزيز يوما آخر المنبر فرأى ورقة فيها مكتوب:

بالظلم والجور قد رضينا ... وليس بالكفر والحماقة

إن كنت أوتيت علم غيب ... فقل لنا كاتب البطاقه

قال ابن خلكان: وذلك أنهم ادعوا علم المغيبات، وأخبارهم في ذلك مشهورة.

وفتحت للعزيز حمص وحماة وحلب، وخطب له صاحب الموصل أبو الذواد محمد بن المسيب العقيلي بالموصل سنة اثنتين وثمانين، وضرب اسمه على السكة والإعلام، وخطب له أيضا باليمن.

ومات في رمضان، وعمره اثنتان وأربعون سنة وأشهر، ببلبيس في حمام من قولنج لحقه.." (١)

١٢١. "١١٧ - محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر ابن الباقلاني البصري، [المتوفى: ٤٠٣ هـ]

صاحب التصانيف في علم الكلام.

سكن بغداد، وكان في فنه أوحد زمانه. سمع أبا بكر القطيعي، وأبا محمد بن ماسي، وخرج له أبو الفتح بن أبي الفوارس.

وكان ثقة عارفا بعلم الكلام، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية.

وذكره القاضي عياض في " طبقات الفقهاء المالكية "، فقال: هو الملقب بسيف السنة ولسان الأمة، المتكلم على لسان أهل الحديث وطريق أبي الحسن الأشعري. وإليه انتهت رياسة المالكيين في وقته. وكان له بجامع المنصور حلقة عظيمة. روى عنه أبو ذر الهروي، وأبو جعفر محمد بن أحمد السمناني، والحسين بن حاتم.

وقال الخطيب: كان ورده كل ليلة عشرين ترويحة في الحضر والسفر، فإذا فرغ منها،

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ابن ثرثال ٦٠١/٨

كتب خمسا وثلاثين ورقة من تصنيفه، سمعت أبا الفرج محمد بن عمران يقول ذلك، وسمعت علي بن محمد الحربي يقول: -[٦٤]- جميع ما كان يذكر أبو بكر ابن الباقلاني من الخلاف بين الناس صنفه من حفظه، وما صنف أحد خلافا إلا احتاج أن يطالع كتب المخالفين سوى ابن الباقلاني.

قلت: وقد أخذ ابن باقلاني علم النظر عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مجاهد الطائي صاحب الأشعري.

وقد ذهب في الرسلية إلى ملك الروم، وجرت له أمور، منها أن الملك أدخله عليه من باب خوخة ليدخل راكعا للملك، ففطن لها، ودخل بظهره. ومنها: أنه قال لراهبهم: كيف الأهل والأولاد، فقال له الملك: أما علمت أن الراهب يتنزه عن هذا؟ فقال: تنزهونه عن هذا، ولا تنزهون الله تعالى عن الصاحبة والولد؟! وقيل: إن طاغية الروم سأله كيف جرى لعائشة، وقصد توبيخه، فقال: كما جري لمريم، فبرأ الله المرأتين، ولم تأت عائشة بولد. فأفحمه، ولم يحر جوابا.

قال الخطيب: سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول: كل مصنف ببغداد إنما ينقل من كتب الناس إلى تصانيفه، سوى القاضي أبي بكر، فإن صدره يحوي علمه وعلم الناس.

وقال أبو محمد اليافي: لو أوصي رجل بثلث ماله لأفصح الناس، لوجب أن يدفع إلى أبي بكر الأشعري.

وقال الإمام أبو حاتم محمود بن الحسين القزويني: كان ما يضمره القاضي أبو بكر الأشعري من الورع والديانة أضعاف ما كان يظهره، فقيل له في ذلك، فقال: إنما أظهر ما أظهره غيظا لليهود والنصارى والمعتزلة والرافضة، لئلا يستحقروا علماء الحق، وأضمر ما أضمره؛ فإني رأيت آدم مع حالته نودي عليه بذوقه، وداود بنظره، ويوسف بهمه، ونبينا بخطره، عليهم السلام.

ولبعضهم في أبي بكر ابن الباقلاني:

أنظر إلى جبل تمشي الرجال به ... وانظر إلى القبر ما يحوي من الصلف

وانظر إلى صارم الإسلام متغمدا ... وانظر إلى درة الإسلام في الصدف -[٦٥]-

توفي في ذي القعدة لسبع بقين منه، وصلى عليه ابنه الحسن، ودفن بداره، ثم نقل إلى مقبرة باب حرب.." (١)

١٢٢. "وروي عن وكيع: أن رجلا أغلظ له، فدخل بيتا، فعفر وجهه، ثم خرج إلى الرجل، فقال: زد وكيعا بذنبه، فلولاه، ما سلطت عليه.

نصر بن المغيرة البخاري: سمعت إبراهيم بن شماس يقول: رأيت أفقه الناس وكيعا، وأحفظ الناس ابن المبارك، وأورع الناس الفضيل.

قال مروان بن محمد الطاطري: ما رأيت فيمن رأيت أخشع من وكيع، وما وصف لي أحد قط إلا رأيته دون الصفة، إلا وكيعا، رأيته فوق ما وصف لي.

قال سعيد بن منصور: قدم وكيع مكة، وكان سمينا، فقال له الفضيل بن عياض: ما هذا السمن وأنت راهب العراق؟! قال: هذا من فرحي بالإسلام، فأفحمه.

أبو سعيد الأشج: سمعت وكيعا يقول: الجهر بالبسملة بدعة.

قال الفضل بن عنبسة: ما رأيت مثل وكيع من ثلاثين سنة.

وقال إسحاق بن راهويه: حفظي وحفظ ابن المبارك تكلف، وحفظ وكيع أصلي، قام وكيع، فاستند، وحدث بسبع مائة حديث حفظا.

وقال محمود بن آدم: تذاكر بشر بن السري ووكيع ليلة -وأنا أراهما- من العشاء إلى الصبح، فقلت لبشر: كيف رأيته؟ قال: ما رأيت أحفظ منه.

وقال سهل بن عثمان: ما رأيت أحفظ من وكيع.

قال أحمد بن حنبل: كان وكيع مطبوع الحفظ.

وقال محمد بن عبد الله بن نمير: كانوا إذا رأوا وكيعا، سكتوا -يعني: في الحفظ والإجلال.

وقال أبو حاتم: سئل أحمد عن يحيى وابن مهدي ووكيع، فقال: وكيع أسردهم.

أبو زرعة الرازي: سمعت أبا جعفر الجمال يقول: أتينا وكيعا، فخرج بعد ساعة وعليه ثياب مغسولة، فلما بصرنا به، فزعنا من النور الذي رأيناه يتلألأ من وجهه. فقال رجل بجنبي: أهذا ملك؟ فتعجبنا من ذلك النور.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ابن ثرثال ٩/٦٣

وقال أحمد بن سنان: رأيت وكيعا إذا قام في الصلاة، ليس يتحرك منه شيء، لا يزول ولا يميل على رجل دون الأخرى.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت وكيعا يقول: ما نعيش إلا في سترة، ولو كشف الغطاء، لكشف عن أمر عظيم، الصدق النية.." (١)

١٢٣. "حسن الأخلاق قريبا من الرعية مغرى بالصيد ويكثر من صيد السباع ولا يؤثر سفك الدماء وله نظم ومعرفة.

توفي في العيد ولد له فقال:

نحن بنو المصطفى ذوو محن ... أولنا مبتلى وخاتمنا

عجيبة في الأنام محنتنا ... يجرعها في الحياة كاظمنا

يفرح هذا الورى بعيدهم ... طرا وأعيادنا مآتمنا

قال: أبو منصور الثعالبي في "اليتيمة"، سمعت الشيخ أبا الطيب يحكي أن الأموي صاحب الأندلس كتب إليه نزار صاحب مصر كتابا سبه فيه وهجاه فكتب إليه الأموي أما بعد، فإنك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك فاشتد هذا على العزيز وأفحمه، عن الجواب يشير أنك دعي لا نعرف قبيلتك.

قال أبو الفرج ابن الجوزي: كان العزيز قد ولى عيسى بن نسطورس النصراني أمر مصر، واستناب منشا اليهودي بالشام، فكتبت إليه امرأة بالذي أعز اليهود والنصارى بمنشا وابن نسطورس وأذل المسلمين بك إلا ما نظرت في أمري، فقبض على الاثنين، وأخذ من عيسى ثلاث مائة ألف دينار.

قال ابن خلكان وغيره: أكثر أهل العلم لا يصححون نسب المهدي عبيد الله جد خلفاء مصر، حتى إن العزيز في أول ولايته صعد المنبر يوم جمعة فوجد هناك رقعة فيها:

إذا سمعنا نسبا منكرا ... نبكي على المنبر والجامع

إن كنت فيما تدعي صادقا ... فاذكر أبا بعد الأب الرابع

وإن ترد تحقيق ما قلته ... فانسب لنا نفسك كالطائع

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث ابن ثرثال ٥٦٨/٧

أولا دع الأنساب مستورة ... وادخل بنا في النسب الواسع

فإن أنساب بني هاشم ... يقصر عنها طمع الطامع

وصعد مرة أخرى، فرأى ورقة فيها:

بالظلم والجور قد رضينا ... وليس بالكفر والحماقه

إن كنت أعطيت علم غيب ... فقل لنا كاتب البطاقه." (١)

١٢٤. "وقد ذكره القاضي عياض في طبقات المالكية، فقال: هو الملقب بسيف السنة، ولسان الأمة، المتكلم على لسان أهل الحديث، وطريق أبي الحسن، وإليه انتهت رئاسة المالكية في وقته، وكان له بجامع البصرة حلقة عظيمة.

حدث عنه: الحافظ أبو ذر الهروي، وأبو جعفر محمد بن أحمد السمناني، وقاضي الموصل، والحسين بن حاتم الأصولي.

قال أبو بكر الخطيب: كان ورده في كل ليلة عشرين ترويحة في الحضر والسفر، فإذا فرغ منها، كتب خمسا وثلاثين ورقة من تصنيفه. سمعت أبا الفرج محمد بن عمران يقول ذلك. وسمعت علي بن محمد الحربي يقول: جميع ما كان يذكر أبو بكر بن الباقلاني من الخلاف بين الناس صنفه من حفظه، وما صنف أحد خلافا إلا احتاج أن يطالع كتب المخالفين، سوى ابن الباقلاني.

قلت: أخذ القاضي أبو بكر المعقول عن أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن مجاهد الطائي صاحب أبي الحسن الأشعري.

وقد سار القاضي رسولا عن أمير المؤمنين إلى طاغية الروم، وجرت له أمور، منها أن الملك أدخله عليه من باب خوخة ليدخل راكعا للملك، ففطن لها القاضي، ودخل بظهره.

ومنها أنه قال لراهبهم، كيف الأهل والأولاد؟ فقال الملك: مه! أما علمت أن الراهب يتنزه عن هذا؟ فقال: تنزهونه عن هذا، ولا تنزهون رب العالمين عن الصاحبة والولد! وقيل: إن الطاغية سأله: كيف جرى لزوجة نبيكم؟ يقصد توبيخا قال: كما جرى لمريم

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث ابن ثرثال ٤٣٢/١١

بنت عمران، وبرأهما الله، لكن عائشة لم تأت بولد. فأفحمه.
قال الخطيب: سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول: كل مصنف ببغداد إنما ينقل من كتب الناس سوى القاضي أبي بكر، فإنما صدره يحوي علمه وعلم الناس.
وقال أبو محمد الباقي: لو أوصى رجل بثلث ماله لأفصح الناس، لوجب أن يدفع إلى أبي بكر الأشعري.
قال أبو حاتم محمود بن الحسين القزويني: كان ما يضمره القاضي أبو بكر الأشعري من الورع والدين أضعاف ما كان يظهره، فقيل له في ذلك، فقال: إنما أظهر ما أظهره غيظا لليهود والنصارى، والمعتزلة والرافضة، لئلا يستحقروا علماء الحق.
وعمل بعضهم في موت القاضي:." (١)

١٢٥. "وأنت راهب العراق؟ قال: هذا من فرحي بالإسلام فأفحمه. قال ابن عمار: ما كان بالكوفة في زمان وكيع أفقه ولا أعلم بالحديث منه. وقال أبو داود ما رئي لوكيع كتاب قط.
قال أحمد بن حنبل: ما رأت عيني مثل وكيع قط يحفظ الحديث ويذاكر بالفقه فيحسن مع ورع واجتهاد ولا يتكلم في أحد. قال حماد بن مسعدة قد رأيت الثوري، ما كان مثل وكيع. وقال أحمد بن زهير سمعت يحيي بن معين يقول: من فضل عبد الرحمن على وكيع فعليه كذا وكذا -ولعن. قال أبو حاتم وكيع أحفظ من ابن المبارك. وقال أحمد بن حنبل: عليكم بمصنفات وكيع. وقال ابن المديني: كان وكيع يلحن ولو حدثت عنه بألفاظه لكانت عجبا يقول عن عيشة١. وروى أبو هشام وغيره عن وكيع قال: من زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر. وقيل كان وكيع أعور. وقد سقت أخباره في تاريخ الإسلام وهي طويلة في تاريخ دمشق. توفي وكيع بفيد راجعا من الحج سنة سبع وتسعين ومائة يوم عاشوراء. قال وكيع: الجهر بالبسملة بدعة سمعه منه أبو سعيد الأشج وقد وصل إنسانا مرة بصرة دنانير لكونه كتب من محبرته وقال: اعذرني فإني لا أملك غيرها رحمة الله عليه.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث ابن ثرثال ١٢/١٣

٢٨٥- ٥٤/ ٦ ع- خالد بن الحارث الحافظ الحجة أبو عثمان الهجيمي البصري: حدث عن أيوب السختياني وحميد الطويل وعبيد الله بن عمر وهشام بن عروة وابن عون وطبقتهم. وعنه إسحاق بن راهويه وابن المديني والقواريري وأحمد بن المقدام ومحمد بن المثنى والفلاس والحسن بن عرفة وخلق كثير. وقد حدث عنه من شيوخه شعبة. قال أحمد بن حنبل: إليه المنتهى في التثبت بالبصرة. وقال أبو حاتم الرازي: ثقة إمام. وقال الترمذي: ثقة مأمون، سمعت محمد بن المثنى يقول: ما رأيت بالبصرة مثل خالد بن الحارث، ولا بالكوفة مثل عبد الله بن إدريس قلت: توفي خالد بن الحارث في سنة ست وثمانين ومائة تعالى تقع عواليه في جزء الحفار.

٢٨٦- ٥٥/ ٦ ع- بشر بن المفضل بن لاحق الإمام الثقة أبو إسماعيل الرقاشي مولاهم البصري الحافظ العابد: حدث عن سهيل بن أبي صالح ويحيى بن سعيد وحميد الطويل

---

١ في التهذيب "كان يقول حدثنا مسعر عن عيينة" وفي هامشه "عنبسة".

٢٨٥- تهذيب التهذيب: ٣/ ٨٢. تقريب التهذيب: ١/ ٢١٢.الجرح والتعديل: ٣/ ٣٢٥. الثقات: ٦/ ٢٦٧. تاريخ البخاري الكبير: ٣/ ١٤٥.

٢٨٦- تهذيب الكمال: ١/ ١٥١. تهذيب التهذيب: ١/ ٤٥٨. تقريب التهذيب: ١/ ١٠١. خلاصة تهذيب الكمال: ١/ ١٢٨. الكاشف: ١/ ١٥٧. تاريخ البخاري الكبير: ٢/ ٨٤. تاريخ البخاري الصغير: ٢/ ٢٤١، ٢٤٢. الجرح والتعديل: ٢/ ١٤١٠. الثقات: ٦/ ٩٧. طبقات الحفاظ: ٦٧. طبقات ابن سعد: ٧/ ٣٠٣. البداية والنهاية: ١٠/ ١٩٩. الوافي بالوفيات: ١٠/ ١٥٦/ ٤٦٢٠. سير الأعلام: ٩/ ٣٦.." (١)

١٢٦. "سأل عمر بن عبد العزيز أبا بردة: كم أتى عليك؟ قال: أشدان – يعني ثمانين سنة. ولما ولي الحجاج العراق عزل أبا بردة عن قضاء الكوفة

---

(١) تذكرة الحفاظ = طبقات الحفاظ للذهبي ابن ثرثال ٢٢٥/١

بأخيه أبي بكر.

قلت: كان أبو بردة قد ولي القضاء بعد شريح (١). وروي (٢) أن الفرزدق أراد غيظه لا أخذ يتكثر بأبيه ويذكر مناقبه. قال: لو لم يكن لأبي موسى منقبة إلا أنه حجم النبي -ﷺ- (فامتعض) (٣) أبو بردة لها وقال ما حجم أحدا قبله ولا بعده. فقال الفرزدق: كان أبو موسى أورع [من] (٤) أن يجرب الحجامة في رسول الله -ﷺ- فأفحمه.

وروى معمر (١) عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه قال: أرسلني أبي إلى عبد الله بن سلام أتعلم منه فقال: يا ابن أخي، أنت بأرض تجار فإذا كان لك على أحد مال وأهدي لك حملة من تبن فلا تقبلها فإنها ربا.

قال المؤلف: قال الواقدي وعبد الله بن [عياش المنتوف] (٥): توفي سنة [ثلاث] (٦) ومائة، وقال خليفة وجماعة: سنة أربع.

٨٠٠٤ - [ع]: أبو بردة (٧) بن نيار البلوي، حليف الأنصار له صحبة، واسمه هانئ، وقيل: الحارث بن عمرو، وقيل: مالك بن هبيرة، شهد بدرا والمشاهد وروى أحاديث.

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٦٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٧).

(٣) في "خ": فامتص. والمثبت من "الأصل، هـ" والسير.

(٤) من "خ".

(٥) في "الأصل": عباس المسوف. والصواب ما. أثبتناه من "خ، هـ" والإكمال لابن ماكولا (٦/ ٧٣).

(٦) في "الأصل": أربع. خطأ وعلق عليها في الحاشية: لعل أحدهما قال سنة

ثلاثة وهو قول الهيثم. وما أثبتناه من "خ، ه" والتهذيب.

(٧) تهذيب الكمال (٣٣/ ٧١).." (١)

١٢٧. "قال: هذا من فرحي بالإسلام، فأفحمه. وقال إبراهيم بن شماس السمرقندي: لو تمنيت كنت أتمني عقل ابن المبارك وورعه، وزهد ابن فضيل ورقته، وعبادة وكيع وحفظه، وخشوع عيسى بن يونس، وصبر حسين الجعفي صبر ولم يتزوج، ولم يدخل في شيء من أمر الدنيا.

وقال طاهر بن محمد المصيصي: سمعت وكيعا يقول: لو علمت أن الصلاة أفضل من الحديث ما حدثتكم. وقال ابن سعد: كان وكيع ثقة مأمونا عاليا رفيعا كثير الحديث حجة. وقال العجلي: كوفي ثقة عابد صالح أديب حافظ، وكان يفتي. وقال أحمد ابن شبويه: قال سفيان ابن عبد الملك صاحب ابن المبارك: كان وكيع أحفظ من ابن المبارك.

وقال محمد بن نعيم البلخي، عن مليح بن وكيع قال: لما نزل بأبي الموت أخرج إلي يديه فقال: يا بني، ترى يدي؟ ما ضربت بهما شيئا قط. قال مليح: فحدثني داود بن يحيي بن يمان قال: رأيت رسول الله -ﷺ- في النوم فقلت: يا رسول الله، من الأبدال؟ قال: الذين لا يضربون بأيديهم شيئا، وإن وكيع بن الجراح منهم. وقال علي بن عثام: مرض وكيع فعدناه فقال: إن سفيان الثوري أتاني فبشرني بجواره وأنا مبادر إليه.

قلت: كان وكيع عظيم القدر بعيد الصيت إماما عالما عاملا منقطع القرين. قال أحمد بن أبي خيثمة (١): حدثنا محمد بن يزيد، حدثني حسين قال: كنت مع وكيع فأقبلنا جميعا من المصيصة فأتينا الشام، فما أتينا بلدا إلا استقبلنا واليها، وشهدنا الجمعة في مسجد دمشق، فلما سلم الإمام أطافوا بوكيع، فلما اثصرف فحدث به مليحا ابنه فقال:

---

(١) تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ابن ثرثال ١٩١/١٠

رأيت في جسده آثارا خضرا مما زحم ذلك اليوم. وقال (٢) محمد بن عبد الله بن عمار (٣): أحرم وكيع من بيت المقدس. وقال محمد بن خلف التيمي (٣): أخبرنا وكيع قال: أتيت الأعمش فقلت: حدثني.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٤٤ - ١٤٥).

(٢) زاد في "خ، ه": الأعمش و.

(٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٤٥).." [١]

١٢٨. "كتب مالك الروم إلى ملك فارس: كل شيء تقوله كذب. فكتب إليه: صدقت. أي أني في تصديقك كاذب.

قال بعضهم: التقى رجلان في بعض بلاد الهند، فقال أحدهما للآخر وكان غريبا: ما أقدمك بلادنا؟ فقال: قدمت أطلب علم الوهم. قال: فتوهم أنك قد أصبته، وانصرف. فأفحمه.

قال رجل لسليمان الشاذكوني: أرانيك الله يا أبا أيوب على قضاء أصبهان. فقال له سليمان: إن كان ولا بد فعلي خراجها، فإن أخذ مال الأغنياء أسهل من أخذ أموال اليتامى.

قال رجل من ولد عيسى بن موسى لشريك بن عبد الله حين عزل عن القضاء: يا أبا عبد الله، هل رأيت قاضيا عزل؟ قال: نعم، وولي عهد خلع.

قال مصعب بن الزبير لسكينة بنت الحسين: أنت مثل البغلة لا تلدين.

قالت: لا والله، ولكن أبى كرمي أن يقبل لؤمك.

قال رجل لآخر: إن قلت كلمة سمعت عشرا. فقال له: لو قلت عشرا ما سمعت كلمة.

قال محمد بن مسعر: كنت أنا ويحيى بن أكثم عند سفيان، فبكى سفيان. فقال له يحيى: ما يبكيك يا أبا محمد؟ فقال له: بعد مجالستي أصحاب أصحاب رسول الله ﷺ

---

(١) تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ابن ثرثال ٣٥٤/٩

بليت بمجالستكم. فقال يحيى وكان حدثا: فمصيبة أصحاب أصحاب رسول الله بمجالستك إياهم بعد أصحاب رسول الله ﷺ أعظم من مصيبتك. فقال: يا غلام، أظن السلطان سيحتاج إليك.

دعا الحجاج رجلا ليوجهه إلى محاربة عدو، فقال له: أعندك خير؟ قال: لا، ولكن عندي شر. قال: هذا هو الذي أريدك له، امض لوجهك.

أكل أعرابي من بني عذرة مع معاوية، فجرف ما بين يدي معاوية، ثم مد يده ههنا وههنا، ورأى بين يدي معاوية ثريدة كثيرة السمن فجر ها، فقال معاوية: «أخرقتها لتغرق أهلها» (١). فقال الأعرابي: لا، ولكن «سقناه إلى بلد ميت» (٢).." (١)

١٢٩. "فكافأناه. فقال له: أصلحك الله، إنه كان على باب كسرى ساجة منقوشة بالذهب مكتوب عليها: العمل للكفاءة، وقضاء الحقوق على بيوت الأموال، فأمر المهدي بعزل العامل.

وتظلم أهل الكوفة إلى المأمون من عامل ولاه عليهم، فقال: ما علمت في عمالي أعدل ولا أقوم بأمر الرعية، وأعود بالرفق عليهم منه. فقام رجل من القوم، فقال: يا أمير المؤمنين: ما أحد أولى بالعدل والإنصاف منك. فإذا كان عاملنا بهذه الصفة فينبغي أن يعدل بولايته بين أهل البلدان، ويساوى به بين أهل الأمصار، حتى يلحق كل بلد وأهله من عدله وإنصافه مثل الذي لحقنا. وإذا فعل ذلك أمير المؤمنين فلا يصيبنا منه أكثر من ثلاث سنين. فضحك المأمون، وعزل العامل عنهم.

قال أحمد بن أبي خالد يوما لثمامة: أنا أعرف لكل واحد ممن في هذه الدار معنى غيرك، فإني لا أعرف لك معنى، ولا أدري لماذا تصلح. فقال ثمامة: أنا أصلح أن أشاور في مثلك، هل تصلح لموضعك. فأفحمه.

حمل بعض الصوفية طعاما إلى طحان ليطحنه، فقال: أنا مشغول. فقال: اطحنه وإلا دعوت عليك وعلى حمارك ورحاك. قال: وأنت مجاب الدعوة؟

---

(١) نثر الدر في المحاضرات ط- أخرى الآبي ١٢٢/٢

قال: نعم. قال: فادع الله أن يصير حنطتك دقيقا، فهو أنفع لك، وأسلم لدينك.
هجا أبو الهول الحميري الفضل بن يحيى، ثم أتاه راغبا، فقال له الفضل: ويحك، بأي وجه تلقاني؟ قال: بالوجه الذي ألقى به ربي ﷻ، وذنوبي إليه أكثر. فضحك ووصله.
قال الحجاج لسعيد بن جبير: اختر لنفسك أي قتلة شئت. قال: بل اختر أنت فإن القصاص أمامك.
جاء شيخ من بني عقيل إلى عمر بن هبيرة فمت بقرابته، وسأله، فلم يعطه شيئا. فعاد إليه بعد أيام فقال: أنا العقيلي الذي سألك منذ أيام. قال عمر: وأنا الفزاري الذي منعك منذ أيام. فقال: معذرة إلى الله، إني سألتك
وأنا أظنك يزيد بن هبيرة المحاربي فقال: ذاك ألأم لك، وأهون بك علي، نشأ في قومك مثلي ولم تعلم به، ومات مثل يزيد ولا تعلم به. يا حرسي اسفع يده.." (١)

١٣٠. "كتب ملك الروم إلى ملك فارس: كل شيء تقوله كذب. فكتب إليه: صدقت. أي أني في تصديقك كاذب. قال بعضهم: التقى رجلان في بعض بلاد الهند، فقال أحدهما للآخر - وكان غريبا -: ما أقدمك بلادنا؟ فقال: قدمت أطلب علم الوهم. قال: فتوهم أنك قد أصبته، وانصرف. فأفحمه. قال رجل لسليمان الشاذكوني: أرانيك الله يا أبا أيوب على قضاء أصبهان. فقال له سليمان: إن كان ولا بد فعلى خراجها، فإن أخذ مال الأغنياء أسهل من أخذ أموال اليتامى. قال رجل من ولد عيسى بن موسى لشريك بن عبد الله حين عزل عن القضاء: يا أبا عبد الله، هل رأيت قاضيا عزل؟ قال: نعم، وولى عهد خلع. قال مصعب بن الزبير لسكينة بنت الحسين: أنت مثل البغلة لا تلدين. قالت: لا والله، ولكن أبي كرمي أن يقبل لؤمك. قال رجل لآخر: إن قلت كلمة سمعت عشرا. فقال له: لو قلت عشرا. ما سمعت كلمة. قال محمد بن مسعر: كنت أنا ويحيى بن أكثم عند سفيان، فبكى سفيان. فقال له يحيى: ما يبكيك يا أبا محمد؟ فقال له: بعد مجالستي أصحاب أصحاب رسول الله ﷺ، بليت بمجالستكم. فقال يحيى - وكان حدثا -: فمصيبة أصحاب أصحاب رسول الله

---

(١) نثر الدر في المحاضرات ط- أخرى الآبي ١٢٦/٢

ﷺ بمجالستك إياهم بعد أصحاب رسول الله ﷺ أعظم من مصيبتك. فقال: يا غلام، أظن السلطان سيحتاج إليك. دعا الحجاج رجلا ليوجهه إلى محاربة عدو، فقال له: أعندك خير؟ قال: لا، ولكن عندي شر. قال: هذا هو الذي أريدك له، امض لوجهك. أكل أعرابي من بني عذرة مع معاوية، فجرف ما بين يدي معاوية، ثم مد يده هاهنا وهاهنا، ورأى بين يدي معاوية ثريدة كثيرة السمن فجرها، فقال." (١)

١٣١. "فكافأناه. فقال له: أصلحك الله، إنه كان على باب كسرى ساجة منقوشة بالذهب مكتوب عليها: العمل للكفاءة، وقضاء الحقوق على بيوت الأموال، فأمر المهدي بعزل العامل. وتظلم أهل الكوفة إلى المأمون من عامل ولاه عليهم، فقال: ما علمت في عمالي أعدل ولا أقوم بأمر الرعية، وأعود بالرفق عليهم منه. فقام رجل من القوم، فقال: يا أمير المؤمنين: ما أحد أولى بالعدل والإنصاف منك. فإذا كان عاملنا بهذه الصفة فينبغي أن يعدل بولايته بين أهل البلدان، ويساوي به بين أهل الأمصار، حتى يلحق كل بلد وأهله من عدله وإنصافه مثل الذي لحقنا. وإذا فعل ذلك أمير المؤمنين فلا يصيبنا منه أكثر من ثلاث سنين. فضحك المأمون، وعزل العامل عنهم. قال أحمد بن أبي خالد يوما لثمامة: أنا أعرف لكل واحد ممن في هذه الدار معنى غيرك، فإني لا أعرف لك معنى، ولا أدري لماذا تصلح. فقال ثمامة: أنا أصلح أن أشاور في مثلك، هل تصلح لموضعك. فأفحمه. حمل بعض الصوفية طعاما إلى طحان ليطحنه، فقال: أنا مشغول. فقال: اطحنه وإلا دعوت عليك وعلى حمارك ورحاك. قال: وأنت مجاب الدعوة؟ قال: نعم. قال: فادع الله أن يصير حنطتك دقيقا، فهو أنفع لك، واسلم لدينك. هجا أبو الهول الحميري الفضل بن يحيى، ثم أتاه راغبا، فقال له الفضل: ويحك، بأي وجه تلقاني؟ قال: بالوجه الذي ألقى به ربي ﷻ، وذنوبي إليه أكثر. فضحك ووصله. قال الحجاج لسعيد بن جبير: اختر لنفسك أي قتلة شئت. قال: بل اختر أنت؛ فإن القصاص أمامك. جاء شيخ من بني عقيل إلى عمر بن هبيرة فمت بقرابته، وسأله، فلم يعطه شيئا. فعاد إليه بعد أيام فقال: أنا العقيلي الذي سألك

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ١٢٢/٢

منذ أيام. قال عمر: وأنا الفزاري الذي منعك منذ أيام. فقال معذرة إلى الله، إني سألتك." (١)

١٣٢. "وأسلوب الشيخ العز خالي من تعقيدات الفقهاء، وفيه سجع غير متكلف وفي بعض المواضع يغلب عليه أسلوب الوعظ ومن أمثلة ذلك ما قاله في كلام طويل نختصر منه: وعلى الجملة فمن أقبل على الله أقبل الله عليه ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه، ومن تقرب إلى الله شبرا تقرب منه ذراعا، ومن تقرب منه ذراعا تقرب منه باعا، ومن مشى إليه هرول إليه، ومن نسب شيئا إلى نفسه فقد زل وضل، ومن نسب الأشياء إلى خالقها المنعم بها كان في الزيادة لأن الله تعالى قال: "لئن شكرتم لأزيدنكم" (إبراهيم، آية: ٧) "وسنجزي الشاكرين" (آل عمران: ١٤٥) وأفضل ما تقرب به التذلل لعزة الله والتخضع لعظمته والإيحاش لهيبته والتبرى من الحول والقول إلا به، وهذا شأن العارفين ومن خرج عنه فهو طريق الجاهلين أو الغافلين، وقد تمت الحكمة وفرغ من القسمة وسينزل كل أحد في دار قراره حكما عدلا وحقا قصدا وفضلا، وما ثبت في القدم لا يخلفه العدم، ولا تغيره الهمم بعد أن جرى به القلم وقضاه العدل الحكم، فأين المهرب وإلى أين المذهب، وقد عز المطلب، ووقع ما يذهب فيا خيبة من طلب مالم تجر به الأقدار، ولم تكتبه الأقلام، يا لها من مصيبة، ما أعظمها، وخيبة ما أفحمها، أين المهرب من الله، وأين الذهاب عن الله، وأين الفرار من قدرة الله؟ بينما يرى أحدهم قريبا دانيا إذ أصبح بعيدا نائيا لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولاخفظا ولا رفعا (١).

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ١٣).." (٢)

١٣٣. "يجوز في غصن أن يكون مبتدأ، وخبره محذوف، وتقديره: حبيبتي، غصن هذه صفته، وهكذا التقدير في شمس النهار، وأراد بالغصن: قدها، والنقوى: تثنية النقا: وهو الكثيب من الرمل، وعني بهما ردفيها، وبشمس النهار: وجهها، وتقل: تحمل، والليل المظلم: شعرها.

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٢/١٢٦

(٢) الشيخ عز الدين بن عبد السلام – سلطان العلماء وبائع الأمراء ابن شاذان، الحسن بن أحمد ص/٣٩

لم تجمع الأضداد في متشابه ... إلا لتجعلني لغرمي مغنما

أراد بالأضداد ما تقدم في البيت المتقدم من دقة وسطها، وثقل ردفيها، وبياض وجهها، وسواد شعرها، في متشابه أي بدن متشابه، أي يشبه بعضه بعضا في الحسن، وليس بعضها أحسن من بعض، والغرم: ضد الغنم وأصله اللزوم.

يقول: إنها لم تجمع هذه الأضداد في بدن متشابه في الحسن، إلا لتجعلني لغرمي: أي لعشقي إياها غنيمة، فتجمع علي هذين الضدين أيضا، وهما: المغرم والمغنم، وروى: لم تجمع الأضداد لأنها لم تجعل ذلك، فبنى على ما لم يسم فاعله.

كصفات أوحدنا أبي الفضل التي ... بهرت فأنطق واصفيه وأفحما

أي صفات هذه المرأة في اشتمالها على هذه الأضداد، كصفات هذا الممدوح المشتملة على أمرين ضدين: أحدهما: أنها أنطقت الواصفين بذكرها.

والثاني: أنها أفحمت الواصفين دون إدراك غاياتها، وروى المتنبي: أنطقهم بجزيل العطاء، وأفحمهم بالقصور عن المدح والثناء. فعلى هذا نصب واصفيه، بأنطق، وقيل: تقديره كصفات أبي الفضل التي بهرت واصفيه. فأنطق: هو وأفحم.

يعطيك مبتدئا فإن أعجلته ... أعطاك معتذرا كمن قد أجرما

يقول: يعطيك مبتدئا بالعطاء قبل السؤال، فإن استعجلته العطاء، أعطاك معتذرا، كمن قد أذنب.

ويرى التعظم أن يرى متواضعا ... ويرى التواضع أن يرى متعظما

المعنى: أنه يرى بلوغ عظمته في التواضع للناس، ويرى التذلل في حال رؤية الناس إياها متعظما.

نصر الفعال على المطال كأنما ... خال السؤال على النوال محرما

الفعال بفتح الفاء: الفعل الجميل.

يقول: ينصر الفعل الجميل على المطال ويجعل له الغلبة، حتى كأنه ظن السؤال محرما، وروى: على المقال وهو: إما السؤال، وإما وعد الممدوح بالعطاء، فكأنه يقول: يقدم العطاء على السؤال وعلى الوعد.

يا أيها الملك المصفى جوهرا ... من ذات ذي الملكوت أسمى من سما

يقول: يا أيها الملك المصفى، يا أسمى، وأراد ذات الله تعالى: الذي هو ذو الملكوت، وهذا ظاهره يوهم الكفر ويقال: إن هذا الممدوح كان نصرانيا فأظهر الإسلام وهو متهم بالتنصر، فأراد أن يستكشفه عن مذهبه فأورد عبارات النصارى على وجه الانتحال، وغرضه استكشاف حاله ووصف منهجه، فعلى هذا لا يلزم الكفر، ويجوز أن يحمل على أن المراد بالذات: الصنع، فكأنه قال: يأيها الملك المصفى جوهرا من صنع ذي الملكوت، وأراد بذلك تعظيمه وتفضيله. وقوله: أسمى من سما يجوز أن يكون في موضع رفع على أنه خبر ابتداء محذوف، فكأنه يقول أنت أعلى من علا، ويجوز أن يكون في الجر صفة لذات ذي الملكوت، أو الذات أو الملكوت، أي أنه أعلى من كل علا في الأرض.

وروى عنه أنه قال: نعوذ بالله تعالى من الكفر، إنما قلت جوهرا وبينهما تضمين يزيل الظن.

نور تظاهر فيك لاهوتية ... فتكاد تعلم علم ما لن يعلما

تظاهر: أي تولى. ولاهوتية: نصب على المصدر كما يقال: إلهية وروى لاهوتيه ويكون رفعا لأنه فاعل تظاهر، وهذا، إذا حمل على ظاهره فلا يسلم من الكفر، فيحمل حينئذ على أنه أراد به أن النور الذي تفرد به هذا الممدوح نور إلهي. كما يقال: أمر سماوي وإلهي فيكاد يعلم ما لم يعلم من أجل هذا النور، فكأنه يقول: إنك مؤيد بنور، لأجله تقرب من أن تعلم ما لا يعلمه أحد من الأمور.

ويهم فيك إذا نطقت فصاحة ... من كل عضو منك أن يتكلما

يقول: يهم كل عضو منك إذا تكلمت لفرط فصاحتك.

أنا مبصر وأظن أني نائم ... من كان يحلم بالإله فأحلما

يقول: أنا مبصر بعيني وأظنني نائما، من استعظام ما رأيت من هذا الرجل من العظائم والأمور العجائب!! ثم قال: من كان يحلم بالإله فأحلم أنا أيضا! أي أنه لا يمكن أن يرى في المنام لأنه لا يشبهه شيء فشبه هذا الممدوح بما لا يجوز التشبيه به فقال: لا

أدرك كنه وصفك، كما لا يدرك حقيقة ذات الباري تعالى. وهذا إفراط منكر قريب من الكفر.." (١)

١٣٤. "بعثنا بها تسمو العيون وراءها ... إليك وما يخشى عليها كلالها

وغنى مغنينا بصوت فشاقني ... متى راجع من أم عمرو خيالها

أحب لكم قيس بن عيلان كلها ... ويعجبني فرسانها ورجالها

وما لي لا أهوى بقاء قبيلة ... أبوك لها بدر وأنت هلالها

من مليح شعر الجماز

وللجماز مقطعات ملاح، في ضروب الهجاء والامتداح، منها قوله في خصي كان يكايده على قينة؛ يسمى رباح:

ما للخصي رباح ... وللغواني الملاح

أليس زان خصي ... غاز بغير سلاح

وفي مثله يقول ابن الرومي:

معشر أشبهوا القرود ولكن ... خالفوها في خفة الأرواح

نمشة فوق صفرة فتراه ... كونيم الذباب في اللفاح

قال الجاحظ: في الخصي عشرة أحوال متضادة: لم يخرج من ظهره مؤمن، ولا خرج من ظهر مؤمن، وهو أكثر الناس غيرة، وأشدهم قيادة، وهو أضعف الناس معدة، وأشرههم على طعام، وهو أسوأ الناس أدبا، وهو يعلم الأدب، وهو أغزر الناس دمعة، وأقساهم قلبا، وما خلا قط مع امرأة إلا حدثته نفسه أنه رجل، ولا خلا مع رجل إلا حدثته نفسه أنه امرأة.

وقال الجماز لبعض المسجديين:

تركت المسجد الجامع ... والترك له ريبه

فلا نافلة تأتي ... ولا تشهد مكتوبه

وأخبارك تأتينا ... على الأعلام منصوبه

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/١١

فإن زدت من الغيب ... زدناك من الغيبه

ومثله قول أبي القاسم إسماعيل بن عباد، في مغن يعرف بابن عذاب:

أقول قولا بلا احتشام ... يقبله كل من يعيه

ابن عذاب إذا تغنى ... فإنني منه في أبيه

وقال الجماز في المتوكل:

قالوا امتدحت الإمام قلت لهم ... أخاف ألا أحده بصفه

وكيف يعطي على المدائح من ... كان أبو السمط عنده طرفه

كأن إنشادنا مدائحه ... أنصاف كتب ليست بمؤتلفه

أخذه من قول أبي تمام:

أذكت عليك شهاب نار في الحشا ... بالعذل وهنا أخت آل شهاب

عذلا شبيها بالجنون كأنما ... قرأت به الورهاء نصف كتاب

بين علي بن الجهم وأبي السمط

وكان أبو السمط بن أبي حفصة أثيرا عند المتوكل؛ وكان علي بن الجهم يقع فيه لمنزلته عند المتوكل وحسده له؛ فأغرى بينهما يوما فقال لحمدون النديم: أيهما أشعر؟ فقال: يا أمير المؤمنين؛ طرحتني بين لحيي أسدين. قال: لتقولن. قال: أعرقهما بالشعر أشعرهما. فقال المتوكل: يا علي، قد حكم حمدون عليك. قال: علم رأيك فيه فساعدك. فقال المتوكل: تهاجيا. فقال علي: قد كظني الشراب، فإذا أفقت قلت؛ فقال أبو السمط بديها:

إن ابن جهم في المغيب يسبني ... ويقول لي حسنا إذا لاقاني

إن ابن جهم ليس يرحم أمه ... لو كان يرحمها لما عاداني

فضحك المتوكل، وانخذل ابن الجهم؛ فقال أبو السمط:

لعمرك ما جهم بن بدر بشاعر ... وهذا علي بعده يصنع الشعرا

ولكن أبي قد كان جرا لإمه ... فلما تعاطى الشعر أمرا

ولما أفاق علي بن الجهم من سكره قال:

بلاء ليس يشبهه بلاء ... عداوة غير ذي حسب ودين

يبيحك منه عرضا لم يصنه ... ويرتع منك في عرض مصون

العجم والشعر

ودخل الضبي على عبد الله بن طاهر، فأنشد شعرا حسنا وبحضرته أعرابي؛ فقال الأعرابي: ممن تكون؟ قال: من العجم. قال: وما للعجم والشعر وإنما الشعر للعرب، وكل من قاله من العجم فإنما نزا على أمه أعرابي. فقال: وكذلك من لا يقول الشعر منكم، فإنما نزا على أمه أعجمي إذا؟ فأفحمه.

من شعر الجماز

ودخل الجماز على بعض ولاة البصرة فأنشده:

أثكلتني البر وعنيتني ... ما كان هذا أملي فيكا

لا تتفني بعد ما رشتني ... فإنني بعض أياديكا

فضحك، ثم قال: ثم ماذا؟ فقال: ثوب سمرقندي هو، أنشدك إياه مزارعة.." (١)

١٣٥. "ولم أوغل في هذا الكتاب كما أوغلت في "زهر الآداب وثمر الألباب" من تعليق المعاني بما تعلق بأفنانها، وتشبث بأغصانها، وتسرب في شجونها، وتشرب من عيونها، إذ لو توفرت في التصريف على ما يوجبه التصنيف في تلك التصاريف، لأخللت بالإحسان في الافتنان، فنثرت ما سطرت على غير تبويب، وجمعت ما صنفت على غير ترتيب، وذلك أقرب لنشاطك، وأوجب لانبساطك.

ولعل ما تركت أولى مما أدركت، إذ كان قليلا من كثير، وثمادا من بحور، ولكن إذا لم يخص المؤلف وجها يقصده، ولا فنا يعتمده، فكل الكلام تمتد إليه حباله وتنثال عليه رماله، فإنما حقه انتقاء ما اتصل بناظره، واقتفاء ما وصل إلى خاطره، إذ لا معنى يقتضيه دينه، إلا وغيره يقتضيه عينه.

وقد خفت أن أخرج بصدر الكتاب إلى معيب الإسهاب. والداعي إلى الإطالة وإن صارت إلى الملالة، والاستمتاع في مكتبتك بلذة مخاطبتك التي هي أجمل من وصل المهجور، وأفضل من أمن المذعور، (شعر) :

---

(١) جمع الجواهر في الملح والنوادر الحُصري القيرواني ص/٤٥

وأحسن موقعا مني وعندي ... من البشرى أتت بعد النعي

وهذا حين أبتدي وبالله أهتدي.

حدثني أبو محمد الحسن بن القاسم قال: حدثنا أبو الخير رواحة بن عبد الله الهاشمي بالري قراءة عليه، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا يموت بن المزرع عن خاله أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ قال: يجب للرجل أن يكون سخيا لا يبلغ التبذير، حافظا لا يبلغ البخل، شجاعا لا يبلغ الهوج، محترسا لا يبلغ الجبن، حييا لا يبلغ العجز، ماضيا لا يبلغ القحة، قوالا لا يبلغ الهذر، صموتا لا يبلغ العي، حليما لا يبلغ الذل، منتصرا لا يبلغ الظلم، وقورا لا يبلغ البلادة، نافذا لا يبلغ الطيش. ثم رأيت رسول الله ﷺ قد جمع ذلك في كلمة واحدة، وهي قوله عليه السلام: "خير الأمور أوساطها". فعلمت أنه عليه السلام أوتي جوامع الكلم.، (وعلم) فصل الخطاب.

قلت أنا: وليس بعض كلامه ﷺ بأولى من بعض بالتقديم، ولا أحق بالإجلال والتعظيم، وإنما بدأت بكلمته تيمنا ببركته.

وأنا أحذف أسانيد ما رويته، وآتي بمتون ما رأيته، إذ هي الغرض المطلوب من استمالة القلوب، بما تحويه من سحر البيان، وسر البرهان.

وقد قال الجاحظ يصف كلام النبي ﷺ: استعمل التوسط وهجر الغريب ورغب عن الهجين، فلم ينطق إلا عن حكمة، ولم يأت إلا بكلام حف بالعصمة، وسدد بالتأييد، وهو الكلام الذي ألقى الله ﷻ عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والجلالة والإفهام، وقلة عدد الحروف، مع قلة حاجة السامع إلى معاودته، فلم تسقط له كلمة، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم إلا أفحمه. خطيب بذ الناطقين، وحاز قصب السابقين، لم يلتمس إسكات الخصم بنا لا يعرفه الخصم، ولم يحتج إلا بالصدق، ولم يطلب الفلج إلا بالحق، لا يلمز، ولا يهمز ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر، فلا يسمع الناس كلاما أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ.

كان علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام هجا علي بن عيسى بن داود بن

الجراح الوزير لما نفي إلى مكة، فلما ردت إليه الوزارة، جلس يوما للمظالم فمرت عليه في جملة القصص رقعة فيها مكتوب:

وافى ابن عيسى وكنت أضغنه ... أشد شيء علي أهونه
ما قدر الله ليس يدفعه ... وما سواه فليس يمكنه
فقال (علي) بن عيسى: صدق ابن بسام، والله لا ناله مني مكروه أبدا.
وكان ابن بسام فصيح اللسان، صحيح البيان، جميل الثناء، خبيث الهجاء، ولم يكن له حظ في التطويل، وإنما تحسن مقطعاته، وتندر أبياته، وهو القائل:

أما ترى الليل قد ولت غيابه ... وعارض الفجر بالإشراق قد طلعا
فاشرب على وردة قدمت ... كأنها خد ريم فامتنعا
وقال يرثي علي بن يحيى بن (أبي) منصور بن المنجم:

قد زرت قبرك يا علي مسلما ... ولك الزيارة من أقل الواجب
ولو استطعت حملت عنك ترابه ... فلطالما عني حملت نوائبي." (١)

١٣٦. """""""" صفحة رقم ٢٥٢ """""""

ابتلي ، أحضره يوسف بن عمر في قيوده لبعض الأمر ، وهم بالحيرة ؛ فقام خالد بن صفوان فقال ليوسف : أيها الأمير ، إن عدو الله بلالا ضربني وحبسني ولم أفارق جماعة ؛ ولا خلعت يدا من طاعة ، ثم التفت إلى بلال فقال : الحمد لله الذي أزال سلطانك ، وهد أركانك ، وأزال جمالك ، وغير حالك ، فوالله لقد كنت شديد الحجاب ، مستخفا بالشريف ، مظهرا للعصبية فقال بلال : يا خالد ، إنما استطلت علي بثلاث معك هن علي : الأمير مقبل عليك ، وهو عني معرض . وأنت مطلق ، وأنا مأسور

---

(١) نور الطرف ونور الظرف الحُصري القيرواني ص/٣

. وأنت في طينتك ، وأنا غريب فأفحمه ، ويقال : إن آل الأهتم زعنفة دخنت في بني منقر فانتسبت إليهم .(١)

١٣٧. [من الأجوبة المفحمة]

قال أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي: كان بلال بن أبي بردة جلدا حين ابتلى، أحضره يوسف بن عمر فى قيوده لبعض الأمر، وهم بالحيرة؛ فقام خالد بن صفوان فقال ليوسف: أيها الأمير، إن عدو الله بلالا ضر بنى وحبسنى ولم أفارق جماعة؛ ولا خلعت يدا من طاعة، ثم التفت إلى بلال فقال: الحمد لله الذى أزال سلطانك، وهد أركانك، وأزال جمالك، وغير حالك، فوالله لقد كنت شديد الحجاب، مستخفا بالشريف، مظهرا للعصبية! فقال بلال:

يا خالد؛ إنما استطلت على بثلاث معك هن على: الأمير مقبل عليك، وهو عنى معرض. وأنت مطلق، وأنا مأسور. وأنت فى طينتك، وأنا غريب! فأفحمه، [ويقال: إن آل الأهتم زعنفة دخلت فى بنى منقر فانتسبت إليهم] «١» وكان سبب ضرب بلال خالدا فى ولايته أن بلالا مر بخالد فى موكب عظيم، فقال خالد:

سحابة صيف عن قليل تقشع

فسمعه بلال، فقال: والله لا تقشع أو يصيبك منها شؤبوب «٢» برد، وأمر بضربه وحبسه. (٢)

١٣٨. "وقال العروضي أيضا: أخبرنا الزجاج عن محمد بن يزيد قال: كان الجرمي جليلا في الحديث والأخبار، وله كتاب في السيرة عجيب.

أخبرني علي بن أبي علي، حدثنا أحمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق التنوخي، أخبرنا أبو سعيد داود بن الهيثم، حدثنا أبو العباس ثعلب قال: قال لي ابن قادم: قدم أبو عمر الجرمي على الحسن بن سهل، فقال له الفراء: بلغني أن أبا عمر الجرمي قدم، وأنا أحب أن ألقاه، فقلت له فإني أجمع بينكما، فأتيت أبا عمر فأخبرته، فأجاب إلى ذلك، وجمعت بينهما، فلما نظرت إلى الجرمي قد غلب الفراء وأفحمه ندمت على

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب – العلمية الحُصري القيرواني ٢/٢٥٢

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب الحُصري القيرواني ٤/٩٣٥

ذلك، قال ثعلب: قلت له: ولم ندمت على ذلك؟ فقال لي: لأن علمي علم الفراء، فلما رأيته مقهورا قل في عيني، ونقص علمه عندي.

سمعت أبا القاسم عبد الواحد بن علي الأسدي يقول: مات الجرمي في سنة خمس وعشرين ومائتين.

٤٨٥١- صالح بن عبد الله، أبو عبد الله الترمذي [١] .

سكن بغداد وحدث بها عن مالك بن أنس، وحماد بن يحيى الأبح، وعبد الوارث بن سعيد، وعبثر بن القاسم، وشريك بن عبد الله، وجعفر بن سليمان، وفرج ابن فضالة، وأبي النضر يحيى بن كثير، ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة، وعمر بن هارون البلخي، ومحمد بن فضيل بن غزوان، ومعاذ بن معاذ العنبري. روى عنه محمد بن إسحاق الصاغاني، وعباس بن محمد الدوري، وأحمد بن زياد السمسار، وأبو بكر بن أبي الدنيا، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وصالح بن محمد جزرة، وأبو زرعة، وأبو حاتم الرازيان. وقال أبو حاتم: هو صدوق.

أخبرنا محمد بن الحسين بن محمد الأزرق، حدثنا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله القطان، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني صالح بن عبد الله الترمذي، حدثنا سفيان بن عامر- وكان رجلا صالحا- قال صالح: حدثني عمر بن

---

[١] ٤٨٥١- انظر: تهذيب الكمال ٢٨٢١ (١٣/٦١- ٦٤) . والمنتظم ١١/٢٦٧. والتاريخ الكبير ٤/ت ٢٨٣٣. والجرح والتعديل ٤/ت ١٧٨٥. وثقات ابن حبان ١/الورقة ١٩٤. والمعجم المشتمل، الترجمة ٤٣٠. وسير أعلام النبلاء ١١/٥٣٨. والكاشف ٢/ت ٢٣٦٧. وتذهيب التهذيب ٢/الورقة ٨٧. وتاريخ الإسلام، الورقة ٤١ (أحمد الثالث ٢٩١٧) . ونهاية السول، الورقة ١٤٥. وتهذيب التهذيب ٤/٣٩٥. والتقريب ١/٣٦١. وخلاصة الخزرجي ١/ترجمة ٣٠٣٩.." (١)

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٩/٣١٥

١٣٩.   "ما يضحككن؟ وما حملتنى أنثى قط إلا وصنعت (١) مثل هذا، قالت إحداهن:

فما صنعت التى حملتك تسعة أشهر؟ فانصرف خجلا (٢).

ومر به رجل فيه لين، فقال له: من أين أقبلت عمتنا؟ قال: نفاها الأغر ابن عبد العزيز، فكأن الفرزدق صب عليه الماء لأنه عرض له بقول جرير فيه حين نفاه عمر بن عبد العزيز من المدينة (٣): [المتقارب]

نفاك الأغر ابن عبد العزيز ... وحقك تنفى من المسجد

وكان مرة (٤) ينشد، والكميت صبى، فأجاد الاستماع إليه، فقال له:

يسرك (٥) يا بنى أنى أبوك؟ قال: أما أبى / فلا أبغى (٦) به بدلا، ولكن يسرنى أنك أمى، فأفحمه حتى غص بريقه. وزعم قوم أن هذه الحكاية إنما وقعت له (٧) مع كثير.

ومر يوما بمضرس الفقعسى، وهو غلام حديث السن، ينشد الناس شعره، فحسده على ما سمع (٨) منه، فقال له بعد كلام طويل فيه تعريض وتصريح: أدخلت أمك البصرة؟ وفهم عنه مضرس ما أراد، فقال: كلا، ولكن أبى! ورجع إلى إنشاده، فاستحيا الفرزدق. حكى ذلك شيخنا أبو عبد الله (٩)، وإنما أراد الفرزدق أنها إن دخلت البصرة فقد وقعت عليها فأنت ابنى، قال الخبيث (١٠): بل أبى وقع على أمك (١١).

ومثل هذا بعينه عرض للفرزدق مع الحطيئة، فإن الحطيئة قال له وقد

---

(١) فى ف: «صنعت» بحذف الواو، وفى خ: «وفعلت»، وفى م: «فعلت».

(٢) انظر القصة فى الأغانى ٢١/ ٣٥٦، وانظر الممتع ٢١٥

(٣) ديوان جرير ٢/ ٨٤٢، وفيه: «بحقك تنفى». وانظر الحكاية والبيت فى الأغانى ٢١/ ٣٢٣، وكنايات الجرجانى ٧٨وشرح نهج البلاغة ٥/ ٣٠و ٣١

(٤) فى ف والمطبوعتين فقط: «وكان الفرزدق».

(٥) فى ف: «أيسرك أنى أبوك»، وفى المطبوعتين: «يا بنى أيسرك».

(٦) فى المطبوعتين: «فلا أرى».

(٧) سقطت «له» من المطبوعتين.

(٨) فى المطبوعتين: «ما سمعه».

(٩) يقصد: محمد بن جعفر التميمى القزاز.

(١٠) فى المطبوعتين فقط: «قال مضرس».

(١١) انظر القصة بصورة أخرى فى الأمالى ٣/ ١٢٠وشرح نهج البلاغة ٥/ ٢٥." (١)

١٤٠. "ومن المغلبين الزبرقان (١)، غلبه عمرو بن الأهتم، وغلبه المخبل السعدى، وغلبه الحطيئة، وقد أجاب الاثنين، ولم يجب الحطيئة.

وقال (٢) يونس بن حبيب: كان البعيث مغلبا فى الشعر، غلابا فى الخطب.

ومنهم تميم (٣) بن أبى بن مقبل، هجاه النجاشى، فقهره، وغلب عليه، حتى استعدى قومه عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ولم يكن من أشكاله (٤) فى الشعر فيقرن به.

وهاجى النجاشى عبد الرحمن بن حسان، فغلبه عبد الرحمن، وأفحمه.

وحدثنا أبو عبد الله محمد بن جعفر قال: هجا الأعور بن براء بنى كعب، ومدح قومه / بنى كلاب، فأتت بنو كعب تميم بن أبى بن مقبل (٥)

ينتصرون عليه به، فقال: لا أهجوهم، ولكنى أقول فاروا، فقد جاءكم الشعر، وقال (٦):

---

(١) هو الحصين بن بدر بن امرئ القيس، لقب بالزبرقان إما لخفة لحيته، وإما لجماله، وإما لأنه كان يزبرق عمامته، أى يصفرها فى الحرب، كان سيدا فى الجاهلية، كما كان عظيم القدر فى الإسلام، وهو شاعر محسن.

المعارف ٣٠٢، والمؤتلف والمختلف ١٨٧، والاشتقاق ٢٥٤، والموشح ١٠٧، والخزانة ٨/ ١٠٠، وشرح أبيات مغنى اللبيب ٦/ ٢٣٠، وزهر الآداب ١/ ٦

(٢) انظر هذا القول فى البيان والتبيين ١/ ٣٧٤و ٣/ ١١و ٤/ ٨٤، مع اختلاف

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ط-أخرى ابن رشيق القيرواني ١/١٦٨

في التعبير.

(٣) في ف وخ والمغربيتين: «تميم بن أبي مقبل» وهو خطأ.

(٤) في ص: «أشاكله»، ولا معنى لها. وانظر الاشتقاق ٢٥

(٥) هو تميم بن أبي بن مقبل، يكنى أبا الحرة وأبا كعب، شاعر مجيد، مغلب، غلب عليه النجاشي، ولم يكن إليه في الشعر، وقد قهره في الهجاء، وكان تميم جافيا في الدين، فكان في الإسلام يبكي أهل الجاهلية، ويذكرها.

طبقات ابن سلام ١/ ١٥٠، والشعر والشعراء ١/ ٤٥٥، وجمهرة أشعار العرب ٢/ ٨٥٥، وثمار القلوب ٢١٨، ومسائل الانتقاد ١٠٩، وسمط اللآلي ١/ ٦٨، وخزانة الأدب ١/ ٢٣١، ومن الضائع من معجم الشعراء ٣٧، وجمهرة أنساب العرب ٢٨٨، والاشتقاق ٢٥، وكنى الشعراء ٢/ ٢٨٩ ضمن كتاب نوادر المخطوطات.

(٦) ديوان ابن مقبل ٣٦٦." (١)

١٤١. "له: يا بني أيسرك أني أبوك؟ قال: أما أبي فلا أرى به بدلا، ولكن يسرني أنك أمي، فأفحمه حتى غص بريقه، وزعم قوم أن هذه الحكاية إنما وقعت مع كثير.

ومر يوما بمضرس الفقعسي، وهو غلام حديث السن، ينشد الناس شعره فحسده على ما سمعه منه، فقال له بعد كلام طويل فيه تعريض وتصريح: أدخلت أمك البصرة؟ وفهم عنه مضرس ما أراد، فقال: كلا ولكن أبي! ورجع إلى إنشاده فاستحيا الفرزدق، حكى ذلك شيخنا أبو عبد الله، وإنما أراد الفرزدق أنها إن دخلت البصرة فقد وقعت عليها فأنت ابني، قال مضرس: بل أبي وقع على أمك.

ومثل هذا بعينه عرض للفرزدق مع الحطيئة؛ فإن الحطيئة قال له وقد سمعه ينشد شعرا أعجبه: أنجدت أمك؟ قال: بل أنجد أبي!! ونظم ذلك جرير، ونعاه عليه، وادعى أنه صحيح فقال:

كان الحطيئة جار أمك مرة ... والله يعلم شأن ذاك الجار

من ثم أنت إلى الزناء بعلة ... بأشر شيخ في جميع نزار

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ط-أخرى ابن رشيق القيرواني ٢٢٠/١

لا تفخرن بغالب ومحمد ... وافخر بعبس كل يوم فخار

وكان يزعم أن الحطيئة جاور لينة بنت قرطة فأعجبته فراودها فوقع عليها وزوجها أخوها العلاء غالبا أبا الفرزدق وقد تبين حملها فولدت الفرزدق على فراشه.

واحتذى هذا الحذو سواء أبو السمط مروان الأصغر بن أبي الجنوب بن مروان أبي حفصة فقال يهجو علي بن الجهم بن بدر:

لعمرك ما الجهم بن بدر بشاعر ... وهذا علي بعده بصنع الشعرا

ولكن أبي قد كان جارا لأمه ... فلما تعاطى الشعر أوهمني أمرا

والشاعر أولى من كف منطقه، وأقال عثرات اللسان؛ لما رزق من القدرة على الكلام، والعفو من القادر أحسن، وبه أليق " ولمن انتصر بعد ظلمه فاؤلئك." (١)

١٤٢. "يقول أن كان السلو أغناها عني فليست تحتاج إلى وصلي فإني قد عدمتها وعدمت كبدي لأن هواها أحرقها فأنا معدم منها ومن الكبد أي أنها سالية عني وأنا فقير إليها وروي ابن جنى مصرما قال وهو كالمعسر والعرب تقول كلا ينجع منه كبد المصرم يقول إذا رآه المصرم وهو الذي لا مال له حزن أن لا يكون له مال فيرعاه فاوجعته كبده.

غصن على نقوى فلاة نابت ... شمس النهار تقل ليلا مظلما

يصف الحبيبة يقول هي غصن يعني قامتها نابت على رملي فلاة يعني ردفيها والنقا الرمل يثني على نقوين ووجهها شمس النهار تحمل من شعرها ليلا مظلما والاقلال حمل الشيء يقال أقل الشيء إذا حمله.

لم تجمع الأضداد في متشابه ... إلا لتجعلني لغرمي مغنما

يعني بالاضداد ما ذكر من دقة قامتها وثقل ردفيها وبياض وجهها وسواد شعرها وهي على تضادها مجموعة متشابهة الحسن يقول لم تجمع هذه الاوصاف المتضادة في شخص تماثل حسنه إلا لتجعلني هذه الاضداد غنما لغرمي أي لما لزمني من عشقها وهواها

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ١/٧٩

والمعنى إلا لتستعبدني وترهن قلبي ويروى لم تجمع الاضداد على اسناد الفعل إلى الحبيبة.

كصفات أوحدنا أبي الفضل التي ... بهرت فانطق واصفيه فافحما

شبه الاضداد بصفات الممدوح من كونه مرا على الاعداء حلوا للاولياء وطلقا عند الندى جهما عند اللقاء وما اشبه هذه وبهرت وغلبت بظهورها كالشمس تبهر النجوم يعني أنها غلبت الواصفين فلم يقدروا على وصفها فانطق واصفيه لأنهم راموا وصفه ووصف محاسنه ثم أفحمهم بعجزهم عن ادراكه والمفحم الذي لا يقول الشعر والإفحام ضد الإنطاق ويجوز أن يكون التشبيه في الصفات للجمع أي لجمع صفات الممدوح.

يعطيك مبتدئا فإن أعجلته ... أعطاك معتذرا كمن قد أجرما

التعظم أظهار العظمة وضده التواضع وهو أن يظهر الضعة من نفسه ووضع أبو الطيب التواضع موضع الضعة والخساسة كما وضع التعظم موضع العظمة يقول يرى شرفه وارتفاع رتبته في تواضعه واتضاعها في تكبره والمعنى يرى العظمة في أن يتواضع ويرى الضعة في أن يتعظم أي فليس يتعظم.

نصر الفعال على المطال كأنما ... خال السؤال على النوال محرما

الفعال بفتح الفاء يستعمل في الفعل الجميل والمطال المماطلة وهي المجافعة ولو روى المقال كان أحسن ليكون في مقابلة الفعال يقول نصر فعله على القول وعطاءه على المطل أي يعطي ولا يعد ولا يماطل كأنه ظن أن السؤال حرام على النوال ولا يحوج إلى السؤال بل يسبق بنواله السؤال وهذا مجاز وتوسع لن النوال لا يوصف بأنه يحرم عليه شيء ولكنه أراد أن يذكر تباعده عن الانجاء إلى السؤال.

يا ايها الملك المصفى جوهرا ... من ذات ذي الملكوت أسمى من سما

يريد بالجوهر الاصل والنفس وذت ذي الملكوت هو الله تعالى يقول أيها الملك الذي خلص جهورا أي اصلا ونفسا من عند الله أي الله تعالى تولى تصفية جوهره لا غيره فهو جوهر مصفى من عند الله تعالى وهذا مدح يوجب الوهم والفاظ مستكرهة في

مدح البشر وذلك أنه أراد أن يستكشف الممدوح عن مذهبه حتى إذا رضى بهذا فقد علم أنه ردي المذهب وإن أنكر علم أنه حسن الاعتقاد وأسمى من سما من صفات ذي الملكوت وابن جنى يجعله للممدوح لأنه قال هو منادي كأنه قال يا أعلى من علا قال ويجوز أن يكون موضعه رفعا كأنه قال أنت أعلى من علا.

نور تظاهر فيك لاهوتيه ... فتكاد تعلم علم ما لم يعلما

تظاهر وظهر بمعنى ويجوز أن يكون بمعنى تعاون أي أعلن بعضه بعضا ولاهوتيه الهيه وهذه لغة عبرانية يقولون لله تعالى لاهوت وللأنسان ناسوت يقول قد ظهر فيك نور الهي تكاد تعلم به الغيب الذي لايعلمه أحد إلا الله ﷻ وقال ابن جنى نصب لاهوتية على المصدر ويجوز أن يكون حالا من الضمير الذي في تظاهر وهذا خطا في الرواية واللفظ لأن النور فظ مذكر ولا تؤنث صفته.

ويهم فيك إذا نطقت فصاحة ... من كل عضو منك أن يتكلما

أي ويهم ذلك النور الآلهي لظهوره أن يتكلم وينطق من كل عضو من أعضائك بخلاف سائر الناس الذين لا ينطقون إلا من أفواههم جعل ظهوره في كل عضو منه نطقا والمعنى لفصاحتك يفعل النور ذلك فيك.

أنا مبصر وأظن أني نائم ... من كان يحلم بالآله فأحلما." (١)

١٤٣. "تعدين ما أوليتني منك نائلا ... وللقابس العجلان منك نصيب «١»

وقال:

تصاحب في اليوم القصير ثلاثة ... فإن زاد شيئا أكملتها برابع

وكنت أسميها النوار فأصبحت ... لدي وقد كنيتها أم جامع

نوع من ذلك

تشاجر رجلان من حمص في امرأتيهما أيتهما أحسن فرآهما القاضي فأقبل على أحدهما

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/١٠

فقال نيك امرأتك في إستها أحب إلي من نيك امرأة هذا في حرها فأقبل المحكوم له على رفيقه وقال: ألم أقل لك وقال جرير للأحوص أنت القائل:

يقر بعيني ما يقر بعينها

قال: نعم. قال: إنه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر أفيقر بعينك ذلك؟ فأفحمه.

قيل: لا يمنع مرعى عرسه من أباح حمى نفسه. وقيل لأعرابي هل بامرأتك حبل؟ فقال: لا أدري والله ما لها ذنب فتشول به وإني لا آتيها إلا ضيعة تم الحد ولله الحمد.." (١)

١٤٤. "فقال: أوه قتلتني، فقال: إنما قتلك أبوك إبراهيم. ولما أسر عيينة بن حصن دخل المدينة فقال له رجل: يا منافق فقال يا بارد متى كنت مسلما حتى أكون منافقا.

(٣) نوادر في مناظرة النصارى والمجوس واليهود

قال بعض المتكلمين لبعض النصارى: لم قلتم إن لله تعالى ولدا؟ فقال: لأن كل من لم يكن له ولد يكون عقيما وهو وصف نقص. قال: فهل للابن ابن؟ قال: لا، قال: فإذا يكون عقيما.

وجلس المأمون وبحضرته المتكلمون والجاثليق فأقبل الموبذ فقال: يا أمير المؤمنين أتحب أن أضحكك من الموبذ، فأقبل على الموبذ وقال: هذا يزعم أن باب الجنة في حرامه، فكما أكثر من جماعه كان أقرب إلى باب الجنة. فقال الموبذ: ما كنا نفعل ذلك حتى أخبرنا أن إلهكم خرج من ذلك، فأخجله، وضحك المأمون حتى فحص برجله.

وقيل: أول ما ظهر من كيس إياس بن معاوية أنه كان في المكتب فسمع عند المعلم نصارى يعيبون الإسلام، فقال: من العجب أنكم تقولون إنكم في الجنة تأكلون وتشربون ولا تتغوطون. فقال إياس: أفما علمتم أن الدنيا مرآة الآخرة قالوا: نعم. قال: أفكل ما يؤكل في الدنيا يخرج غائطا. قالوا: لا، قال: فأين يذهب؟ قالوا غذاء قال: فما يبعد أن يكون كل ما يؤكل في الجنة يكون غذاء، فقال المعلم: قاتلك الله منكرا.

وقال يهودي لمسلم: أنتم قريبو العهد بنبيكم وافتتنتم. فقال: أنتم ما جفت أقدامكم

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٢٦٣

من البحر حتى قلتم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة. وناظر المأمون ثنويا، فقال: أخبرني هل ندم مسيء على فعله قط؟ قال: نعم، قال: فالندم على الإساءة ما هو؟ قال: إحسان، لكني أقول إن الذي أحسن غير الذي أساء، قال: فهذا الذي ندم على فعله أو فعل غيره فأفحمه.

وغرق مجوسي في البحر فجعل يقول يا نار فارس يا نار أذربيجان، فقال قل يا رب النار فإنك لو وقعت موقعها لكنت أسوأ حالا منك.

وقال أبو الهذيل لمجوسي: ما تقول في النار؟ قال: بنية الله، قال: فالبقر، قال: ملائكة الله تعالى، قال: فالماء، قال: نور الله، قال: فالجوع والعطش، قال: هما فقرا بهمن وفاقته، قال: فمن يحمل الأرض، قال: بهمن الملك، قال: بئسما عملتم، أخذتم الملائكة ذبحتموها ثم غسلتموها بنور الله ثم شويتموها ببنت الله ثم دفعتموها إلى فقر الشيطان وفاقته ثم سلحتموها على الملك.

المتبجح بارتكاب المحظور المحتج له

قيل لأبي الطمحان: ما أدنى ذنوبك؟ قال: ليلة الدير نزلت على نصرانية فأكلت." (١)

١٤٥. "وقال الطائي:

مضى طاهر الأخلاق لم تبق بقعة ... من الأرض إلا تشتهي أنها قبر

وقال:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه ... فطيب تراب القبر دل على القبر

المرثي بالعلم

أنشد أبو نواس أبا عبيدة في مرثية خلف الأحمر قوله:

أودى جماع العلم مذ أودى خلف ... فليذم من العياليم الخسف «١»

رواية لا يجتني من الصحف

وفي أبيات كثيرة قال ما أحسنها وطوبى لمن يرثى بمثلها، فقال: مت راشدا وعلي أن أرثيك بخير منها، ولما مات سفيان بن عيينة.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٤٣٨

قال ابن مناذر:

راحوا بسفيان على نفسه ... والعلم مكسوين أسفانا «٢»

لا يبعدنك الله من هالك ... ورثنا علما وأحزانا

وقال آخر:

يبكيك للمجد أقلام مهذبة ... والأمر والنهي والديوان والعمل

وقال التنوخي:

ثوى الفقه في قعر الثرى مذ ثوى به ... وغاصت بحار الشعر وانقطع النظم

ولو أن هذا الموت خصم مفوه ... لأفحمه من عز ألفاظه خصم

المرثي بالزهد والعبادة

رأى رجل ميتا فقال: كان والله بالليل قواما وبالنهار صواما يجمع بين طرفي النهار والليل بالعبادة، كما قال الأفوه:

لقد أبقى مكانك في لؤي ... وآل محمد خللا مبينا

وليل قد دأبت له بآي ... من الفرقان بين الساجدينا

فآنس شخصك الجدث المعفى ... وأوحش قبرك المتهجدينا «٣»." (١)

١٤٦. "البلادة (١). فقالوا له: إن وقوفنا دون حدك، ليفحمنا (٢) عن استيراء (٣) زندك، واستشفاف فرندك. فإن أتممت عشرا، فمن عندك، فاهتز اهتزاز من فلج سهمه (٤)، وانخزل (٥) خصمه، ثم افتتح النطق بالبسملة، وأنشد ملغزا في المزملة (٦):

ومسرورة (٧) مغمومة (٨) طول دهرها (٩) ... وما هي تدري ما السرور ولا الغم

تقرب أحيانا (١٠) لأجل جنينها (١١) ... وكم ولد لولاه طلقت الأم

وتبعد أحيانا (١٢) وما حال عهدها (١٣) ... وإبعاد من لم يستحل عهده (١٤) ظلم

إذا قصر الليل (١٥) استلذ وصالها ... وإن طال (١٦) فالإعراض عن وصلها غنم

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٥٥٠

لها ملبس باد (١٧) أنيق (١٨) مبطن ... بما يزدرى (١٩) لكن لما يزدرى الحكم (٢٠)

ثم كشر عن أنيابه الصفر، وأنشد ملغزا في الظفر:

---

(١) خلاف الجلادة وتبلد وبلد بعد نشاطه فتر قال:

جرى طلقا حتى إذا قيل سابق ... تداركه أعراق سوء فبلدا

وقد بلد بلادة فهو بليد إذا لم يكن ذكيا.

(٢) أفحمه أسكته عن الكلام عجزا.

(٣) أي إيقاد.

(٤) أي من ظفر وغلب.

(٥) أي انقطع.

(٦) جرة أو خابية خضراء في وسطها ثقب مركب فيه قصبة من فضة أو رصاص ليشرب منها سميت بذلك لأنها تزمل أي تلف بشيء من الخيش تكون في دورهم أيام الصيف يبرد الماء ثم يصب فيها مصفى باردا.

(٧) أي ذات سرة يعني بها الثقب الذي ذكرناه.

(٨) أي مستورة بما لف عليها.

(٩) طول عمرها.

(١٠) في زمن الصيف.

(١١) أراد بجنينها الماء البارد الذي في باطنها.

(١٢) أي في زمن الشتاء.

(١٣) أي إنها هي بحالها لم تنتقل عنه.

(١٤) أي من لم يتغير عن حاله المعلومة.

(١٥) وهي أحيان الصيف التي تقرب فيها.

(١٦) أي الليل وهي أيام الشتاء التي تبعد فيها.

(١٧) أي ظاهر وهو ما تكسى به فوق الخيش.

(١٨) أي مستحسن.

(١٩) هو الخيش.

(٢٠) أي الحكمة ومنه قولهم الصبر حكم وقليل فاعله.." (١)

١٤٧. "عثمان؟ لا تدخل الباب إلا متحرقة بالثياب المعصفرات، قال: بعثمان؟ قال: وأبيك جرو الأسد، يلعب مع الصبيان وبيده الكسوة. قال فبجملنا السقاء؟ قال: إن سنامه ليخرج من الغبيط، قال: فبالدار قال: وأبيك إنها خصيبة الجناب، عامرة الفناء، ثم قام عنه وقعد ناحية يأكل ولا يدعوه، فمر كلب فصاح وقال: يا ابن عم، أين هذا الكلب من نفاع؟ قال: يا أسفا، نفاع قد مات. قال: وما أماته؟ قال: أكل من لحم الجمل السقاء فاغتص بعظم منه فمات، قال: إنا لله أو قد مات الجمل؟ فما أماته؟

قال: عثر بقبر أم عثمان فانكسرت رجله، قال: ويل أمك! أماتت أم عثمان؟ قال إي والله، أماتها الأسف على عثمان، قال: ويلك! أمات عثمان؟ إي وعهد الله، سقطت عليه الدار. فرمى الأعرابي بطعامه ونثره، وأقبل ينتف لحيته ويقول: فأين أذهب؟ قال الآخر: إلى النار، وأقبل إلى طعامه يلتقطه ويأكله، ويهزأ به ويضحك منه، ويقول: لا أرغم الله إلا أنف اللئام.

٣٥- كان إسحاق بن فروة مزاحا، فقال لأعرابي يوما وهو يمازحه:

أتشهد بما لم تره عينك؟ قال: نعم، أشهد أن أباك فعل بأمك ولم أر ذلك. فأفحمه، فجعل على نفسه أن لا يمازح أحدا أبدا.

٣٦- حضر مائدة يزيد بن مزيد أعرابي، فقال: أفرجوا لأخيكم، فقال: لا حاجة إلى إفراجكم، إن أطنابي طوال. يريد سواعده. فلما مد يده حبق «١» ، فقال يزيد: ما أحسب إلا أن طنبا من أطنابك قد انقطع.

٣٧- أفلتت من معاوية ريح «٢» على المنبر فقال: يا أيها الناس، إن الله خلق أبدانا،

---

(١) مقامات الحريري ط-أخرى الحريري ص/٤٤٦

وجعل فيها أرواحا فما تمالك الناس أن تخرج منهم. فقام صعصعة بن صوحان فقال: أما بعد فإن خروج الأرواح في المتوضئات سنة،." (١)

١٤٨. "عثمان؟ لا تدخل الباب إلا متحرقة بالثياب المعصفرات، قال: بعثمان؟ قال: وأبيك جرو الأسد، يلعب مع الصبيان وبيده الكسوة. قال فبجملنا السقاء؟ قال: إن سنامه ليخرج من الغبيط، قال: فبالدار قال: وأبيك إنها خصيبة الجناب، عامرة الفناء، ثم قام عنه وقعد ناحية يأكل ولا يدعوه، فمر كلب فصاح وقال: يا ابن عم، أين هذا الكلب من نفاع؟ قال: يا أسفا، نفاع قد مات. قال: وما أماته؟ قال: أكل من لحم الجمل السقاء فاغتص بعظم منه فمات، قال: إنا لله أو قد مات الجمل؟ فما أماته؟

قال: عثر بقبر أم عثمان فانكسرت رجله، قال: ويل أمك! أماتت أم عثمان؟ قال إي والله، أماتها الأسف على عثمان، قال: ويلك! أمات عثمان؟ إي وعهد الله، سقطت عليه الدار. فرمى الأعرابي بطعامه ونثره، وأقبل ينتف لحيته ويقول: فأين أذهب؟ قال الآخر: إلى النار، وأقبل إلى طعامه يلتقطه ويأكله، ويهزأ به ويضحك منه، ويقول: لا أرغم الله إلا أنف اللئام.

٣٥ – كان إسحاق بن فروة مزاحا، فقال لأعرابي يوما وهو يمازحه:

أتشهد بما لم تره عينك؟ قال: نعم، أشهد أن أباك فعل بأمك ولم أر ذلك. فأفحمه، فجعل على نفسه أن لا يمازح أحدا أبدا.

٣٦ – حضر مائدة يزيد بن مزيد أعرابي، فقال: أفرجوا لأخيكم، فقال: لا حاجة إلى إفراجكم، إن أطنابي طوال. يريد سواعده. فلما مد يده حبق (١)، فقال يزيد: ما أحسب إلا أن طنبا من أطنابك قد انقطع.

٣٧ – أفلتت من معاوية ريح (٢) على المنبر فقال: يا أيها الناس، إن الله خلق أبدانا، وجعل فيها أرواحا فما تمالك الناس أن تخرج منهم. فقام صعصعة بن صوحان فقال: أما بعد فإن خروج الأرواح في المتوضئات سنة،

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ١١٦/٥

____

(١) حبق: ضرط.

(٢) قوله: أفلتت من معاوية ريح: أي ضرط أو فسا.." (١)

١٤٩. "فصل:

وفلان أحد من انسدل عليه السرت في هذه الفتنة المبيرة، وكان على نباهة اسمه عاطلا من الفضائل التعاليمية، إلا أنه كان ذرب اللسان، كثير النوادر، ذا جواب حاضر، وكان يقلب بالجني؛ فعاتبه يوما فتى من قريش المروانيين بقرطبة فقال له: ما عندك من خبر السماء – فقال: انقراض سلطان بني مروان؛ فأفحمه.

فصل:

وصدر فلان مع أصحابه الرسل، وقد امتلأت حقائبه مما قمشه من السحت، بضروب الكدية والشحذ، وبخل حتى بالزاد المأدوم في الطريق، وضن به على الرفيق، وأشرج عليه الجوالقات تأميلا في توصيله للبيوت في حمارة القيظ حتى زنخ، فكان أحرص الوفد – زعموا – على قمش ذلك السحت، وأغوصهم على استخراجه، وأشرههم على التعرض بطلبه، فلان منهم الولي اللوم العاطل من كل حلية جميلة تدل على فضيلة، فإنه حملت عنه في ذلك أخبار، إلى زيادة مساو فيه غضت ممن أرسله وصرفه.

قال ابن حيان: ولولا أن أكون لهم مغتابا، ولرسل نفذوا عن البيضة ثلابا، لشرحت من مساوئ أخبار هذا الوفد أكثر مما وصفته.

قلت أنا، صاحب الكتاب: حاشاك أبا مروان من الثلب والاغتياب.." (٢)

١٥٠. "عجاجا سل من تحته منصل؛ فقمت ثابتا على قصده، فلم ألبث أن سمعته ينشد ويطلب منزلي، فقرع الباب وأذنت له فدخل، فرحبت به، وقمت إليه، وأقبلت عليه؛ فقال لي: يا ابن الكرام، إن هذا يوم قد بكى ماء غيمه، ونبض عرق برقه، وخفق قلب رعده، واغرورقت مقلة أفقه، ونحن لا نجد الخمر، فبم نقطع تأويبه – فقلت: الرأي إلى سيدي أبقاه الله، فقال لي: كيف ذكرك لرجال مصرك، ووقوفك على شعراء عصرك

____

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ط-أخرى الزمخشري ١١٦/٥

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٥٩٤/٢

- قلت: خير ذكر. فقال: من أعذبهم لفظا، وارجحهم وزنا - قلت: الرقيق حاشية الظرف، الأنيق ديباجة اللطف، أبو حفص ابن برد. قال: فمن أقواهم استعارات، وأصحهم تشبيهات - قلت: البحر العجاج، والسراج الوهاج، أبو عامر ابن شهيد. قال: فمن أذكرهم للأشعار، وأنظمهم للأخبار - قلت: الحلو الظريف، البارع اللطيف، أبو الوليد بن زيدون. قال فمن أكلفهم بالبديع، واشغفهم بالتقسيم والتتبيع - قلت: الراتع في روضة الحسب، المستطيل بمرجة الأدب، أبو بكر إبراهيم بن يحيي الطبني، فأنشد:

وخاطب قسا في عكاظ محاورا ... على البعد سحبان فأفحمه قس." (١)

١٥١. "شعرا ووجها وقدا، لو كان امرأة لاشتجرت [١] عليه بنو أسد. وقيل لعمارة: أقتلت فروة؟ فقال: والله ما قتلته، ولكني أقتلته، أي سببت له سببا قتل به.

«٣٥٧» - وكان عمارة يقول: ما هاجيت أحدا قط إلا كفيت مؤونته في سنة أو أقل من سنة، إما أن يموت أو يقتل أو أفحمه، حتى هاجاني أبو الرديني العكلي فخنقني بالهجاء، ثم هجا بني نمير فقال: [من الوافر]

أتوعدني لتقتلني نمير ... متى قتلت نمير من هجاها

فكفانيه بنو نمير وقتلوه، فقتلت به عكل، وهم يومئذ ثلاثمائة رجل، أربعة آلاف رجل من بني نمير، وقتلت لهم شاعرين: رأس الكبش وشاعرا آخر.

«٣٥٨» - وهجا عمارة امرأة ثم أتته في حاجة بعد ذلك فجعل يعتذر إليها فقالت له: خفض عليك، فلو قتل الهجاء أحدا لقتلك وقتل أباك وجدك.

«٣٥٩» - أبو الأسد في أحمد بن أبي داود: [من الكامل]

أنت امرؤ غث الصنيعة رثها ... لا تحسن النعمى إلى أمثالي

نعماك لا تعدوك إلا في امرىء ... في مسك مثلك من ذوي الأشكال

فإذا نظرت إلى صنيعك لم أجد [٢] ... أحدا سموت به إلى الافضال

فاسلم لغير سلامة ترجى لها ... إلا لسدك خلة الأنذال

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٢/٧٨٧

«٣٦٠» – وقال دعبل [٣] : [من البسيط]

---

[١] م: تشاجرت.

[٢] ر: نظرت ... تجد.

[٣] سقطت هذه الفقرة من ب.." (١)

١٥٢. "قال: من قال لك إنه وجد حمالا أرخص منك فلا تصدقه. فرمى الحمال بالقفص وقال له: من قال لك إنه بقي في القفص قارورة واحدة فلا تصدقه.

١١١٦– جاء رجل إلى السيد الحميري فقال: بلغني أنك تقول بالرجعة، قال: صدق الذي أخبرك وهذا ديني، قال: أفتعطيني دينارا بمائة دينار إلى الرجعة؟ قال السيد: نعم وأكثر من ذلك إن وثقت لي بمن يضمن لي أنك ترجع إنسانا. قال: وأي شيء أرجع؟ قال: أخشى أن ترجع كلبا أو خنزيرا أو حمارا وتذهب بمالي، فأفحمه.

١١١٧– وقف مطيع بن إياس على رجل يعرف بأبي عمير من أصحاب المعلى الخادم، فجعل يعبث به ويمازحه إلى أن قال له: [من الوافر]

ألا أبلغ لديك أبا العمير ... أراني الله في استك نصف أير

فقال له أبو العمر: يا أبا سلمى، لو جدت بالأير كله لأحد لجدت لي به لما بيننا من المصادقة، ولكنك لحبك له لا تريده كله إلا لك. فأفحمه ولم يعاود العبث به. وكان مطيع يرمى بالأبنة.

«١١١٨» – ألقى أبو دلف العجلي على فضل الشاعرة المتوكلية يوما:

[من الكامل]

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم ... اشهى المطي إلي ما لم يركب

كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة ... لبست وحبة لؤلؤ لم تثقب

فقالت فضل مجيبة له: [من الكامل]

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٣٢/٥

إن المطية لا يلذ ركوبها ... ما لم تذلل بالزمام وتركب

والحب ليس بنافع أربابه ... ما لم يؤلف للنظام ويثقب." (١)

١٥٣. "الجرمي على الحسن بن سهل، فقال لي الفراء: بلغني أن أبا عمر الجرمي قد قدم، وأنا أحب أن ألقاه، فقلت: إني أجمع بينكما، فأتيت أبا عمر فأخبرته، فأجاب إلى ذلك؛ فلما نظرت الجرمي، وقد غلب الفراء وأفحمه، ندمت على ذلك؛ قال ثعلب: فقلت له: ولم ندمت على ذلك؟ فقال: لأن علمي علم الفراء؛ فلما رأيته مقهورا قل في عيني، ونقص علمه عندي.

ويحكى أيضا أنه اجتمع أبو عمر الجرمي وأبو زكرياء يحيي بن زياد الفراء: فقال: الفراء للجرمي: أخبرني عن قولهم: "زيد منطلق"، لم رفعوا "زيدا"؟ فقال له الجرمي: بالابتداء، فقال له الفراء: وما معنى الابتداء؟ قال: تعريته من العوامل، قال له الفراء: فأظهره، فقال الجرمي: هذا معنى لا يظهر، قال له الفراء: فمثله، قال له الجرمي: لا يتمثل. قال الفراء: ما رأيت كاليوم عاملا لا يظهر ولا يتمثل، فقال له الجرمي: أخبرني عن قولهم "زيد ضربته"، لم رفعت "زيدا"؟ فقال: بالهاء العائدة على زيد، قال الجرمي: الهاء اسم، فكيف يرفع الاسم؟ قال الفراء: نحن لا نبالي من هذا؛ فإنا نجعل كل واحد من المبتدأ والخبر عاملا في صاحبه في نحو "زيد منطلق"، فقال له الجرمي: يجوز أن يكون كذلك في زيد منطلق؛ لأن كل واحد من الاسمين مرفوع في نفسه، فجاز أن يرفع الآخر؛ وأما الهاء في "ضربته" ففي محل النصب، فكيف ترفع الاسم؟ فقال له الفراء: لم نرفعه به وإنما رفعناه بالعائد، فقال له الجرمي: وما العائد؟ فقال له الفراء: معنى، فقال له الجرمي: أظهره، قال: لا يظهر، قال: مثله، قال: لا يتمثل، قال له الجرمي: لقد وقعت فيما فررت منه. فيقال: إنهما لما افترقا قيل للفراء: كيف رأيت الجرمي؟ قال: رأيته آية، وقيل للجرمي: كيف رأيت الفراء؟ قال رأيته شيطانا.." (٢)

١٥٤. "٢٠٤* وقوله ﷺ: «لن يهلك امرؤ بعد مشورة» (١).

٢٠٥* وقوله ﷺ: «مالك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٧/٢٥٢

(٢) نزهة الألباء في طبقات الأدباء أبو البركات الأنباري ص/١١٦

اعطيت فأمضيت» (٢).

٢٠٦* وقوله ﷺ: «الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم» (٣).

٢٠٧* وقوله ﷺ: «الصدقة تطفيء غضب الرب ﷻ، وصنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصلة الرحم تزيد في العمر» (٤).

قلت: حصر البليغ من كلام النبوة، ممتنع معجز، لأنه كله بليغ فصيح (٥).

---

(١) لم أجد هذا الحديث.

(٢) نقله المنذري من حديث لعبد الله بن الشخير مرفوعا.

ونسبه لمسلم والترمذي والنسائى (ج ٤ص ١٠١)

(٣) ليس هذا حديثا، بل هو من كلام عمر بن الخطاب أو من كلام على بن أبي طالب، كما ذكره العجلونى فى كشف الخفا (رقم ٢٧٨٨ ج ٢ص ٣١١).

(٤) هذا المعنى وارد فى أحاديث كثيرة. والفاظ الذي هنا جزء من حديث نقله السيوطي (رقم ٥٠٤١) ونسبه للطبرانى فى الأوسط عن أم سلمة، وأشار إلى صحته.

(٥) نعم، فانه ﷺ أفصح العرب قولا، وأبينهم كلاما، وأعلاهم بلاغة. وقد وصف الجاحظ فى البيان والتبيين (ج ٢ص ١٥١٤) كلام النبى ﷺ فقال:

«هو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف. استعمل المبسوط فى موضع البسط، والمقصور فى موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي. فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشد بالتأييد، ويسر بالتوفيق. وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام.

وهو مع استغنائه عن إعادته، وقلة الحاجة الى معاودته: لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب. بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير. ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم. ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق. ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا

يلمز، ولا يبطيء ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر: ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أصدق لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه: من كلامه ﷺ»." (١)

١٥٥. "إذا قال لاقى ذا الفصاحة فأفحمه، وإذا تكلم ملكت ذا العلم كلماته فيقول: ما أعلمه! أنعم بمعناه، الذي أنعم في مغزاه.

قال المظفر بن حماد: بيت أبي الجبر ثوب هو طرازه، فتعين علي إكرامه وإعزازه.

ما برح في الغراف من بحر المظفر غرافا بمناه مظفرا وصار بتبر شعره للجين لهاه صرافا، على مدحه متوفرا.

لازم الوطن، وأذكى فيه الفطن. ولم يمدح أحدا يستجديه، واقتصر على ما مدح به أهله وذويه.

قال ابن الباسيسي: إنه توفي بالغراف سنة سبع وأربعين وخمس مئة.

ذكره لي القاضي الصديق عبد المنعم، بن مقبل، الواسطي بها، في محرم سنة خمسين وخمس مئة، وقال: كنت انحدرت إلى الغراف في شغل فلقيته هناك وكتب منه قصائد. منها، في مدح المظفر بن حماد:." (٢)

١٥٦. "بشر بن يحيي بن حسان من أصحاب الرازي وكان يناظر فاحتجوا عليه بطاووس فقال: يحتجون علينا بالطيور. قال أبو زرعة: وبلغني أنه ناظر إسحاق في القرعة فاحتج عليه إسحاق بالأحاديث الصحيحة فأفحمه، فانصرف، ففتش كتبه فوجد في حديث النبي ﷺ القرع فصحف بالراء فانصرف وقال لأصحابه: قد وجدت حديثا أكسر به ظهره، فأتى إسحاق فأخبره فقال: إنما هو القزع.

تصحيف يجعل الحلال حراما

وسأل حماد بن يزيد غلام فقال: يا أبا إسماعيل حدثك عمر أن النبي ﷺ نهى عن

---

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ ط_أخرى أسامة بن منقذ ص/٣٦٦

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء العراق جـ ٤ المجلد الثاني ٢ العماد الأصبهاني ص/٥٤٨

الخبز، قال: فتبسم حماد وقال: يا بني إذا نهى عن الخبز فمن أي شيء يعيش الناس؟ وإنما هو نهى عن الخمر.

الضبي يكفيه كفن واحد

وعن يحيي بن معين قال: قدم داود بن أبي هند عليهم الكوفة فقام مستملي أهل الكوفة فقال: كيف حديث سعيد يكفن الضبي في ثوب واحد؟ يريد يكفن الصبي في ثوب واحد.." (١)

١٥٧. "و"أشرف مسموع في تحقيق أبحاث الموضوع" (١)

الصنهاجي ٧٧٧ - ٨٧٣ ه / ١٣٧٥ - ١٤٦٨م)

سالم بن ابراهيم بن عيسى الصنهاجي: قاض، محدث، حافظ، من فقهاء المالكية. ولد بمشدالة، ونشأ ببجاية، وتعلم بتونس. رحل عنها سنة ٨٣٤ ه فوقع في أسر النصارى وبقي عندهم مدة، ثم ناظر أساقفتهم في بلادهم فأفحمهم فأخرجوه، فتوجه الى المشرق. سمع بالحجاز ومصر ودمشق، وحدث ودرس وأفتى. ولي قضاء المالكية بدمشق، ثم قضاء القدس، ثم عاد الى دمشق، قال ابن طولون "سار في ذلك سيرة حسنة بحرمة وصرامة وكلمة نافذة وعز ة وعفة ونزاهة". مات بدمشق. (٢)

الصنهاجي (القرن ١١ الهجري / القرن ١٦ الميلادي)

عثمان بن زيان، المشهور بالصنهاجي: نحوي، عالم بالفقه. مات بقرية أولاد علي

---

(١) الضوء اللامع ٣: ٢٠٥ ودرة الحجال. ومعجم المؤلفين ٤: ٢٠، ١: ٢٥٧ وهدية العارفين ١: ٣٥٣ وعقود المقريزي وذيله تاريخ مكة. وكشف الظنون ١: ٢٨٥ وايضاح المكنون ١: ٨٧.

---

(١) أخبار الحمقى والمغفلين ابن الجوزي ص/٨٧

(٢) قضاة دمشق ٢٥٩ والدارس ٢: ٧ والانس الجليل ٢: ٢٤٧ والضوء اللامع ٣: ٢٤٠.." (١)

١٥٨. "أكرموا محله وكان هناك جمع من العلماء ومجلس نظر فأقعدوه فى الصدر ثم سئل بضعهم مسألة فلما شرع فى الجواب دخل الشيخ فأخذ يرد عليه ويناظره حتى أفحمه فقضيت العجب من علمه وفصاحته فقلت لبعض من كان عندى من هذا الشيخ فقال أبو الحسن الأشعرى

فلما قاموا تبعته فقال لى يا فتى كيف رأيت الأشعرى فخدمته وقلت يا سيدى كما هو فى محله ولكن لم لا تسأل أنت ابتداء فقال أنا لا أكلم هؤلاء ابتداء ولكن إذا خاضوا فى ذكر ما لا يجوز فى دين الله رددنا عليهم بحكم ما فرض الله ﷻ علينا من الرد على مخالفى الحق

ورويت هذه الحكاية عن ابن خفيف على وجه آخر يشترك معها بعد الدلالة على عظمة الشيخ ومحله فى العلم فى أنه كان لا يتكلم في علم الكلام إلا حيث يجب عليه نصرا للدين ودفعا للمبطلين

وقد قدمنا الحكاية على وجه كيس من كلام والد الإمام فخر الدين فيما أحسب أو من كلام ابن خفيف نفسه فى ترجمة ابن خفيف

قال علماؤنا كان الشيخ صاحب فراسة ونظر بنور الله وكان ابن خفيف كما عرف حاله من أرباب الأحوال وسادة المشايخ فلما أبصره الشيخ وفهم عنه ما يريد أحب ألا يراه إلا على أكمل أحواله من العلم وهو وقت المناظرة فإن أول نظر يثبت فى القلب ويرسخ فأراد الشيخ تربية ابن خفيف فإنه إذا نظره فى أكمل أحواله امتلأ قلبه بعظمته فانقاد لما يأتيه من قبله." (٢)

١٥٩. "ولقد سمعت الأستاذ الشهيد أبا على الحسن بن على الدقاق رحمة الله عليه يقول سمعت أبا على زاهر بن أحمد الفقيه رحمة الله عليه يقول مات أبو الحسن الأشعرى ورأسه فى حجرى وكان يقول متنا فى حال نزعه من داخل حلقه فأدنيت إليه رأسى

---

(١) معجم أعلام الجزائر ابن عساكر، أبو منصور ص/١٩٦

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السُّهْرَوَرْدي ٣/٣٥٠

وأصغيت إلى ما كان يقرع سمعى وكان يقول لعن الله المعتزلة موهوا ومخرقوا
وإنما كان أبو الحسن الأشعرى يتكلم فى أصول الدين على جهة الرد على أهل الزيغ والبدع تأديا بما أوجب الله سبحانه على العلماء من النضح عن الدين وكشف تمويه الملحدين والمبتدعين بما زالوا عن النهج المستقيم
ولقد سمعت الأستاذ أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن عبيد الله الشيرازى الصوفى يقول سمعت بعض أصحاب أبي عبد الله بن خفيف الشيرازى رحمة الله عليهم يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول دخلت البصرة فى أيام شبابى لأرى أبا الحسن الأشعرى رحمة الله عليه لما بلغنى خبره فرأيت شيخا بهى المنظر فقلت له أين منزل أبي الحسن الأشعرى فقال وما الذى تريد منه فقلت أحب أن ألقاه فقال ابتكر غدا إلى هذا الموضع قال فابتكرت فلما رأيته تبعته فدخل دار بعض وجوه البلد فلما أبصروه أكرموا محله وكان هناك جمع من العلماء ومجلس نظر فأقعدوه فى الصدر فلما شرع فى الكلام دخل هذا الشيخ فأخذ يرد عليه ويناظره حتى أفحمه فقضيت العجب من علمه وفصاحته فقلت لبعض من كان عندى من هذا الشيخ فقال أبو الحسن الأشعرى فلما قاموا تبعته فالتفت إلى وقال يا فتى كيف رأيت الأشعرى فخدمته وقلت يا سيدى كما هو فى محله." (١)

١٦٠. "المجلس متى الفيلسوف النصراني، فقال الوزير: أريد أن ينتدب منكم إنسان لمناظرة متى في قوله: إنه لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل، والحجة من الشبهة، والشك من اليقين؛ إلا بما حويناه من المنطق، واستفدناه من واضعه على مراتبه، فانتدب له أبو سعيد السيرافي وكان فاضلا في علوم غير النحو، فكلمه في ذلك حتى أفحمه وفضحه، وليس هذا موضع التطويل بذكره، وغير خاف استغناء العلماء والعقلاء – قبل واضع المنطق أرسطاطاليس وبعده – ومعارفهم الجمة عن تعلم المنطق، وإنما المنطق عندهم – بزعمهم – آلة صناعية تعصم الذهن من الخطأ، وكل ذي ذهن صحيح منطقي بالطبع، فكيف غفل الغزالي عن حال شيخه إمام الحرمين فمن قبله من كل

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السُّهْرَوَرْدي ٣/٤٠٢

إمام هو له مقدم، ولمحله في تحقيق الحقائق رافع له ومعظم، ثم لم يرفع أحد منهم بالمنطق رأسا، ولا بنى عليه في شيء من تصرفاته أسا، ولقد أتى بخلطه المنطق بأصول الفقه بدعة عظم شؤمها على المتفقهة حتى كثر - بعد ذلك - فيهم المتفلسفة، والله المستعان.." (١)

١٦١. "فقال معاوية : والله يا أبا اسحاق ، مافى كتاب الله إخ وإنما فيه : وأن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ إلى أمر الله ، (١) ، فوالله ما قاتلت الباغية ولا المبغى عليها .

١٦٢. فأفحمه .

١٦٣. وزاد ابن ديزيل في هذا الخبر زيادة ذكرها في كتاب صفين قال : فقال سعد : أتأمرني أن أقاتل رجلا قال له رسول الله (ص) : أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى ! فقال معاوية : من سمع هذا معك ؟ قال : فلان وفلان وأم سلمة فقال معاوية : لو كنت سمعت هذا لما قاتلته .

١٦٤. ___________

(١) سورة الحجرات ٩ (*)."(٢)

١٦٥. "فإنك والكتاب إلى على كدابغة وقد حلم الاديم (١) لك الويلات أفحمها عليهم فخير الطالبي الترة الغشوم (٢) قال : فكتب معاوية إليه الجواب بيتا من شعر أوس بن حجر : ومستعجب مما يرى من أناتنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم (٣) * * * * وروى ابن ديزيل قال : لما عزم على عليه السلام على المسير إلى الشام ، دعا رجلا ، فأمره أن يتجهز ويسير إلى دمشق ، فإذا دخل أناخ راحلته بباب المسجد ، ولا يلقى من ثياب سفره شيئا ، فإن الناس إذا رأوه عليه آثار الغربة سألوه ، فليقل لهم : تركت عليا قد نهد (٤) إليكم بأهل العراق .

١٦٦. فانظر ما يكون من أمرهم .

---

(١) طبقات الفقهاء الشافعية ابن الصلاح ٢٥٤/١

(٢) شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد ابن أبي الحديد ٢٦٤/٢

١٦٧. ففعل الرجل ذلك ، فاجتمع الناس وسألوه ، فقال لهم ، فكثروا عليه يسألونه فأرسل

١٦٨. ______________

(١) الحلم ، بالتحريك : أن يفسد الجلد في العمل ويقع فيه دود فيتثقب ، تقول منه حلم ، بالكسر ، والحلمة : دودة تقع في الجلد فتأكله ، فإذا دبغ وهي موضع الاكل ، فبقى رقيقا ، تقول منه : حلم الاديم ، ومعنى البيت : أنت تسعى في إصلاح أمر قد تم فساده كهذه المرأة التى تدبغ الاديم الحلم الذى وقعت فيه الحلمة فنقبته وأفسدته فلا ينتفع به .

١٦٩. كذا فسره صاحب اللسان واستشهد بالبيت .

١٧٠. (٢) في اللسان بعد هذا البيت : فقومك بالمدينة قد تردوا فهم صرعى كأنهم الهشيم فلو كنت المصاب وكان حيا تجرد لا ألف ولا سئم يهنيك الامارة كل ركب من الافاق سيرهم الرسيم وزاد الطبري بعد البيت الثاني من زيادات اللسان : وذكر الضبى في الفاخر ٣٠ بعض هذه الابيات ونسبها إلى مروان بن الحكم .

١٧١. (٣) ديوانه ٢٧ ، ومقاييس اللغة ٢ : ٣٨٠ ، ٤ : ٢٤٤ ، ولم يترمزم ، أي ما حرك فاه بالكلام ، كرا فسره ابن فاارس واستشهد بالبيت .

١٧٢. وانظر اللسان ١٥ : ١٤٧ .

١٧٣. (٤) يقال : نهد لعدوه ، إذا أسرع لقتاله .

١٧٤. (*)."[(١)]

١٧٥. "ولا من عبد الدار المستحجبين ، فبم تفخر ؟ قال : نحن ريحانة قريش ، قال أبوالصقعب : قبحا لما جئت به ! وهل تدري لم سميت مخزوم ريحانة قريش ؟ سميت لحظوة نسائها عند الرجال ، فأفحمه .

١٧٦. روى أبو العباس المبرد في كتاب " الكامل " أن معاوية قال للاحنف بن قيس وجارية (١) بن قدامة ورجال من بني سعد معهما كلاما أحفظهم ، فردوا عليه جوابا

---

(١) شرح نهج البلاغة – ابن ابي الحديد ابن أبي الحديد ٣/٩٥

مقذعا ، وامرأته فاختة بنت قرظة في بيت يقرب منهم ، وهى أم عبد الله بن معاوية ، فسمعت ذلك فلما ، خرجوا قالت : يا أمير المؤمنين ، لقد سمعت من هؤلاء الاجلاف كلاما تلقوك به فلم تنكر ، فكدت أن أخرج إليهم فأسطو بهم ! فقال معاوية : إن مضر كاهل العرب ، وتميما كاهل مضر ، وسعدا كاهل تميم ، وهؤلاء كاهل سعد (٢) .

١٧٧. وروى أبو العباس أيضا أن عبد الملك ذكر يوما بني دارم ، فقال أحد جلسائه : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء قوم محظوظون – يعنى في كثرة النسل ونماء الذرية – فلذلك انتشر صيتهم .

١٧٨. فقال عبد الملك : ما تقول ! هذا وقد مضى منهم لقيط بن زرارة ولم يخلف عقبا ، ومضى قعقاع بن معبد بن زرارة ولم يخلف عقبا ، ومضى محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة ولم يخلف عقبا ! والله لا تنسى العرب هذه الثلاثة أبدا (٣) .

١٧٩. قال أبو العباس : إن الاصمعي قال : إن حربا كانت بالبادية ثم اتصلت بالبصرة ، فتفاقم الامر فيها ، ثم مشي بين الناس بالصلح ، فاجتمعوا في المسجد الجامع .

١٨٠. قال : فبعثت وأنا غلام إلى ضرار بن القعقاع من بني دارم ، فاستاذنت عليه ، فأذن لي ، فدخلت ، فإذا به في شمله يخلط بزرا لعنز له حلوب ، فخبرته بمجتمع القوم ، فأمهل حتى أكلت العنز ، ثم غسل الصحفة وصاح : يا جارية ، غدينا ، فأتته بزيت وتمر ، فدعاني فقذرته

١٨١. ______________

(١) ب : " حارثة " ، والصواب ما في أ والكامل .

(٢) الكامل ١ : ٦٥ .

(٣) الكامل ١ : ٣٠٨ .

١٨٢. (*)".[1]

١٨٣. "فقال معاوية والله يا أبا إسحاق ما في كتاب الله إخ وإنما فيه و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفي ء إلى أمر الله فو الله ما قاتلت الباغية ولا المبغي عليها فأفحمه . وزاد ابن ديزيل في هذا الخبر زيادة ذكرها في كتاب صفين قال فقال سعد أ تأمرني أن أقاتل رجلا قال له رسول الله ص

أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي فقال معاوية من سمع هذا معك قال فلان وفلان وأم سلمة فقال معاوية لو كنت سمعت هذا لما قاتلته

[٢٦٥]".[2]

١٨٤. "و لا من عبد الدار المستحجبين فبم تفخر قال نحن ريحانة قريش قال أبو الصقعب قبحا لما جئت به وهل تدري لم سميت مخزوم ريحانة قريش سميت لحظوة نسائها عند الرجال فأفحمه روى أبو العباس المبرد في كتاب الكامل أن معاوية قال للأحنف بن قيس وجارية بن قدامة ورجال من بني سعد معهما كلاما أحفظهم فردوا عليه جوابا مقذعا وامرأته فاختة بنت قرظة في بيت يقرب منهم وهي أم عبد الله بن معاوية فسمعت ذلك فلما خرجوا قالت يا أمير المؤمنين لقد سمعت من هؤلاء الأجلاف كلاما تلقوك به فلم تنكر فكدت أن أخرج إليهم فأسطو بهم فقال معاوية إن مضر كأهل العرب وتميما كأهل مضر وسعدا كأهل تميم وهؤلاء كأهل سعد . وروى أبو العباس أيضا أن عبد الملك ذكر يوما بني دارم فقال أحد جلسائه يا أمير المؤمنين هؤلاء قوم محظوظون يعني في كثرة النسل ونماء الذرية فلذلك انتشر صيتهم فقال عبد الملك ما تقول هذا وقد مضى منهم لقيط بن زرارة ولم يخلف عقبا ومضى قعقاع بن معبد بن زرارة ولم يخلف عقبا ومضى محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة ولم يخلف عقبا والله لا تنسى العرب هذه الثلاثة أبدا . قال أبو العباس إن الأصمعي قال إن حربا كانت بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقم الأمر فيها ثم مشي بين الناس بالصلح فاجتمعوا في

---

(١) شرح نهج البلاغة – ابن ابي الحديد ابن أبي الحديد ١٥/١٣٣

(٢) شرح نهج البلاغة – ابن ابي الحديد ط–أخرى ابن أبي الحديد ص/٥٧٤

المسجد الجامع قال فبعثت وأنا غلام إلى ضرار بن القعقاع من بني دارم فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت فإذا به في شملة يخلط بزرا لعنز له حلوب فخبرته بمجتمع القوم فأمهل حتى أكلت العنز ثم غسل الصحفة وصاح يا جارية غدينا فأتته بزيت وتمر فدعاني فقذرته

[١٣٤]." (١)

١٨٥. "دمعه، وتناثرت لآلئ جفنه.

ورأيته وبوجهه دماع بالضم وهو أثر الدمع، ورأيته شاحب الوجه من البكاء، وقد تقرحت أجفانه من البكاء، وسالت عبرته دما. ويقال نحب الرجل، وانتحب، وأعول إعوالا، ورن، وأرن، إذا رفع صوته بالبكاء، وله عويل، وعولة، ورنة، ورنين، وقد أعول على فلان، وأخذه الزويل والعويل أي الحركة والبكاء.

ونشج الباكي إذا غص بالبكاء في حلقه فردد صوته في صدره ولم يخرجه، وقد سمعت نشيجه.

وأخذته المأقة بالتحريك وهي شبه فواق يأخذ الإنسان عند البكاء والنشيج.

والمأقة أيضا، والمأق، ما يأخذ الصبي بعد البكاء، وقد مئق بالكسر، وامتأق، وهو مئق، وأباتته أمه مئقا أي باكيا، ويقال: رغا الصبي رغاء بالضم وهو أشد ما يكون من بكائه، وبكى حتى فحم بكسر الحاء وفتحها، وفحم، وأفحم على المجهول فيهما، أي انقطع نفسه، وقد أفحمه البكاء. ويقال: أجهش الرجل إذا تهيأ للبكاء.

وبضع الدمع في عينه إذا صار في الشفر ولم يفض، وترقرق الدمع في عينه إذا." (٢)

١٨٦. "بنصوص الأثبات، وكانت حجته العالية، وحجته العليا.

وقد نضح عن نفسه، وتلقى دعواه بثبتها، وجاء بنفذ كلامه، وخرج من عهدة ما قاله، وخرج من عهدة ما أخذ عليه، وأثبت قوله من طريق البرهان.

وقد أبكم خصمه، وأفحمه، وقطعه، وخطمه وخصمه، وحجه، وقرعه بالحق، وقرحه بالحق، ودحض حجته، وأدحضها، ودفع قوله، ودفع استدلاله، وزيف برهانه، ورد

---

(١) شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد ط-أخرى ابن أبي الحديد ص/٤٢٦٠

(٢) نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد ابن مالك ٢١١/١

حجته عليه، وأجر لسانه وبهره، وبرعه، وقهره، وظهر عليه، وفلج عليه، واستطال عليه، وأديل منه، ورماه بسكاته، وبصماته، ورماه بقاصمة الظهر، ورماه بثالثة الأثافي، ورماه بأقحاف رأسه، وتركه معتقل اللسان ورد من سامي طرفه، ورده." (١)

١٨٧. "ويقال نحب الرجل ، وانتحب ، وأعول إعوالا ، ورن ، وأرن ، اذا رفع صوته بالبكاء ، وله عويل ، وعولة ، ورنة ، ورنين ، وقد أعول على فلان ، وأخذه الزويل والعويل أي الحركة والبكاء . ونشج الباكي اذا غص بالبكاء في حلقه فردد صوته في صدره ولم يخرجه ، وقد سمعت نشيجه . وأخذته المأقة بالتحريك وهي شبه فواق (١) يأخذ الانسان عند البكاء والنشيج . والمأقة أيضا ، والمأق ، ما يأخذ الصبي بعد البكاء ، وقد مئق بالكسر ، وامتأق ، وهو مئق ، وأباتته أمه مئقا أي باكيا . ويقال رغا الصبي رغاء بالضم وهو اشد ما يكون من بكائه . وبكى حتى فحم بكسر الحاء وفتحها ، وفحم ، وأفحم على المجهول فيهما ، أي انقطع نفسه ، وقد أفحمه البكاء .

---

(١) ترديد الشهقة العالية وذكر قريبا." (٢)

١٨٨. "وقد أبكم خصمه ، وأفحمه ، وقطعه (١) ، وخطمه (٢) ، وخصمه (٣) ، وحجة (٤) ، وقرعه بالحق (٥) ، وقرحه بالحق (٦) ، ودحض حجته (٧) ، وأدحضها ، ودفع قوله ، ودفع استدلاله ، وزيف برهانه (٨) ، ورد حجته عليه ، وأجر لسانه (٩) ، وبهره ، وبرعه ، وقهره ، وظهر عليه ، وفلج عليه ، واستطال عليه ، وأديل منه (١٠) ، ورماه بسكاته (١١) ، وبصماته (١٢) ، ورماه بقاصمة الظهر (١٣) ، ورماه بثالثة الأثافي (١٤) ، ورماه بأقحاف رأسه (١٥) ، وتركه معتقل اللسان ، ورد من سامي طرفه (١٦) ، ورده صاغرا قميئا (١٧) ، وكأنما أفرغ عليه ذنوبا (١٨) .

---

(١) نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد ابن مالك ٤٩/٢

(٢) نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد ط- أخرى ابن مالك ص/١٦٦

(١) أي قطعه عن الكلام

(٢) من خطم البعير وهو ان يجعل حبل في عنقه ويثنى على انفه يقاد به

(٣) غلبه في الخصومة

(٤) غلبه في الحجة

(٥) أي رماه به

(٦) استقبله به

(٧) ابطلها

(٨) اظهر زيفه أي فساده

(٩) من اجرار الفصيل وهو شق لسانه ليمتنع عن الرضاع

(١٠) كل هذا بمعنى غلبه

(١١) أي بما اسكته

(١٢) بمعنى ما قبله

(١٣) أي بالداهية العظمى

(١٤) أي بالامر المعضل والاثافي الحجارة التي تنصب عليها القدر واحدتها اثفية قيل والمراد بثالثة الاثافي الجبل وذلك انهم قد ينزلون بجانب جبل فيضعون حجرين الى جانبه ويجعلونه بمنزلة الثالث وقيل المراد انه رماه بالشر كله فجعله اثفية بعد اثفية حتى رماه بالثالثة

(١٥) أي رماه بالمعضلات او بما يسكته . والاقحاف جمع قحف بالكسر وهو القطعة من عظم الجمجمة كأن المعنى انه دمغه بالحجة أي اصاب دماغه فكني عن ذلك بانه كسر جمجمته ثم رماه بقطعها

(١٦) أي نكس بصره

(١٧) أي ذليلا حقيرا

(١٨) افرغ صب والذنوب بفتح اوله الدلو فيها ماء أي تركه دهشا." (١)

---

(١) نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد ط- أخرى ابن مالك ص/٢٩٤

١٨٩. "لمنكرى البعث بقوله: وضرب لنا مثلا ونسي خلقه

[يس: ٧٨] كيف أفحمهم بالإلزامات، وإلى حجاجه لعباد الأصنام بقوله: إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له

[الحج: ٧٣] إلى آخر الآية ولولا أنه يخرجنا عن المقصد الذى تصدينا له لذكرنا فيه أمثلة رائقة ونبهنا فيه على أسرار بديعة.

المثال الثانى من السنة الشريفة،

ولا شك أن له صلى الله عليه مع الكفار من عبدة الأوثان والأصنام وغيرهم من أهل الكتب كاليهود والنصارى ملاطفة فى حسن الاستدراج ولين العريكة، والتهالك فى دعائهم إلى الدين، والإمعان فى الانقياد له، شيء كثير لا يحصر عدده، ولا يتجاوز أمده، فمن ذلك ما حكاه ابن هشام فى سيرته عن ابن إسحق: أن النبى صلى الله عليه وآله كتب إلى أحبار اليهود فقال: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صاحب موسى وأخيه، والمصدق لما جاء به موسى، ألا إن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة، وإنكم لتجدون ذلك فى كتابكم، محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما، وإنى أنشدكم بالله، وأنشدكم بما أنزل عليكم، وأنشدكم بالذى أطعم من كان قبلكم من أسباطكم، والمن والسلوى، وأنشدكم بالذى أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاهم من فرعون وعمله، إلا أخبرتمونا: هل تجدون فيما أنزل عليكم أن تؤمنوا بمحمد، وإن كنتم لا تجدون ذلك فى كتابكم فلا كره عليكم قد تبين الرشد من الغى، فأدعوكم إلى الله وإلى نبيه، فلينظر الناظر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من لطيف المحاورة وحسن الاستدراج المزيل للأحقاد والضغائن، والمؤثر فى إزالة السخائم عن القلوب، وذلك من أوجه، أما أولا فلأنه صدر كتابه بقوله صاحب موسى

وأخيه يعنى هارون، وإنما فعل ذلك إزالة للوحشة عنهم، وتقريرا لخواطرهم، وإيناسا لقلوبهم عن." (١)

١٩٠. "فقال لي: يا عم أخرجك الهزل إلى الجد، وأنشد يقول:

ليس يزرى السواد بالرجل الشه ... م ولا بالفتى الأديب الأريب

إن يكن لسواد فيك نصيب ... فبياض الأخلاق منك نصيبي قلت: وقد نظم بعض المتأخرين، وهو الأعز وأبو الفتوح نصر الله بن قلاقس الإسكندري – وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف النون – هذا المعنى وزاد فيه وأحسن كل الإحسان، وهو قوله (١) :

رب سوداء وهي بيضاء فعل ... حسد المسك عندها الكافور

مثل حب العيون يحسبه النا ... س سوادا وإنما هو نور وجلس (٢) المعتصم يوما – وقد تولى الخلافة بعد المأمون – وعن يمينه العباس بن المأمون، وعن يساره إبراهيم بن المهدي، فجعل إبراهيم يقلب خاتما في يده، فقال له العباس: يا عم ما هذا الخاتم فقال: خاتم رهنته في أيام أبيك فما فككته إلا في أيام أمير المؤمنين، فقال له العباس: والله لئن لم تشكر أبي على حقن دمك مع عظيم جرمك لا تشكر أمير المؤمنين على فك خاتمك، فأفحمه.

وهذا إبراهيم في حديثه طول كثير (٢) أورده أرباب التواريخ في كتبهم، لكن اختصرته، ونبهت على المقصود منه، وقد استوفى الطبرى وغيره الكلام فيه.

ولما ظفر المأمون بإبراهيم شاور فيه أحمد بن أبي خلد الأحول الوزير، فقال: يا أمير المؤمنين، إن قتلته فلك نظراء، وإن عفوت عنه فما لك نظير.

وكانت ولادته غرة ذي القعدة سنة اثنتين وستين ومائة، وتوفي يوم الجمعة لتسع خلون من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائتين بسر من رأى، وصلى عليه ابن أخيه المعتصم، تعالى.

وسر من رأى فيها ست لغات حكاها الجوهري في كتاب الصحاح في فصل

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز لؤلؤ بن أَحْمَد ٢/١٥١

(١) ليسا في ديوانه المطبوع.

(٢) د: وأخبار إبراهيم بن المهدي طويلة.." (١)

١٩١. "بشر المريسي

(الترجمة رقم: ١١٥، ص: ٢٧٧، س: ١٧، بعد قوله: وغيرهم ﷺ تعالى)

وكان صحب مجوسيا في سفر فقال له بشر: أسلم، قال المجوسي: حتى يريد الله، قال: قد أراد الله ذلك وشاءه ولكن الشيطان ليس يدعك، قال المجوسي: فأنا مع أقواهما، فقطعه وأفحمه.

(آيا صوفيا: ٧٣ أ)

تقية الصورية

(الترجمة رقم: ١٢٣، ص: ٢٩٨، س: ٩، بعد قوله: إلى مقام كريم)

ولها من قصيدة في الحافظ المذكور:

أعوامنا قد أشرقت أيامها ... وعلا على ظهر السماك خيامها

والروض مبتسم بنور أقاحه ... لما بكى فرحا عليه غمامها

والنرجس الغض الذي أحداقه ... ترنو فيفهم ما يقول خزامها

وشقائق النعمان في وجناته ... خالات مسك حاكها رقامها

وبنفسج لبس الحداد لحزنه ... أسفا على مهج يزيد غرامها

والجلنار على الغصون كأكؤس ... خرطت عقيقا والنضار مدامها

وغصون آس شبهته عيوننا ... غيداء يثني قدها وقوامها

وكأنما زهر الرياض عساكر ... في موكب منشورة أعلامها

يبدي نسيم الصبح سر عبيرها ... فينم عن طيب بها نمامها

يا صاح قم لسعادة قد أقبلت ... وتنبهت بعد الكرى نوامها

واجمع خواطرنا لنجلو فكرها ... لما تجرد للقريض حسامها

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٤١/١

مدح الإمام على الأنام فريضة ... فخر الأئمة شيخها وإمامها (آيا صوفيا: ٧٧ أ)."
(١)

١٩٢. "قال عبد الله بن المعتز: جاءني محمد بن يزيد النحوي فجرى ذكر أبي تمام فلم يوفه حقه، فقال له رجل من الكتاب كان في المجلس، ما رأيت أحدا أحفظ لشعر أبي تمام منه: يا أبا العباس، ضع يدك على من شئت من الشعراء ثم انظر أيحسن أن يقول مثل ما قاله أبو تمام لأبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي يعتذر إليه:

لعمري لقد أقوت مغانيكم بعدي ... ومحت كما محت وشائع من برد

وأنجدتم من بعد إتهام داركم ... فيا دمع أنجدني على ساكني نجد ثم مر فيها حتى بلغ إلى قوله في الاعتذار:

أتاني مع الركبان ظن ظننته ... لففت له رأسي حياء من المجد

كريم متى أمدحه والورى ... معي ومتى ما لمته لمته وحدي حدث الصولي قال: كان أبو تمام إذا كلمه إنسان أجابه قبل انقضاء كلامه كأنه قد علم ما يقول فاعد جوابه، فقال له رجل: يا أبا تمام لم لا تقول من الشعر ما يعرف فقال: وأنت لم لا تعرف من الشعر ما يقال فأفحمه. وكان الذي قال له هذا أبو سعيد الضرير بخراسان، وكان هذا من علماء الناس وكان متصلا بالطاهرية.

قال علي بن محمد بن عبد الكريم: لما صار إلينا أبو تمام مقدمه من مصر عمل قصيدته التي أولها:

أرامة كنت مألف كل ريم ... فاتصل خبرها بعتبة بن عصيم الذي يهجوه أبو تمام، وهو كلبي من قضاعة، وكان أديبا شاعرا، فأحب أن يسمع هذه القصيدة من أبي تمام فقال لمن حضر: ايتوني به، فجاءوا به فأنشده إياها، فلما فرغ قال: أحسنت يا غلام على صغر سنك، فسكت أبو تمام وقال: يا عم أنشدني من شعرك، فأنشده قصيدة، فلما فرغ قال: يا عم ما أحسنت على كبر سنك، فقال عتبة لبني عبد الكريم: أخرجوا هذا من بلدنا فليس يصلح أن يقيم في بلدنا.." (٢)

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٤٦٩/١

(٢) وفيات الأعيان ابن خلكان ٢١/٢

١٩٣. "المقدم ذكره في حرف الفاء طرف من خبره فلا حاجة إلى إعادته (١) - وهي قضية تدل على حلمه (٢) وحسن عفوه.

وذكر الأمير المختار المعروف بالمسبحي أنه الذي اختلط أساس الجامع بالقاهرة مما يلي باب الفتوح، وحفر وبني، وبدئ بعمارته سنة ثمانين وثلثمائة في شهر رمضان. ثم قال المسبحي أيضا: وفي أيامه بني قصر بالقاهرة الذي لم يبن مثله في شرق ولا غرب، وقصر الذهب وجامع القرافة والقصور بعين شمس. وكان أسمر أصهب الشعر أعين أشهل العين عريض المنكبين حسن الخلق قريبا من الناس لا يؤثر سفك الدماء، بصيرا بالخيل والجارح من الطير، محبا للصيد مغرى به وبصيد السباع (٣) ويعرف الجوهر والبز، وكان أديبا فاضلا.

ذكره أبو منصور الثعالبي في كتاب " يتيمة الدهر " (٤) وأورد له شعرا قال في بعض الأعياد وقد وافق موت بعض أولاده وعقد عليه المآتم، وهو:

نحن بنو المصطفى ذوو محن ... يجرعها في الحياة كاظمنا

عجيبة في الأنام محنتنا ... أولنا مبتلى وخاتمنا (٥)

يفرح هذا الورى بعيدهم ... طرا وأعيادنا مآتمنا ثم قال بعد فصل طويل: وسمعت الشيخ أبا الطيب يحكي أن المرواني صاحب الأندلس كتب إليه نزار صاحب مصر كتابا يسبه فيه ويهجوه، فكتب إليه " أما بعد، فإنك قد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك، والسلام " فاشتد على نزار وأفحمه عن الجواب.

وذكر أبو الحسن الروحي في كتاب " تحفة الظرفاء في تاريخ الخلفاء " (٦) أن هذه

---

(١) ص: الإعادة.

(٢) ق: جميله.

(٣) ن: الضباع؛ ق: الضباع والسباع.

(٤) اليتيمة ١: ٣٠٩.

(٥) ر: وآخرنا، وأثبت الروايتين في ق؛ وفسي اليتيمة ((وآخرنا)) .

(٦) المطبوع من هذا الكتاب يحمل اسم ((بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء)) والقصة فيه ص: ٣٥.." (١)

١٩٤. "سلامة جارية شاعرة، كانت ليزيد بن معاوية، من مولدات المدينة، كان الأحوص يشبب بها.

قال أبو محمد الجزري: كانت بالمدينة جارية مغنية، يقال لها: سلامة، من أحسن النساء وجها، وأتمهن عقلا، وأحسنهن حديثا، وقد قرأت القرآن، وروت الشعر وقالته. وكان عبد الرحمن بن حسان والأحوص يجلسان فيرويانها الشعر، ويناشدانها إياه، فعلقت الأحوص، وصدت عن عبد الرحمن، فقال لها عبد الرحمن يعرض لها بما ظنه من ذلك: الوافر

أرى الإقبال منك على جليسي ... ومالي في حديثكما نصيب

فأجابته:

لأن الله عقله فؤادي ... فحاز الحب دونكما الحبيب

فقال الأحوص:

خليلي لا تلمها في هواها ... ألذ العيش ما تهوى القلوب

قال: فأضرب عنها ابن حسان، وخرج ممتدحا ليزيد بن معاوية، فأكرمه وأعطاه. فلما انصرف قال: يا أمير المؤمنين، عندي نصيحة، قال: وما هي؟ قال: جارية بالمدينة لامرأة من قريش من أجمل الناس وأكملهم ولا تصلح أن تكون إلا لأمير المؤمنين وفي سماره، فأرسل إليها يزيد فاشتريت له وحملت إليه فوقعت منه موقعا عظيما، وفضلها على جميع من عنده، وقدم عبد الرحمن المدينة فمر بالأحوص وهو على باب داره مهموم، فأراد أن يزيده على ما به فقال: من السريع

يا مبتلي بالحب مفدوحا ... لاقى من الحب تباريحا

أفحمه الحب فما ينثني ... إلا بكأس الحب مصبوحا." (٢)

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٣٧٢/٥

(٢) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٢٦١/١٠

١٩٥. "قدم وكيع مكة حاجا، فرآه بن عياض، وكان وكيع سمينا. فقال الفضيل: ما هذا السمن وأنت راهب العراق؟ فقال له وكيع: هذا من فرحي بالإسلام. فأفحمه.

قال سلم بن جنادة: جالست وكيع بن الجراح سبع سنين، فما رأيته بزق، ولا رأيته مس حصاة بيده، ولا رأيته جلس مجلسه فتحرك، وما رأيته إلا مستقبل القبلة، وما رأيته يحلف بالله.

أغلظ رجل لوكيع بن الجراح، فدخل وكيع بيتا، فعفر وجهه في التراب، ثم خرج إلى الرجل، فقال: زد وكيعا بدينه، فلولاه ما سلطت عليه.

قال بعض المشايخ: سألت وكيعا عن مقدمه هو وابن إدريس وحفص على الرشيد هارون، فقال لي: ما سألني عن هذا أحد قبلك: قدمنا، فأقعدنا بين السريرين، فكان أول من دعا به أنا، فقال: يا وكيع، إن أهل بلدك طلبوا مني قاضيا، وسموك لي فيمن سموا، وقد رأيت أن أشركك في أمانتي وصالح ما أدخل فيه من أمر هذه الأمة، فخذ عهدك وامض. فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا شيخ كبير، وإحدى عيني ذاهبة، والأخرى ضعيفة. فقال هارون: اللهم غفرا، خذ عهدك أيها الرجل وامض. فقلت: يا أمير المؤمنين، إن كنت صادقا إنه لينبغي أن تقبل مني، وإن كنت كاذبا فما ينبغي أن تولي القضاء كذابا. فقال: اخرج، فخرجت.

ودخل ابن إدريس، وكان هارون قد وسم له من ابن إدريس وسم، يعني خشونة جانبه. فدخل فسمعنا صوت ركبتيه على الأرض حين برك، وما سمعناه يسلم إلا سلاما خفيا، فقال له هارون: أتدري، لم دعوتك؟ قال: لا، قال: إن أهل بلدك طلبوا مني قاضيا وسموك لي فيمن سموا، وقد رأيت أن أشركك في أمانتي، وأدخلك في صالح ما أدخل فيه من أمر هذه الأمة، فخذ عهدك وامض. فقال له ابن إدريس: ليس أصلح للقضاء؛ فنكت هارون بأصبعه، وقال له: وددت أني لم أكن رأيتك. قال له." (١)

١٩٦. "ودخل جرير بن عطية الخطفي على عبد الملك بن مروان بعد ما منعه من الدخول عليه كراهة فيه وفي شعره فأنشد

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٢٩٦/٢٦

أتصحو أم فؤادك غير صاحي ... عشية هم قومك بالرواح

فقال له بل فؤادك يا ابن اللخناء فحصر جرير وخرج خائبا وفي هذه القصيدة يقول مادحا بما لم يأت أحد بمثله

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

خاصم رجلا خالد بن أبي صفوان وكان قد كف بصره فترافعا إلى بلال ابن أبي بردة وكان أمير الكوفة وقاضيها فقضى على خالد ثم مر به مركب بلال فسأل من هذا قالوا بلال فقام خالد وهو يقول

سحابة صيف عن قليل تقشع فسمعه بلال فقال له والله لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب برد ثم أمر به فضرب مائتي سوط وأمر بحبسه فقال له خالد علام تفعل بي هذا ولم أجن جناية فقال بلال يخبرك بذلك باب مصمت واقياد ثقال وقيم يقال له حفص ثم ضرب الدهر ضرباته فنكب بلال بعد ذلك واحضره يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام في قيوده وكان خالد جالسا عنده فقال له أيها الأمير إن بلالا عد والله ضربني وحبسني ولم أفارق جماعة ولا خلعت يدا من طاعة ثم التفت إلى بلال وقال الحمد لله الذي أذل سلطانك وهد أركانك وأزال جمالك وغير حالك فوالله لقد كنت شديد الحجاب مستخفا بالشريف مظهرا للمعصية فقال بلال يا خالد إنما استطلت علي بثلاث الأمير عليك مقبل وعني معرض وأنت طليق وأنا عان وأنت في وطنك وأنا غريب فأفحمه." (١)

١٩٧. "ويقال: جاء ناس من بني تغلب إلى بكر بن وائل يستسقونهم، فطردتهم بكر للحقد الذي كان بينهم،

فرجعوا فمات منهم سبعون رجلا عطشا. ثم أن بني تغلب اجتمعوا لحرب بكر بن وائل، واستعدت

لهم بكر حتى إذا التقوا كره كل صاحبه، وخافوا أن تعود الحرب بينهم كما كانت، فدعا بعضهم بعضا

(١) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/١٤٧

إلى الصلح فتحاكموا في ذلك إلى الملك عمرو بن هند، فقال عمرو: ما كنت لأحكم بينكم حتى تأتوني

بسبعين رجلا من بكر بن وائل فأجعلهم في وثاق عندي، فان كان الحق لبني تغلب دفعتهم إليهم، وإن

لم يكن لهم حق خليت سبيلهم. ففعلوا وتواعدوا ليوم يجتمعون فيه، فقال الملك لجلسائه: من ترون من

بني تغلب تأتي به لمقامها هذا؟ فقالوا: شاعرهم وسيدهم عمرو بن كلثوم. قال: فبكر بن وائل؟

فاختلفوا عليه وذكروا غير واحد من أشراف بكر بن وائل، قال: كلا والله لا تفرج بكر بن وائل إلا

عن الشيخ الأصم يعثر في ريطته فيمنعه الكرم أن يرفعها حتى يرفعها قائده فيضعها على عاتقه. فلما

أصبحوا جاءت تغلب يقودها عمرو بن كلثوم حتى جلس إلى الملك. وقال الحارث بن حلزة: أني قد

قلت خطبة فمن قام بها ظفر بحجته وفلج على خصمه. فرواها ناسا منهم، فلما قاموا بين يديه لم

يرضهم، فحين علم إنه لا يقوم أحد مقامه قال لهم: والله لأكره أن آتي الملك فيكلمني من وراء سبعة

ستور وينضح أثري بالماء إذا انصرفت عنه – وذلك لبرص كان به – غير أني لا أرى أحدا يقوم

بها مقامي، وأنا محتمل ذلك لكم. فانطلق حتى أتى الملك، فلما نظر إليه عمرو بن كلثوم قال للملك:

أهذا يناطقني وهو لا يطيق صدر راحلته! فأجابه الملك حتى أفحمه. وأنشد الحارث قصيدته:

آذنتنا ببينها أسماء

وهو من وراء سبعة ستور، وهند تسمع، فلما سمعتها قالت: تالله ما رأيت كاليوم قط أن رجلا يقول

مثل هذا القول يكلم من وراء سبعة ستور! فقال الملك: ارفعوا سترا. فدنا فما زالت تقول ذلك ويرفع

ستر فستر حتى صار مع الملك على مجلسه، ثم أطعمه في جفنته وأمر ألا ينضح أثره بالماء، وجز

نواصي السبعين الذين كانوا في يديه من بكر ودفعها إلى الحارث. وأمره ألا ينشد قصيدته إلا

متوضئا. فلم تزل تلك." (١)

١٩٨. "من أهل باب الازج، سمع أبا الفضل عبد الملك بن علي بن [عبد الملك ابن محمد بن] يوسف (١) توفي سنة اثنتين وستمائة.

٣٥٧٦ - كمال الدين أبو طالب بن علي بن محمد الإبريسمي الحلي النحوي.

ذكره شيخنا الأديب مهذب الدين أبو الثناء محمود بن يحيى الشيباني الحلي في كتاب شفاء الغلة من شعر شعراء الحلة وأثنى عليه وأنشدنا له سنة إحدى وثمانين:

في القلب من ألم الصدود خبال ... ولواعج لنياطه تغتال

يهوى ويشكو ما يخامره من الب ... لوى وقد أودى به البلبال

فيها:

ومسهد الأجفان من جور الهوى ... أوهى قواه قطيعة وملال

لا تسلك السعدي إن ظباءه ... اسد الشرى بعيونهن تغال

مل عن حماه ففيه ظبي أهيف ... يسبي العقول قوامه الميال

وهي طويلة.

٣٥٧٧ - كمال الدين أبو الفتح طاهر بن محمد بن الحسن الخراساني العميد.

---

(١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ابن آجُرُّوم ص/٣٧٠

إليه ينسب رباط العميد بالجانب الغربي من بغداد، وكان كاتبا من بيت كتابة ومعرفة وأدب وفقه، وكان حفظة للآثار والأخبار، قال: كان بابن عياش برص، فقال يوما لقرشي يتهم بشرب الخمر: قد جاء نبي يحل الخمر، فقال القرشي: اذا لا نؤمن به حتى يبرئ الأكمه والأبرص، فأفحمه.

= و ٨٠ ومختصره ص ٢٠٠، تاريخ الاسلام ٨٢.

(١) توفي سنة ٥٣١ ترجم له ابن الجوزي في المنتظم ج ١٧ وفيات ٥٣١ وابن النجار في تاريخه ج ١ ص ١١٥.." (١)

١٩٩. "٣٥٨٤ - كمال الدين أبو محمد عبد الله بن أبي الفرج بن صدقة البغدادي الكاتب.

روى كتاب شعراء الموسوسين تصنيف أبي بكر محمد بن أبي الأزهر وأنشد:

وإذا تحدث مطنب في مجلس ... لم يقره ملا بطول خطابه

وتراه يسمع قوله متعجبا ... بحديثه ولعله ادرى به

٣٥٨٥ - كمال الدين أبو الفرج عبد الله بن أبي القاسم بن أيوب الحلبي الأديب.

كان عارفا بالآداب والأخبار وقال: إن خالد بن صفوان (١) ما أفحمه أحد قط غير رجل من بني عبد الدار جمعهما مجلس فاستطال عليه خالد، وقال: يا أخا عبد الدار هشمتك هاشم، وأمتك امية، وخزمتك مخزوم، وجمحت بك جمح، فأنت عبد دارهم تفتح لهم اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا، فقال له:

أتقول لي هذا؟ وأنت خالد، والله يقول: {كمن هو خالد في النار}؛ وابن صفوان، وقد قال الله تعالى: {كمثل صفاان عليه تراب}.

٣٥٨٦ - كمال الدين أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم بن عبد السميع، السغناقي، الفقيه. (٢)

---

(١) مجمع الآداب في معجم الألقاب ابن الفوطي ١٦٠/٤

كان من أعيان فقهاء ما وراء النهر وبلاد الترك وكان حافظا فطنا لبيبا أورد بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: إذا اراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق، وفي حديث أنس قال:

---

(١) (وخبر خالد بن صفوان مذكور نحوه في العقد الفريد /٢ ص ١٢٣ في بيان مجاوبة الأمراء من كتاب المجنبة).

(٢) (السغناقي: الظاهر أنه نسبة إلى أحد أجداده).." (١)

٢٠٠. "المهلبي الكاتب وزير الملك الأشرف. (١)

من كلامه: أسعد الله الخدمة بقدوم السنة المباركة المجددة له طول الأعمار بمحمد وآله الأطهار وصحبته الأخيار، والعبد فإن كان بارع المنطق جزل الألفاظ فصيح اللسان لا يهتدي إلى شكر مولانا الذي أفحمه، فإنه أنعم وزاد وبلغ المراد، ومهد لعبيده أكناف رأفته وعنايته وحاطهم بشريف نظره ورعايته.

وكان والده (٢) نحويا، ذكره ياقوت في معجم الأدباء، وقال: توفي سنة سبعين وخمسمائة وأنشد له في صبيين كانا يتعاشران ويقرءان في كتاب الجمل في النحو:

رأيت خلين محبوبين قد ألفا ... بيتا من النحو في باب من الجمل

بعد الثلاثين بابا منه وانعكفا ... على قراءته بالقول والعمل

يريد باب الفاعلين المفعولين الذين يفعل كل واحد منهم بصاحبه ما يفعل به الآخر.

٤١٠١ - مجد الدين أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن يوسف البعلبكي المنجم.

كان عارفا بالنجوم وعمل المواليد وعلم الهيئة، قال بعض الأصحاب:

رأيت بخط مجد الدين فيما يكتب على الربع الذي يرصد به:

---

(١) التكملة للمنذري ٢٨٢/ ٣: ٢٣٢٩، تاريخ الاسلام وفيات ٦٢٨، الوافي الوفيات ٢٦٥/ ١١، ذيل الروضتين ١٦٠، البداية والنهاية ١٣٠/ ١٣، القلائد

---

(١) مجمع الآداب في معجم الألقاب ابن الفوطي ١٦٣/٤

الجوهرية ١٢١/ ١، الدارس ٢١٥/ ١. توفي سنة ٦٢٨.

(٢) لوالده ترجمة في إنباه الرواة وبغية الوعاة (ولم ترد ترجمة الوالد في معجم الأدباء المطبوع).." (١)

٢٠١. "أصحاب الرس: أنهم بقية ثمود وقوم صالح، وهم أصحاب البئر التى ذكرها الله تعالى فى كتابه وبئر معطلة.

قال: وكانوا بفلج اليمامة نزولا على تلك البئر.

وكل ركية لم تطو بالحجارة والآجر فهى رس؛ وكان لهم نبى يقال له: (حنظلة ابن صفوان) . وكان بأرضهم جبل يقال له: (فلج) مصعد فى السماء ميلا وكانت العنقاء تأتيه، وهى أعظم ما يكون من الطير، وفيها من كل لون، وسموها العنقاء لطول عنقها، وكانت تكون فى ذلك الجبل وتنقض على الطير فتأكلها فجاعت ذات يوم وأعوزها الطير، فانقضت على صبى فذهبت به، فسميت عنقاء مغرب، لأنها تغرب بما تأخذه وتذهب به، ثم انقضت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضمتها إلى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين، فشكوا ذلك إلى نبيهم؛ فقال: اللهم خذها واقطع نسلها، وسلط عليها آفة تذهب بها.

فأصابتها صاعقة فآحترقت، فلم ير لها أثر بعد ذلك.

قال: ثم إن أصحاب الرس قتلوا نبيهم، فأهلكهم الله تعالى.

قال الثعلبى: وقال بعض العلماء: بلغنى أنه كان رسان: أما أحدهما فكان أهله أهل بذر وعمود، وأصحاب غنم ومواش، فبعث الله إليهم نبيا فقتلوه، ثم بعث الله رسولا آخر وعضده بولى، فقتلوا الرسول، وجاهدهم الولى حتى أفحمهم؛ وكانوا يقولون: إلهنا فى البحر. وكانوا على شفير البحر؛ وكان يخرج إليهم من البحر شيطان فى كل شهر خرجة فيذبحون عنده، ويتخذون ذلك اليوم عيدا؛ فقال لهم الولى: أرأيتم إن خرج إلهكم الذى تدعونه وتعبدونه إلى وأطاعنى أتجيبونى إلى ما دعوتكم إليه؟ قالوا: بلى. وأعطوه

---

(١) مجمع الآداب في معجم الألقاب ابن الفوطي ٤/ ٤١٣

على ذلك العهود والمواثيق، فانتظر حتى خرج ذلك الشيطان على صورة حوت راكبا على أربعة أحوات، وله عنق." (١)

٢٠٢. "قال: وجلس رسول الله ﷺ يوما مع الوليد بن المغيرة فى المسجد، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهما، وفى المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله ﷺ؛ فعرض له النضر تكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم: (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون. لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون. لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون)

«١» ، ثم قام رسول الله ﷺ، وأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمى حتى جلس، فقال له الوليد بن المغيرة: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم! فقال عبد الله بن الزبعرى: أما والله لو وجدته لخصمته، فسألوا محمدا: أكل ما يعبد من دون الله فى جهنم مع من عبده؟، فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيرا، والنصارى تعبد عيسى بن مريم، فعجب الوليد ومن كان حضر معه فى المجلس من قول عبد الله، ورأوا أنه قد احتج وخاصم، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين، ومن أمرتهم بعبادته» ، فأنزل الله تعالى: (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون. لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون)

«٢» ، أى عيسى بن مريم، وعزير ومن عبدوا من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله، فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله.." (٢)

٢٠٣. "فكما أن الماء لا يستطاب إلا بعد العطش، فالوصل مثله لا يستطاب إلا بعد حرارة الهجر. وأما الأقيسة الحملية فقد استنبطوها على صور، مها ما يروى أن أبا دلف قصده شاعر تميمي، فقال له: ممن أنت؟ فقال: من تميم. فقال أبو دلف:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ... ولو سلكت سبل الهداية ضلت١

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٣/٨٩

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٦/٢٧٢

فقال له التميمي: نعم بتلك الهداية جئت إليك. فأفحمه بدليل حملي ألزمه فيه أن المجيء إليه ضلال.

ولعمري، إن القياس الشرطي أوضح دلالة في هذا الباب من غيره، وأعذب في الذوق وأسل في التركيب، فإنه جملة واقعة بعد لو وجوابها، وهذه الجملة، على اصطلاحهم، مقدمة شرطية متصلة يستدل بها على ما تقدم من الحكم، وعلى هذه الطريقة نظمت بيت البديعية، وكذلك العميان، ويأتي ذلك في موضعه، فبيت بديعية الشريف صفي الدين الحلي:

كم بين من أقسم الله العلي به ... وبين من جاء باسم الله في القسم

بيت الشيخ صفي الدين الحلي ليس لنور المذهب الكلامي فيه إشراق، ولكنه ملحق بالأقيسة الحملية.

وبيت العميان قد تقدم أنه من الأقيسة الشرطية، وهو قولهم في مديح النبي -ﷺ:

لو لم تحط كفه بالبحر ما شملت ... كل الأنام وأروت قلب كل ظمي

جملة هذا البيت هي الجمل الواقعة بعد لو وجوابها، فإنهم استدلوا بها على ما تقدم من الحكم: وهو أن كفه -ﷺ- محيط بالبحر، وبيان صحة ذلك أنها بلغت أن تشمل كل الأنام وتعمهم بالري، وهذا دليل واضح على أنها محيطة بالبحر.

وقد تعين أن أقدم بيت بديعيتي، هنا على بيت الشيخ عز الدين، وأفرط سبحة الترتيب لوجهين: أحدهما، أن بيتي وبيت العميان أقرا ببهجة هذا النوع في مطلع واحد، وهو القياس الشرطي، والثاني، أن الشيخ عز الدين لم يتمسك في المذهب الكلامي إلا بالقول الضعيف، وبيت بديعيتي، أقول فيه عن النبي -ﷺ:

ومذهبي في كلامي أن بعثته ... لو لم تكن ما تميزنا على الأمم

---

١ القطا: الحمام الزاجل وكان يستعمل لنقل الرسائل، ومن هنا يضرب به المثل في معرفة الطرق.." (١)

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الزيلعي ، فخر الدين ٣٦٥/١

٢٠٤. "وقال ابن المبارك: رجل المصريين اليوم ابن الجراح (١).

وقال مروان الطاطري: ما رأيت أخشع من وكيع (٢).

وقال سعيد بن منصور: قدم وكيع مكة، وكان سمينا، فقال له الفضيل بن عياض: ما هذا السمن، وأنت راهب العراق؟ قال: هذا من فرحي بالإسلام. فأفحمه (٣).

وقال ابن عمار: ما كان بالكوفة في زمان وكيع أفقه ولا أعلم بالحديث منه (٤).

وقال أبو داود: ما رئي لوكيع كتاب قط (٥).

وقال أحمد بن حنبل: ما رأت عيني مثل وكيع قط، يحفظ الحديث [جيدا] ويذاكر بالفقه فيحسن، مع ورع واجتهاد، ولا يتكلم في أحد (٦).

وقال يحيي بن يمان: إن لهذا الحديث رجالا خلقهم الله ﷻ يوم خلق السموات والأرض، وإن وكيعا منهم (٧).

---

(١) تاريخ بغداد: ١٣/ ٤٧٦.

(٢) تهذيب الكمال: ورقة ١٤٧٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ بغداد: ١٣/ ٤٧٥.

(٥) المصدر السابق.

(٦) تاريخ بغداد: ١٣/ ٤٧٤، والزيادة منه.

(٧) الجرح والتعديل: ١/ ٢٢٢.." [١]

٢٠٥. "حرف الخاء

خالد بن صفوان

كان قد كف بصره أخيرا.

وكان بلال بن أبي بردة بغيضا له، فمر به موكب بلال، فسأل من هذا فقالوا بلال. فقال:

---

(١) طبقات علماء الحديث ابن عبد الهادي ٤٤٣/١

سحابة صيف عن قليل تقشع

فسمعه بلال، فقال: أجل والله! لا تقشع حتى يصيبك شؤبوب برد. ثم أمر به فضرب مائة سوط، ثم أمر بحبسه. فقال له خالد: علام تفعل بي هذا ولم أجن جناية. فقال بلال: يخبرك بذلك باب مصمت، وأقياد ثقال، وقيم يقال له حفص. ثم إن الدهر ضرب ضربانه، فنكب بلال بعد ذلك، وأحضره يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام في قيوده. وكان خالد بن صفوان جالسا عنده. فقال: أيها الأمير، إن بلالا عدو الله ضربني وحبسني، وما فارقت جماعة، ولا خلعت يدا من طاعة. ثم التفت إلى بلال. وقال: الحمد الله الذي أذل سلطانك، وهد أركانك، وأزال جمالك، وغير حالك. فوالله كنت شديد الحجاب، مستخفا بالشريف، مظهرا للمعصية، فقال بلال: يا خالد! إنما استطلت علي بثلاثة، الأمير عليك مقبل، وعني معرض. وأنت طليق، وأنا عان. وأنت في وطنك، وأنا غريب. فأفحمه.

الخضر بن ثروان

بن أحمد بن أبي عبد الله. الثعلبي. أبو العباس الضرير التوماثي بضم التاء المثناة من فوق وبعد الواو الساكنة ميم وألف ثم ثاء مثلثة. كذا وجدته مقيدا، بلد من نواحي برقعيد من بلاد الجزيرة، وقدم بغداد شابا، وتفقه بها للشافعي. وسمع الحديث، وقرأ الأدب، وكان فاضلا. وتوفي تعالى ببخارى، سنة ثمانين وخمسمائة. ومن شعره:

أنت في غمرة النعيم تعوم ... لست تدري بأن ذا لا يدوم

كم رأينا من الملوك قديما ... همدوا فلعظام منهم رميم

ما رأينا الزمان أبقى على شخ ... ص شقاء فهل يدوم النعيم

والغنى عند أهله مستعار ... فحميد به ومنهم ذميم

وكان يحفظ المجمل، وشعر الهذليين، وأخبار الأصمعي، ورؤبة بن العجاج، وذي الرمة، وغيرهما. من المخضرمين، وأهل الجاهلية والإسلام.." (١)

---

(١) نكث الهميان في نكت العميان الصفدي ص/١٢٦

٢٠٦.   "حرف الهاء

هارون بن معروف

أبو علي المروزي. كان خزازا وأضر بأخرة. وروى عنه مسلم وأبو داود. وروى البخاري عن رجل عنه. وأحمد وصالح جزره، وغيرهم. وقال: رأيت في المنام. قيل لي: من آثر الحديث على القرآن عذب. قال: فظننت أن ذهاب بصرى من ذلك. وكان صدوقا فاضلا صاحب سنة. وتوفي تعالى سنة إحدى وثلاثين ومائتين.

هارون بن الحاتك

الضرير النحوي. أحد أعيان أصحاب ثعلب. وكان يوزن بوزنه. أصله يهودي من الحيرة. وكان الوزير عبيد الله بن سليمان أرسل إلى ثعلب في الاختلاف إلى ولده القاسم فأبى واحتج عليه بالضعف. فقال: أنقذ إلي من ترتضيه من أصحابك. فأنفذ هرون الضرير، فاستحضر عبيد الله أبا اسحاق الزجاج، وجمع بينهما، فسأله الزجاج. كيف تقول: ضربت زيدا ضربا؟ فقال: ضربت زيدا ضربا. فقال: كيف تكنى عن زيد والضرب؟ فأفحمه ولم يجبه وحار في يده وانقطع انقطاعا قبيحا وكان ذلك سبب منيته. وما كان هرون يذهب عليه ذلك، وجواب المسألة أن تقول: ضربته إياه. ولهارون من التصانيف: كتاب العلل في النحو، وكتاب الغريب الهاشمي واختلف فيه فقيل إنه لثعلب.

هبة الله بن سلامة

أبو القاسم. المقرئ الضرير المفسر. كان من أحفظ الناس. للتفسير والنحو والعربية. وكانت له حلقة بجامع المنصور في بغداد. وسمع الحديث من." (١)

٢٠٧.   "ولم يحتج أن أرد عليه ووزن لي في كل يوم مثقالا من الفضة وأردت أن أعرف حرصه في القراءة مع الجودة ورد علي ما كان أخذ مني ودفع إلي كلما حمله أصحابه من الشاتك والذهب فامتنعت فأظهر الكراهة حتى أخذت ما أشار إليه وخرجت من

---

(١) نكث الهميان في نكت العميان الصفدي ص/٢٨٧

تلك البلدة وسأل يوما أصحابه أين في القرآن كلمة متصلة عشرة أحرف فأفحمهم فقال ليستخلفنكم في الأرض ثم قال فاين جاء في القرآن بين أربع كلمات ثمان نونات فأفحمهم فقال أنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك وذكر السمعاني بأسناد أن الكركانجي قال نصف القرآن لقد جئت شيئا نكرا النون والكاف من النصف الأول

٣ - (أبو بكر بن الخاضبة محمد بن أحمد بن عبد الباقي ابن منصور الحافظ أبو بكر) ابن الخاضبة البغداذي الدقاق مفيد بغداذ والمشار إليه في القراءة الصحيحة مع الصلاح حدث عن الخطيب وغيره كان علامة في الأدب قدوة في الحديث جيد اللسان جامعا لخلال الخير كتب صحيح مسلم في سنة سبع مرات بعد الغرق قال فنمت فرأيت كأن القيامة قد قامت قد ومناديا ينادي أين ابن الخاضبة فأحضرت فأدخلت الجنة فلما دخلت الباب وصرت من داخل استلقيت على قفاي وقلت استرحت والله من النسخ فرفعت رأسي فإذا بغلة مسرجة ملجمة في يد غلام فقلت لمن هذه فقال للشريف أبي الحسن ابن الغريق فلما كان صبيحة تلك الليلة نعي إلينا أنه مات تلك الليلة توفي سنة تسع وثمانين وأربع ماية)

٣ - (النوقاتي محمد بن أحمد بن سليمن بن أيوب بن غيثة النوقاتي)

بالتاء المثناة من فوق قبل ياء النسبة ونوقات محلة بسجستان يقال لها توهات فعربت يكنى أبا عمر السجستاني رحل إلى خراسان وكتب بهراة ومرو وبلخ وما وراء النهر وسمع الكثير من الشيوخ وأكثر واشتغل بالتصنيف وبلغ فيها الغاية وكان مرزوقا فيها محسنا وأحسن في كل التصنيف وروى عنه أبناه عمر وعثمان ومن شيوخه الحاكم ابن البيع والحافظ أبو حاتم محمد بن حبان وتوفي سنة اثنتين وثمانين ثلث ماية وله كتاب آداب المسافرين كتاب العتاب والأعتاب كتاب فضل الرياحين كتاب العلم كتاب الشيب محنة الطرف في أخبار العشاق كتاب معاشرة الأهلين ومن شعره

(نمت دموعي على سرى وكتماني ... وشرد النوم عن عيني أحزاني)

(واقلقتني عما أستعين به ... على الهوى حسرات منك تغشاني)

(يا من جفاني وأقصاني وغادرني ... صبا واشمت بي من كان يلحاني)

(لا تنس أيام أنس قد مننت بها ... وداو غلة قلب فيك أعياني)

قلت شعر رقيق متوسط الرتبة." (١)

٢٠٨. "وعبيد الله بن موسى، وحماد بن مسعدة، وهارون الحمال، ومروان الطاطري.

وقال يحيى بن أكثم القاضي: صحبت وكيعا في الحضر والسفر فكان يصوم الدهر ويختم القرآن كل ليلة قالوا: وكان رئيسا ذا مال .... (١) يؤتى بمأكله وملبسه من غير أن يسأله، ولا يرى في مجلسه عبث، ولا يبصق ولا يتحرك.

ورآه الفضيل بن عياض بمكة فرآه سمينا، فقال له: ما هذا وأنت راهب العراق؟ فقال: من فرحي بالإسلام، فأفحمه.

وقال محمد بن سعد: كان ثقة، مأمونا، عاليا، رفيعا، كثير الحديث، حجة.

وقال العجلي: ثقة، عابد، صالح الحديث، أديب من حفاظ الحديث، وكان يفتي.

وذكر يحيى بن معين أنه كان يحدث لله ﷻ.

وقال غيره عن وكيع: لو علمت أن الصلاة أفضل من الحديث ما حدثتكم.

روي أنه قال لولده في مرض الموت ورفع يديه وقال: يا بني ما ضربت بهما شيئا قط، وقال: أتاني الثوري فبشرني بجواره فأنا مبادر إليه.

مات بعيد منصرفه من الحج سنة ست، وقيل: ٧، وقيل: ثمان وتسعين ومائة، عن سبعين سنة أو أزيد بقليل - -.

٩٩١ - (٤) وكيع (٢) بن عدس، ويقال: ابن حدس -بضم الدال وقيل: بفتحها- أبو مصعب العقيلي الطائفي.

عن عمه أبي رزين. وعنه يعلى بن عطاء.

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٦٥/٢

(١) كلمة لم تظهر لي في الأصل.

(٢) «تهذيب الكمال»: (٣٠/ ٤٨٤).." [1]

٢٠٩. "لفظه لفظ الكذب في الظاهر وإن كان له تأويل حكاهما في المصباح، ونبهت من زيادتي أيضا على نوع يسمى التفريط ذكره عبد الباقي اليمني في كتابه ولم أره لغيره. قال وهو ضد المبالغة أن يؤتي بالوصف ناقصا عما يقتضيه حال المعبر عنه كقول الأعشى:

وما مزيد من خليج الفرا = ت خور خواريه تلتطم

بأجود منه بما عونه = إذا ما سماؤهم لم تغم

مدح ملكا بجوده بالماعون وفرط إذ ليس ذلك يعد كرما للسوقة فضلا عن الملوك قلت وما في هذا ما يعد من البديع إلا أن يكون قصد بذلك تهكما واستهزاء، ونبهت أيضا من زيادتي على نوع من البديع يسمى حصر الجزئي وإلحاقه بالكلى وهو نوع غريب صعب المسلك اخترعه ابن أبي الأصبع وهو شبيه بالمبالغة ذكرته عقبها، وذلك أن يأتي المتكلم إلى نوع فيجعله جنسا تعظيما له ويجعل الجزئيات كلها منحصرة فيه كقول الصفي:

فرد هو العالم الكلي في شرف = ونفسه الجوهر القدسي في العظم

وقول الآخر:

فبشرت آمالي بملك هو الورى = ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

وقد وجدت من ذلك في الحديث «الدعاء هو العبادة».

[ثمة منه المذهب الكلامي = إيراده الحجة للمرام

على طريقهم كقوله علا = لو كان فيهما وما له تلا]

المذهب الكلامي إيراد الحجة للمطلوب على طريقة أهل علم الكلام في القطع والإفحام، وأول من اخترعه وسماه بذلك الجاحظ وسماه ابن النقيب الاحتجاج النظري كقوله تعالى — لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا — أي خرجتا عن نظامهما المشاهد

---

(١) التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل ابن كثير ٨٤/٢

وتمامه لكنهما لم يفسدا فليس فيهما آلهة إلا الله وقوله تعالى حكاية عن السيد إبراهيم ﷺ - إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها

[شرح عقود الجمان: ١٢٣]

من المغرب. وقصد شاعر أبادلف فقال ممن أنت؟ قال من تميم. فقال:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا = ولو سلكت طرق الهداية ضلت

فقال نعم بتلك الهداية جئتك فخجل واستكتمه وأجازه وأفحمه بدليل ألزمه فيه أن المجيء إليه ضلال ومنه قول الآخر:

دع النجوم لطرقي يعيش بها = وبالعزائم فانهض أيها الملك

إن النبي وأصحاب النبي نهوا = عن النجوم وقد أبصرت ما ملكوا

[ومنه تفريع وذا أن يثبتا = لمتعلق به ما أثبتا

لآخر له فإن بما نفى = أولا عن الذي بشيء وصفا

أفعل للوصف مناسبا وقد = عدى بمن إلى الذي ذاك قصد

فذاك بالتفضيل حقا دعيا = والحسن في التعليل أن يدعيا

للوصف علة له تناسب = بلطف معنى لا حقيقي يصحب

فتارة يكون ثابتا قصد = علته وذاك ضربين عهد

ما لم تبن علته في العادة = أو علة خلاف ذي قد بانت." (١)

٢١٠. "المعنى أنه شبه الأضداد بصفات الممدوح وهو تشبيه في الجمع بينها من كونه قد جمع فيه أضداد فهو حلو لأوليائه مر على أعدائه طلق عند الندى جهم عند اللقاء وأوصافه غلبت واصفيه فلم يقدروا على وصفها فأنطق واصفيه لأنهم أرادوا وصف محاسنه ثم أفحمهم لعجزهم عن إدراكها فطابق بين النطق والسكوت وقيل المفحم الذي لا يقول الشعر

١٠ - الغريب الجرم والجريمة الذنب وجرم وأجرم واجترم بمعنى وأصله الكسب يقال جرم يجرم أي كسب وفلان جريمة أهله أي كاسبهم قال أبو خراش

(١) شرح عقود الجمان للسيوطي (ط الفكر) السيوطي ص/١٣٣

(جريمة ناهض في رأس نيق ... ترى لعظام ما جمعت صليبا)

المعنى أنه يعطى من قبل أن تسأله فإن أعجلته أعطاك معتذرا إليك كأنه قد أتى بذنب

١١ - المعنى قال الواحدي المتعظم إظهار العظمة وضده التواضع وهو أن يظهر الضعة من نفسه ووضع أبو الطيب التواضع موضع الضعة والخساسة كما وضع التعظيم موضع العظمة فهو يقول يرى شرفه وارتفاع رتبته في تواضعه واتضاعها في تكبره والمعي يرى العظمة في أن يتواضع فيتواضع ويرى الضعة في أن يتعظم فليس يتعظم

١٢ - الغريب نصره رفعه وأعلاه وأظهره والفعال بفتح الغاء يستعمل في الفعل الجميل والمطال المماطلة وهي المدافعة وروى المقال وهو جيد لمقابلته الفعال والنوال العطاء وهو ما ينيله المعطى للمعطى المعنى يقول نصر فعله على قوله ووعده وإعطائه على المطل لأنه يعطي من غير عدة كأنه ظن أن السؤال حرام على العطاء فلا يحوج إلى السؤال بل يسبق بنواله السؤال والمراد أنه تباعد عن الإلجاء إلى السؤال فهو يعطى بغير سؤال

١٣ - الإعراب أسمى من سما قال أبو الفتح موضعه نصب لأنه منادى مضاف ويجوز أن يكون موضعه رفعا أي أنت أسمى من سما أي أعلى من علا الغريب الجوهر يريد الأصل والنفس وذي الملكوت هو الله تعالى وأسمى أعلى وسما علا ومنه اشتقاق الاسم بمعنى العلو على قول البصري المعنى يقول يا أيها الملك الذي خلص الله جوهره أصلا ونفسا من عند الله يريد أن الله تولى تصفية جوهره لا غيره فهو جوهر مصفى من عند الله تعالى." (١)

٢١١. "فقد وضح بهذا كله أن الحريري هو الذي دان له الاختراع للبدائع والإنشاء، وأن براعة معلمه معلمة أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، ولله هو، فلقد نصحت إشارته وزجرت مناهضيه، ونصعت عبارته فنهرت إذ بهرت معارضيه، حين ترنم، ونسيم أسحار أغان بيانه يطربه، واستيلاؤه على سرر السرور بإجادته يؤمنه أن يسامى مرقاه أو يسامت مرقبه، بنغمات أسكتا الفقرتين (١)، فكل كلف نفسه شططا، وقنع أن يأتي من القول سقطا، {واتبع هواه وكان أمره فرطا} [الكهف: ٢٨].

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري المِلَطي، عَبْد البَاسِط ٣٠/٤

وإلى ذلك فقد ألزمني قديما بعض من يجب علي إسعافه، ولا يسعني خلافه [١٦ ب] مجارة هؤلاء الجلة في هذا المضمار، ولم يصغ إلى ما أتيت به في ذلك من اعتذار، فقلت ممتثلا تكليفه، ومتعرضا بما لا يستجيد ناقد تأليفه:

ملأمة بالحر أن لا يرى ... منه ثأى جيرانه ملأمه

والملء مه عن شره إنه ... مأتى إلى الهجنة والملأمه

غير أني وفيت فيما رأيت بشرط اشتباه الطرفين في كلا البيتين وإن كان طرفا أولهما مشتركين، وجعلت طرفي الأول بمرتين وطرفي الثاني معرفتين على حد ما أتى به الحريري في بيتيه، وأتيت بالجميع مجنسا كما تراه (٢).

توفي بشلب عشي يوم الخميس منتصف رجب أربع وأربعين وخمس مئة وهو ابن ثمانين سنة، وصلي عليه إثر صلاة الجمعة بعده، ودفن إثر الصلاة عليه، وقد كان أمر أن تكتب على قبره هذه الأبيات [مخلع البسيط]:

---

(١) كتب الناسخ فوقها: "بخطه"، والخطأ فيها بين.

(٢) أورد ابن دحية في المطرب (ص ٢٢٨) زيادة طويلة للإمام السهيلي. كما أورد المقري في نفح الطيب (٣/ ٤) تذييلا لابن الصائغ وقال: رأيت في المغرب في هذا المعنى ما ينيف على سبعين بيتا كلها مساجلة لبيتي الحريري تعالى. ومما يلحق بما ذكره المؤلف بيت لابن رشيق المرسي قال إنه ارتجله خلال مناظرة بينه وبين قسيس كان يقول بأن كون بيتي الحريري لم يأت أحد لهما بثالث ينفي انفراد القرآن بالإعجاز، فأفحمه بنظم البيت التالي:

والمهر مهر الحور وهو التقى ... بادر به الكبرة والمهرمه." (١)

٢١٢. "سنة أربع وسبعين وأربعمائة.

ومن تواليفه المنتقى في شرح الموطأ ذهب فيه مذهب الاجتهاد وإيراد الحجج، وهو مما يدل على تبحره في الفنون، ولما قدم من المشرق إلى الأندلس بعد ثلاثة عشر عاما

---

(١) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ابن الحنبلي، رضي الدين ٢/٥٣

وجد ملوك الطوائف أحزابا متفرقة، فمشى بينهم في الصلح، وهم يجلونه في الظاهر، ويستثقلونه في الباطن، ويستردون نزعته، ولم يفد شيئا فالله تعالى يجازيه عن نيته، ولما ناظر ابن حزم قال له الباجي: أنا أعظم منك همة في طلب العلم، لأنك طلبته وأنت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائت السوق (١) ، فقال ابن حزم: هذا الكلام عليك لا لك، لأنك إنما طلبت العلم وأنت في اتلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي، وأنا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته، فلم أرج به إلا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة؛ فأفحمه.

قال عياض: قال لي أصحابه: كان يخرج إلينا للإقراء، وفي يده أثر المطرقة، إلى أن فشا علمه، ونوهت الدنيا به، وعظم جاهه، وأجزلت صلاته، حتى مات عن مال وافر، وكان يستعمله الأعيان في ترسلهم، ويقبل جوائزهم، وولي القضاء بمواضع من الأندلس.

[ترجمة ابن حزم] (٢)

وابن حزم المذكور هو أبو محمد ابن حزم الظاهري، قال ابن حيان وغيره: كان ابن حزم صاحب حديث وفقه وجدل، وله كتب كثيرة في المنطق

---

(١) يريد أنه يسهر على قنديل الدراب وهو الحارس الليلي وسماه " بائت السوق " لأنه يبيت فيه للحراسة.

(٢) ترجمة ابن حزم في الجذوة: ٢٩٠ (والبغية رقم: ١٢٠٤) والصلة: ٣٩٥ وطبقات الأمم: ٨٦ والذخير ١/ ١: ١٤٠ والمطمح: ٥٥ والمغرب ١: ٣٥٤ والمعجب: ٣٠ وتاريخ الحكماء للقفطي: ١٥٦ وتذكرة الحفاظ ٣: ٢٤١ ومسالك الأبصار (الجزء الثامن) وخلط شعره بشعر ابن عمه أبي المغيرة، وفي طوق الحمامة معلومات عنه وكذلك في سائر كتبه ورسائله.." (١)

٢١٣. "بإزاء كوة فأر ورفعت اليد الأخرى لصيده، فناداها باسمها، فردت رأسها، وجعلت إصبعها على فمها، على هيئة المشير بالصمت، وأشباه ذلك، وتوفي المذكور

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٧٧/٢

سنة ٤٠٦، قاله في الإحاطة.

٣٩٩ – ومن أجوبة ملوك الأندلس: ان نزارا العبيدي صاحب مصر كتب إلى المرواني صاحب الأندلس كتابا يسبه فيه ويهجوه، فكتب إليه المرواني: أما بعد فإنك عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك، والسلام، فاشتد ذلك على نزار وأفحمه عن الجواب، وحكي أنه كتب إلى العبيدي ملك مصر مفتخرا (١) :

ألسنا بني مروان كيف تبدلت ... بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

إذا ولد المولود منا تهللت ... له الأرض واهتزت إليه المنابر [حريز بن عكاشة]

٤٠٠ – ومن غريب ما يحكى من قوة أهل الأندلس وشجاعتهم: أن الأمير حريز بن عكاشة (٢) من ذرية عكاشة بن محصن صاحب رسول الله ﷺ لما نزل بساحة أذفونش (٣) ملك ملوك الروم، فبدأهم بخراب ضياعها وقطع الشجر، فكتب إليه حريز: ليس من أخلا ق القدير، الفساد والتدمير، فإن قدرت على البلاد أفسدت ملكك، ولو كان الملك في عشرة أمثال عددي لم ينزل لي بساحة، ولا تمكن منها براحة، فلما وصلته الرسالة عف، وأمر بالكف، وبعث الملك يرغبه في الاجتماع به، فاسترهنه في نفسه عدة من ملوك

(١) مر البيتان ص: ١٨٨.

(٢) قد مر شيء عنه ص: ٣٥٨ وانظر الحلة ٢: ١٧٦ – ١٧٩.

(٣) الحلة: ١٧٩ والمطمح: ٣٠.." (١)

٢١٤. "نزيل مراكش، وبها توفي سنة إحدى وستمائة، وولادته بسبتة عام أربعة وعشرين وخمسمائة، ودفن خارج مراكش، وقبره مشهور مقصود بإجابة الدعاء، وقد زرته مرارا كثيرة، فرأيت عليه من ازدحام الناس ما لا يوصف، وهو ترياق مجرب.

قال لسان الدين ابن الخطيب تعالى: كان سيدي أبو العباس السبتي – رضي الله تعالى عنه – مقصودا في حياته، مستغاثا به في الأزمات، وحاله من أعظم الآيات

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٥٥٨/٣

الخارقة للعادة، ومبنى أمره على انفعال العالم عن الجود، وكونه حكمة في تأثير الوجود (١) ، له في ذلك أخبار ذائعة وأمثال باهرة؛ ولما توفي ظهر هذا الأثر على تربته، وتشبث بلحده، وانسحب على مكانه عادة حياته، ووقع الإجماع على تسليم هذه الدعوى، وتخطى الناس مباشرة قبره بالصدقة إلى بعثها له من أماكنهم على بعد المدى، وانقطاع الأماكن القصى (٢) ، تحملهم أجنحة نياتهم فتهوي إليه بمقاصدهم من كل فج عميق، فيجدون الثمرة المعروفة والكرامة المشهورة.

وقال ابن الزيات (٣) : كان أبو العباس قد أعطي بسطة في اللسان، وقدرة على الكلام، لا يناظره أحد إلا أفحمه، ولا يسأله إلا أجابه، كأن القرآن والحجج على طرف لسانه حاضرة، يأخذ بمجامع القلوب، ويسحر العامة والخاصة ببيانه، يأتيه المنكرون للإنكار فما ينصرفون إلا مسلمين منقادين، وشأنه كله عجيب، وهو من عجائب الزمانز وحدثني مشايخنا أنهم سمعوه يقول: أنا

---

(١) في الأصل: الوجود، والتصويب عن التنبكي؛ وأورد العباس بن إبراهيم أن ابن رشد أرسل أبا القاسم الخزرجي ليعرف مذهب أبي العابس بمراكش، فلما نقل الخزرجي خبره إلى ابن رشد قال له: " هذا مذهبه أن الوجود ينعل بالجود " وهو مذهب فلان من قدماء الفلاسة.

(٢) نيل الابتهاج: المكان الأقصى.

(٣) تنقل المصادر ترجمة السبتي عن التشوف، ولكن ابن الزيات صرح بأنه يفرد ترجمة السبتي إذ لا يكفي في ذكره الاختصار، وجعل ترجمته في آخر كتابه، إلا أنها لم تطبع مع سائر الكتاب، وقد نقل العباس بن إبراهيم ما ذكره ابن الزيات في تلك الترجمة.." (١)

٢١٥. "والفرزدق قال صاحب العباب قال الليث الفرزدق الرغيف الذي يسقط في التنور ويقولون أيضا الفرزدقة قال وقال بعضهم هو فتات الخبز وقال غيره الفرزدق القطعة من العجين وأصلها بالفارسية براذده وقال ابن فارس هذه كلمة منحوته من

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢٦٧/٧

كلمتين من فرز ومن دق لأنه دقيق عجن ثم أفرزت منه قطعة فهي من الإفراز والدقيق ا. هـ.

فلقب بأحد هذه المعاني ويشهد للأول ما روي أنه كان أصابه جدري وبقي أثره في وجهه ويروى أن رجلا قال له يا أبا فراس كأن وجهك أحراح مجموعة فقال تأمل هل ترى فيها حر أمك والأحراح جمع حر بالكسر وحذف لام الفعل هو فرج المرأة وأخذ الفرزدق هذا الجواب من كلام أبي الأسود الديلي فإنه كما في الأغاني قال كان طريق أبي الأسود إلى المسجد والسوق في بني تيم الله بن ثعلبة وكان فيهم رجل متفحش يكثر الاستهزاء بمن يمر به فمر به أبو الأسود يوما فلما رآه قال لقومه كأن وجه أبي الأسود وجه عجوز راحت إلى أهلها بطلاق فضحك القوم وأعرض عنه أبو الأسود ثم مر بهم فقال لهم كأن غضون قفا أبي الأسود غضون الفقاح فأقبل عليه أبو الأسود فقال هل تعرف فقحة أبيك فيهن فأفحمه وضحك القوم منه وقاموا إلى أبي الأسود فاعتذروا إليه ولم يعاوده الرجل بعد ذلك ويحتمل أنه لقب بالمعنى الثالث وبه صرح ابن قتيبة في أدب الكاتب فقال والفرزدق قطع العجين واحدها فرزدقة ومنه سمي الرجل وهو لقب له لأنه كان جهم الوجه ويحتمل أنه لقب بالمعنى الثاني بأن شبه غضون وجهه بفتات الخبز وقال ابن السيد في شرح شواهد الجمل وتبعه فيها ابن هشام اللخمي وابن خلف وغيرهما قال ابن قتيبة في طبقات الشعراء." (١)

٢١٦. "كما كانت فدعا بعضهم بعضا إلى الصلح فتحاكموا إلى الملك عمرو بن هند فقال عمرو: ما كنت لأحكم بينكما حتى تأتوني بسبعين رجلا من أشراف بكر بن وائل. فأجعلهم في وثاق عندي. فإن كان الحق لبني تغلب دفعتهم إليهم وإن لم يكن لهم حق خليت سبيلهم. فعلوا وتواعدوا ليوم بعينه يجتمعون فيه.

فجاءت تغلب في ذلك اليوم يقودها عمرو بن كلثوم حتى جلس إلى الملك.

وقال الحارث بن حلزة لقومه وهو رئيس بكر بن وائل: إني قد قلت قصيدة فمن قام بها ظفر بحجته وفلج على خصمه فرواها ناسا منهم فلما قاموا بين يديه لم يرضهم

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢١٨/١

فحين علم انه لا يقوم)

بها أحد مقامه قال لهم: والله إني لأكره أن آتي الملك فيكلمني من وراء سبعة ستور وينضح أثري بالماء إذا انصرفت عنه وذلك لبرص كان به غير أني لا أرى أحدا يقوم بها مقامي وأنا محتمل ذلك لكم. فانطلق حتى أتى الملك فلما نظر إليه عمرو بن كلثوم قال للملك: أهذا يناطقني وهو لا يطيق صدر راحلته فأجابه الملك حتى أفحمه.

آذنتنا ببينها أسماء وهو من وراء سبعة ستور وهند تسمع فلما سمعتها قالت: تالله ما رأيت كاليوم قط رجلا يقول مثل هذا القول يكلم من وراء سبعة ستور فقال الملك: ارفعوا سترا ودنا. فمازالت تقول ويرفع ستر فستر حتى صار مع الملك على مجلسه ثم أطعمه في جفنته وأمر أن لا ينضح أثره بالماء وجز نواصي السبعين الذين كانوا في يديه من بكر ودفعها إلى الحارث وأمره أن لا ينشد قصيدته إلا متوضيا. فلم تزل تلك النواصي في بني يشكر." (١)

٢١٧. " والفرزدق قال صاحب العباب قال الليث الفرزدق الرغيف الذي يسقط في التنور ويقولون أيضا الفرزدقة قال وقال بعضهم هو فتات الخبز وقال غيره الفرزدق القطعة من العجين وأصلها بالفارسية براذده وقال ابن فارس هذه كلمة منحوته من كلمتين من فرز ومن دق لأنه دقيق عجن ثم أفرزت منه قطعة فهي من الإفراز والدقيق ١ . ه فلقب بأحد هذه المعاني ويشهد للأول ما روي أنه كان أصابه جدري وبقي أثره في وجهه ويروى أن رجلا قال له يا أبا فراس كأن وجهك أحراح مجموعة فقال تأمل هل ترى فيها حر أمك والأحراح جمع حر بالكسر وحذف لام الفعل هو فرج المرأة وأخذ الفرزدق هذا الجواب من كلام أبي الأسود الديلي فإنه كما في الأغاني قال كان طريق أبي الأسود إلى المسجد والسوق في بني تيم الله بن ثعلبة وكان فيهم رجل متفحش يكثر الاستهزاء بمن يمر به فمر به أبو الأسود يوما فلما رآه قال لقومه كأن وجه أبي الأسود وجه عجوز راحت إلى أهلها بطلاق فضحك القوم وأعرض عنه أبو الأسود ثم مر بهم فقال لهم كأن غضون قفا أبي الأسود غضون الفقاح فأقبل عليه أبو

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٨٢/٣

الأسود فقال هل تعرف فقحة أبيك فيهن فأفحمه وضحك القوم منه وقاموا إلى أبي الأسود فاعتذروا إليه ولم يعاوده الرجل بعد ذلك ويحتمل أنه لقب بالمعنى الثالث وبه صرح ابن قتيبة في أدب الكاتب فقال والفرزدق قطع العجين واحدها فرزدقة ومنه سمي الرجل وهو لقب له لأنه كان جهم الوجه ويحتمل أنه لقب بالمعنى الثاني بأن شبه غضون وجهه بفتات الخبز وقال ابن السيد في شرح شواهد الجمل وتبعه فيها ابن هشام اللخمي وابن خلف وغيرهما قال ابن قتيبة في طبقات الشعراء إنما سمي الفرزدق لغلظة وقصره شبه بالفتيتة التي تشربها النساء وهو الفرزدقة ١ هـ أقول لم أر الفرزدقة بهذا المعنى في اللغة ولا الفتيتة بمعنى ما ذكره على أن ابن قتيبة لم يذكر في الطبقات شيئا في تلقيبه بالفرزدق ثم رأيت في الأغاني في ترجمته أن الفرزدق الرغيف الضخم الذي يجففه النساء للفتوت وروى أن الجهم ابن سويد بن المنذر الجرمي قال له ما وجدت أمك أسما لك إلا الفرزدق الذي

٢١٨. ________________

٢١٩. ". (١)

٢٢٠. " الناس . ويقال : جاء ناس من بني تغلب إلى بكر بن وائل يستسقونهم فطردتهم بكر للحقد الذي كان بينهم فرجعوا فمات منهم سبعون رجلا عطشا . ثم إن بني تغلب اجتمعوا لحرب بكر بن وائل واستعدت لهم بكر حتى إذا التقوا كرهوا الحرب وخافوا ان تعود الحرب بينهم كما كانت فدعا بعضهم بعضا إلى الصلح فتحاكموا إلى الملك عمرو بن هند فقال عمرو : ما كنت لأحكم بينكما حتى تأتوني بسبعين رجلا من أشراف بكر بن وائل . فأجعلهم في وثاق عندي . فإن كان الحق لبني تغلب دفعتهم إليهم وإن لم يكن لهم حق خليت سبيلهم . فعلوا وتواعدوا ليوم بعينه يجتمعون فيه .

٢٢١. فجاءت تغلب في ذلك اليوم يقودها عمرو بن كلثوم حتى جلس إلى الملك .

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي – العلمية عبد القادر البغدادي ٢١٩/١

٢٢٢. وقال الحارث بن حلزة لقومه وهو رئيس بكر بن وائل : إني قد قلت قصيدة فمن قام بها ظفر بحجته وفلج على خصمه فرواها ناسا منهم فلما قاموا بين يديه لم يرضهم فحين علم انه لا يقوم)

٢٢٣. بها أحد مقامه قال لهم : والله إني لأكره أن آتي الملك فيكلمني من وراء سبعة ستور وينضح أثري بالماء إذا انصرفت عنه وذلك لبرص كان به غير أني لا أرى أحدا يقوم بها مقامي وأنا محتمل ذلك لكم . فانطلق حتى أتى الملك فلما نظر إليه عمرو بن كلثوم قال للملك : أهذا يناطقني وهو لا يطيق صدر راحلته فأجابه الملك حتى أفحمه

.

٢٢٤. آذنتنا ببينها أسماء وهو من وراء سبعة ستور وهند تسمع فلما سمعتها قالت : تالله ما رأيت كاليوم قط رجلا يقول مثل هذا القول يكلم من وراء سبعة ستور فقال الملك : ارفعوا سترا ودنا . فمازالت تقول ويرفع ستر فستر حتى صار مع الملك على مجلسه ثم أطعمه في جفنته وأمر أن لا ينضح أثره بالماء وجز نواصي السبعين الذين كانوا في يديه من بكر ودفعها إلى الحارث وأمره أن لا ينشد قصيدته إلا متوضيا . فلم تزل تلك النواصي في بني يشكر بعد الحارث وهو من ثعلبة بن

٢٢٥. ________________

٢٢٦. ". (١)

٢٢٧. "وقد أنشد ذلك للعمادي فلم تعجبه أبيات البقاعي ولا البيتين الأولين وكان مغبر الخاطر من الداديخي وكان في ذلك المجلس الشيخ أحمد الكردي الدمشقي فقال له العمادي أجز بيتي المنيني فأنشأ وقال

نعم المدارس باسطية فتحنا ... لو أنها بنداه كانت تعمر

لفظ بلا معنى كذلك ذاته ... طول بلا طول وذا لا ينكر

فتغيظ الداديخي لما سمع ذلك وتسابا طويلا ثم إن الكردي عمل بيتين آخرين في الداديخي وهما قوله

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي – العلمية عبد القادر البغدادي ٣/١٧٣

مالي بمدح الفتح لا أكتفي ... فقدره قد فاق بين الورى

يا سائلي عنه وعن بيته ... كلاهما قد أمسيا في الخراب

ومراده الاكتفاء بذلك لأن الداديخي كان بيته في محلة الخراب وأنشدهما الكردي في المجلس أيضا فوقع بينهما مشاجرة وخصام أدى إلى قبيح الكلام ثم اجتمعا في الجامع الأموي في رمضان وكانت الواقعة قبيل رمضان بأيام فتشاتما طويلا بالهجر من القول وخرج كل منهما عن حده من الاستطالة على صاحبه والصول ثم إن الكردي عمل في الفتح الداديخي هجاء آخر بليغا طويلا وعرضه في مسوداته على المنيني فمزقه شذر مذر وقال له أنت قلت فيه مقطوعين يبقيان إلى آخر الدهر وما تكلم هو فيك لا يبقى في الفكر انتهى وقد حدثني كثير من أصحابي بأجوبة صدرت من الداديخي المترجم إلى أناس صدرت مع حسن التعبير منها إن أخا الشيخ أحمد المنيني المذكور آنفا وهو الشيخ عبد الرحمن المنيني أراد أن ينكت على الداديخي بأن أصله قروي فلاح فقال له كم ساعة بين داديخ وحلب فأجابه بالحال مقدار ما بين قرية منين ودمشق فأفحمه وأراد أن أصلك كذلك مثلي قروي إن كان مرادك ذلك ويعجبني من هذا القبيل ما أجاب به المنيني المذكور إلى أحد تجار دمشق المشاهير ويعرف بابن الزرابيلي حين سأله بقوله مولانا متى خلعتم الزرابيل من أرجلكم قاصدا التنكيت عليه بأنه قروي فأجابه المنين بالارتجال من حين تركتم صنعتها والاشتغال بها فأفحمه بالجواب وكان المترجم الداديخي ينظم الشعر الباهر فمن ذلك ما كتبه للشيخ محمد الكنجي بقوله

يا سيدا زار وما زرته ... فمني النقص ومنه التمام

إن كان في ذلك فقد قضى ... بأني المأموم وهو الامام

فطالما زار الغمام الثرى ... ولم يزر قط الثرى للغمام

فأجابه الكنجي بقوله

زرتك يا كهف الندى والسخا ... وكعبة الفضل وركن المرام." (١)

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٣/٢٧٦

٢٢٨. "وكان مولعا بشرب الخمر والفجور فمر يوما بزقاق فرأى الشيخ يوسف المترجم والناس تهرع إليه لتقبيل يديه ويسند عون الدعاء منه فعجب لذلك وقال له لأي شيء تهرع الناس إلى تقبيل يديك وأنت جدك نصراني وأنا جدي صاحب الرسالة ﷺ ولا أرى الناس تقبل يدي فقال له لأنك تبعت طريقة جدي وأنا تبعت طريقة جدك فأفحمه بالجواب وتاب إلى الله على يده من الفجور الذي كان يصنعه ومن شرب الخمر وصار من تلاميذه وأخذ عنه الطريق وعلى كل حال فإن الأستاذ المترجم هو الكامل المفرد توفي سنة تسع وخمسين ومائة وألف ودفن بتربة مرج الدحداح في الروضة واتفق إنه في تلك السنة أيضا مات الشيخ أحمد النحلاوي فأرخ وفاتهما السيد عبد الرزاق بن محمد البهنسي بقوله

انتبه يا فؤاد كم أنت لاه ... إنما هذه الشؤون ملاهي

شقق العمر لم تزل بانطواء ... كل آن حتى يكون التناهي

واندراس الكرام يوما فيوما ... موقظ للأنام والطرف ساهي

وانقراض الأعيان أكبر داع ... لفساد الزمان دون اشتباه

كان بدران مشرقان بأرض الش ... ام بالفضل ما لهم من يضاهي

بهما يرفع الآله بلاء ... حيث منهم بالخير آمر ناهي

وبهم تمطر السماء انصبابا ... وبهم فجرت عيون المياه

غربا عن دمشق حين رآها ... قد غدت منزل ارتكاب المناهي

وبها خلفا سحاب جلال ... عجا كان فيهما الدهر زاهي

يوسف الزاهد المطيع تولي ... حين داعي الهدى دعا بانتباه

ثم في أثره أجاب مطيعا ... أحمد الغوث من عباد الله

في رضاء الآله عاشا وماتا ... قلت أرخه في رضاء الآله

سنة ١١٥٩ ٩٠ ١٢٠٠ ٦٧

يوسف النابلسي

ابن إسمعيل بن عبد الغني بن إسمعيل الدمشقي الحنفي الشهير كأسلافه بالنابلسي الشيخ

العالم العلامة العمدة الفهامة الفقيه الامام الهمام الفاضل الكامل المقدام ولد بدمشق كما رأيته منقولا بخط البرهان إبراهيم الجينيني نزيل دمشق في سنة أربع وخمسين بعد الألف ونشأ بطلب العلم والاشتغال به فقرأ على جماعة منهم المحقق الشيخ إبراهيم بن منصور الفتال وغيره وصار أمين الفتوى عند المفتي أحمد بن محمد الحلبي المهمنداري مفتي الحنفية بدمشق وارتحل إلى الحجاز صحبة أخيه الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته الكبرى وكان." (١)

٢٢٩. "قال قوم من الخوارج لمحمد بن الحنفية: لم غر ربك أبوك في الحروب ولم يغرر بالحسن والحسين؟ قال: لأنهما عيناه وأنا يمينه، فهو يدفع عن عينيه بيمينه.

نكتة

سئل بعضهم عن حاله عند الوفاة فقال: ما حال من يريد سفرا طويلا بغير زاد، ويقدم على ملك عادل بغير حجة، ويسكن قبرا موحشا بلا أنيس.

نكتة

قيل تفاخرت قريش عند معاوية، والحسن بن علي ﷺ عنده لا ينطق، فقال معاوية: ما يمنعك من الكلام يا أبا محمد فما أنت والله بكليل اللسان ولا مشوب الحسب؟ فقال: يا أمير المؤمنين والله ما ذكروا مكرمة ولا فضيلة إلا ولي محضها ولبابها، ثم أنشد:

فيم المراء وقد سبقت مبرزا ... سبق الجواد من المدى المتنفس

نكتة

أتى مروان برجل أخذ عن ابن أخ له. فقال الرجل: كيف أؤخذ عن ابن أخي ولا علم لي بما صنع؟ فقال له مروان: أرويت الشعر قال: لا. قال: أو ما سمعت قول الشاعر.

جانيك من يجني عليك وقد ... تعدي الصحاح مبارك الجرب

فقال الرجل: لكن الله ﷻ يقول:) ولا تزر وازرة وزر أخرى (. فقال مروان: صدق الله وكذب مروان، خلوا عنه.

نكتة

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٢٤٦/٤

قال دخل أبو العيناء ذات يوم على المتوكل فقال له المتوكل: قد اشتقتك يا أبا العيناء. فقال: يا أمير المؤمنين إنما يشتاق العبد مولاه والمولى متى أراد عبده استدعاه. قال: لم لا تكثر من زيارتنا؟ قال: سرق حماري يا أمير المؤمنين. قال وكيف سرق؟ قال: لم أكن مع اللص فأخبرك. قال: فلم لم تأتنا على غيره؟ قال: يمنعني من ذلك قلة يساري، ومنة العواري، وذلة المكاري. فقال له المتوكل: ما أحسن خصالك لولا سوء فيك. قال: يا أمير المؤمنين أنا خزانة الخير والشر، والله تعالى قد مدح وذم. فقال في مدحه: نعم العبد إنه أواب. وقال في ذمه: هماز مشاء بنميم. وقال الشاعر:

إذا لم أنا أمدح على الخير أهله ... ولم أذمم النكس اللئيم المذمما

ففيم عرفت الخير والشر باسمه ... وشق لي الله المسامع والفما

نكتة

حكي أن المأمون انفرد من عسكره فمر بحي من أحياء العرب، فنظر إلى صبي قائم يملا قربة وهو يصيح: يا أبت أدرك فاها، فقد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها. قال فعجب المأمون من فصاحته على صغره فقال للصبي من أنت بارك الله فيك فتسمى له. ثم قال: فمن أنت؟ فقال: المأمون من بني آدم. فقال صدقت فمن أي بني آدم؟ قال: من خيارهم، قال: فأنت من العرب إذا فمن أيها؟ قال: من خيارهم. قال فمن مضر إذا فمن أيها؟ قال: من خيارهم. قال: فمن قريش ورب الكعبة فمن أيهم؟ فقلت: من خيارهم. قال: فمن بين هاشم والله فمن أيهم؟ قلت أنا من تحسده بنو هاشم كلهم. قال: فتباعد عني وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. قال المأمون: فأعجبني والله ذكاؤه فقلت له: أيما أحب إليك مائة دينار معجلة أو عشرة آلاف درهم مؤجلة؟ قال لست أبيع عاجلا بآجل. فبينا نحن كذلك إذ خرج شيخ ضعيف من البيت فحاولت أخذ الصبي. فقال أنا شيخ فان وله والدة مثلي في الكبر والضعف وما لنا جميعا سواه فلا تحرمناه فأمرت له بمائة دينار وانصرفت.

نكتة

دخل بعض الشعراء على عبد الله بن طاهر فأنشده شعرا حسنا وبحضرته أعرابي فقال الشاعر: من الرجل؟ قال: من العجم. فقال الشاعر: ما للعجم والشعر غنما يقول

الشعر العرب ولا يقوله من العجم إلا من نزا على أمه عربي قال له الأعجمي: فمن لم يقل الشعر منكم فقد نزا على أمه أعجمي فأفحمه.

نكتة

دخل شريك القاضي على المهدي فقال له الربيع: خنت مال الله أيها الشيخ ومال أمير المؤمنين، قال له شريك: لو كان ذلك لأتاك سهمك.." (١)

٢٣٠. "٢٦ -

وقصر قولي عنه من بعد ما أرى ... أقول فأشجي أمة وأنا وحدي

قال:

(أشجي أمة) أي أغصهم بريقهم وأفحمهم.

وقال الخارزنجي:

أي: كل لساني عن بلوغ غاية مدحه، بعدما كنت أقول فأغص الناس والأعداء بغيظكم وحدي، وأقاومهم على ذلك.

٢٧ -

بغيت بشعري فاعتلاه ببذله ... فلا يبغ في شعر له أحد بعدي

قال المرزوقي

أي: كنت أستطيل بشعري وبقدرتي عليه، فقهرني ببذله، وأعجزني عن أداء شكره فيه وبه. فلا يستطيلن (بعدي) أحد بشعره فإنه إذا قهر مثلي على تمكني من القريض وحسن انقياده لي فغيري أولى.

وذكر أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار في رسالته في (ذكر أخطاء أبي تمام) وإحالته أبياتا من هذه القصيدة، وتكلم عليها، وقال: عيب قول:

لو يعلم العافون كم لك في الندى ... من لذة وقريحة لم تحمد

وعد الملتذ للجود هو افضل، وهو به أجدر وأخلق عمن يكره نفسه عليه، فإن من أحسن من مدح به من كان على السخاء مطبوعا وللكرم مرتاحا. وبفعله إذا أتاه

(١) المستجاد من فعلات الأجواد ص/٧٣

ملتذا.

قال الشاعر:

ليس يعطيك للرجاء وللخوف ... ولكن يلتذ طعم العطاء

ثم أتبع هذا البيت المهجن بما هو أهجن منه، وابعد عن المعاني المرضية، فقال:." (١)

٢٣١. "بجلد قوي.

ولكن الفراق هو الجلد القوي، وهل هذا إلا بمثابة قول القائل: ما أحد صرعه زيد وقهره بقوي، وإنما القوي زيد، وهذا خبر لا فائدة فيه.

اعلم أن هذا المنكر لم يفهم عن الرجل ما قاله، فأخذ ينكر عليه ما لم يدركه. وقوله: (طار الفراق بقلبه) ليس من الطيران، وإنما هو من قولهم: لا أطور به، أي: لا أقرب فناءه، ومنه: طور الدار. وقوله: (فطوروا به خلف الذميل) فإذا كان كذلك، فالمعنى: أن من أشرف الفراق على قلبه، وراعه ذكره، وإن تجلد وتصبر ففي آخر الأمر يغلبه الفراق، ويصير الظفر له، وهذا ظاهر بين صحيح، وان لم يفهم عنه.

وقد حكي لي أن أبا تمام لما ورد خراسان على عبد الله بن طاهر قال له بعض علماء حضرته في مجلسه: يا أبا تمام لم لا تقول من الشعر ما يفهم، فأجابه، وكان الجواب: وأنت لم لا تفهم من الشعر ما يقال، فأفحمه. ولعمري أن اكثر من يذهب عن طرائقه فإنما يؤتى من سوء الفهم عنه.

- ١١

ومن كان ذا بث على النأي طارف ... فلي أبدا من صرفه حرق تلد

قال الصولي:

يقول: من لم يعتد النوى إلا مرة، فقد اعتدتها مرات.

وقال أبو زكريا:

(على الناي)، أي: على حال البعد. يقول: من كان قريب العهد بالهوى، فأني قديمة به.

(١) النظام في شرح ديواني المتنبي وأبي تمام ص/١٣٠٠

- ١٢

فلا ملك فرد المواهب واللهى ... يجاوزني عنه ولا رشأ فرد." (١)

٢٣٢. "شيخ في الحرمين يرشدني إلى المرام، ورجعت بعد قضاء المناسك إلى الشام، انتهى. فاجتمع ثانيا بعلمائها، وحل في قلوبهم محل سويدائها، فأتى إلى وطنه بعد قضاء وطره بالبركات، وباشر تدريسه بزيادة على زهده الأول وعدة الحسنات الأول سيئات، مستقيما على أحسن الأحوال، متشوقا إلى مرشد يسلك عنده طريق فحول الرجال، إلى أن أتى السليمانية شخص هندي من مريدي شيخه الآتي وصفه، فاجتمع به وأظهر احتراقه واشتياقه لمرشد كامل يسعفه، فقال الهندي إن لي شيخا كاملا، مرشدا عالما عاملا، عارفا بمنازل السائرين إلى ملك الملوك، خبيرا بدقائق الإرشاد والسلوك، نقشبندي الطريقة، محمدي الأخلاق علما في علم الحقيقة، فسر معي حتى نسعى إلى خدمته في جهان أباد، وقد سمعت إشارة بوصول مثلك هناك إلى المراد، فانتقش القول في قلبه، وأخذ بمجامع لبه، وعزم على المسير بالتجريد تاركا منصب التدريس والوظائف، فرحل سنة ألف ومائتين وأربع وعشرين الرحلة الأخرى الهندية من طريق الري، يطوي بأيدي العيس بساط البيداء أسرع طي، فوصل طهران، وبعض بلاد إيران، والتقى مع مجتهدهم المتضلع بضبط المتون والشروح والحواشي، إسماعيل الكاشي، فجرى بينهما البحث الطويل، بمحضر من جمهور طلبة إسماعيل، فأفحمه إفحاما أسكته، وأنطق طلبته، بأن ليس لنا من دليل، وقد أشار إلى هذه الواقعة في قصيدته العربية، متخلصا لمدح شيخه الآتية أوصافه العذبية، ثم دخل بسطام وخرقان وسمنان ونيسابور، وزار إمام الطريق البحر الطامي، الشيخ أبا يزيد البسطامي، قدس سره، ومدحه بمنظومة فارسية، وزار في تلك البلاد، من الأولياء الأمجاد، حتى وصل طوس، وزار بها مشهد السيد الجليل المأنوس، نور حدقة البتول والمرتضى، الإمام علي الرضا، ومدحه بقصيدة غراء فارسية، أذعن لها الشعراء الطوسية ولظهور البدع فيها عجل الارتحال والقيام، إلى تربة شيخ مشايخ الجام، شيخ الإسلام، الشيخ أحمد النامقي الجامقي، فزاره ومدحه بمقطوعة

(١) النظام في شرح ديواني المتنبي وأبي تمام ص/١٤٠١

فارسية بديعة فدخل بعدها بلدة هراة من بلاد الأفغان، واجتمع مع علمائها بالجامع." (١)

٢٣٣. "ورغب عن الهجين السوقى، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، لم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق، وهو الكلام الذى ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته. لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلم القصار، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج (١) إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة. . . ولم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا أقصد لفظا ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين فى فحوى (٢)، من كلامه ﷺ» (٣). ونضيف إلى الجاحظ أنه عليه السلام هو الذى فتق معانى هذه الخطابة الدينية التى لم يعرفها العرب قبله، فهو الذى رسمها، وفجر ينابيعها بحيث أصبحت مادة للخطباء من بعده، وكأنما احتشد الكلم بأزمته إليه، ليختار منه أفصحه وأسلسه وأبينه فى الدلالة، يسعفه فى ذلك ذوق مرهف وحس دقيق نتبينهما فيما روى عنه من قوله: «لا يقولن أحدكم خبثت نفسى ولكن ليقل: لقست نفسى» (٤) كراهية أن يضيف المسلم الطاهر إلى نفسه الخبث، مما يدل على أنه لم يكن ينطق إلا باللفظ المختار البرئ من كل ما يستكره، اللفظ الذى يحبب إلى النفوس لحلاوته وعذوبته وصفائه ونقائه.

٣ - خطابة الخلفاء الراشدين

كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلى فى الذروة من الفصاحة والبلاغة، إذ سرى فى نفوسهم بيان القرآن بترغيبه وترهيبه وبيان الرسول بمواعظه وتشريعاته، وتسرب هذا البيان إلى أجزاء نفوسهم وأخذ بمجامع قلوبهم.

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٥٧٥

(١) الفلج: الفوز.

(٢) فحوى: دلالة.

(٣) البيان والتبيين ٢/ ١٧.

(٤) الحيوان ١/ ٣٣٥ ولقست النفس: غثت.." (١)

٢٣٤. "نشأته يختلف إلى حلقات الوعاظ والمتكلمين ولم يلبث عقله أن تشوش بما كان يسمع فى تلك الحلقات من مناقشات أصحاب الملل والنحل، فإذا هو يعتنق الثنوية المانوية مذهب آبائه ونحلتهم، وما كانت تقول به من أن العالم نشأ عن أصلين هما النور والظلمة، ولكل منهما إلهه الخاص، وأن مصدر بلاء العالم امتزاج هذين العنصرين، ومن أجل ذلك دعت إلى الزهد فى الحياة ونعيمها الزائل. ونراه فى عصر بنى أمية يكثر من الاجتماع بواصل بن عطاء رأس المعتزلة، مشاركا فيما كان يدور فى مجلسه من مخاصمات كلامية ودينية (١)، ونظن ظنا أنه لم يظهر حقيقة عقيدته حينئذ، وإلا لهتف به واصل، كما هتف ببشار طالبا من أصحابه قتله (٢)، وفى بعض شعره أنه كان يستر نحلته خشية الحبس والعقاب والتنكيل به، يقول:

رب سر كتمته فكأنى ... أخرس أو ثنى لسانى خبل

ولو أنى أبديت للناس علمى ... لم يكن لى فى غير حبسى أكل

وتوفى واصل سنة ١٣١ للهجرة، ولم تلبث الثورة العباسية أن اندلعت تسندها حراب الفرس والخراسانيين وسرعان ما انتصرت فأحس صالح كأن الحياة واتته، وأخذ يعلن عقيدته ويجاهر بها حينا، وحينا يسترها حين يخاف بعض الحكام، حتى ليصلى صلاة المسلمين حين تحين الصلاة، ويعجب من صلاته بعض من يعرف مذهبه، ويسأله فى ذلك متعجبا، فيقول: «سنة البلد وعادة الجسد وسلامة الأهل والولد». ونمضى فى العصر العباسى ويكثر الزنادقة والمتزندقون على نحو ما صورنا ذلك فى غير هذا الموضع، ويعلن صالح زندقته ولا يواريها، أو بعبارة أدق يعلن مانويته وثنويته، حتى ليؤلف-كما

---

(١) تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف أحمد شوقي ١٢١/٢

يقول ابن النديم–كتبا فى نصرة عقيدته (٣). وتبلغ به الجرأة أن يحاضر ويجادل فيها بمسجد البصرة، ويتعرض له غير متكلم من المعتزلة وغيرهم وخاصة أبا هذيل العلاف، ويروى أنه ناظره فى الامتزاج الذى يدعيه المانوية بين النور والظلمة فى الجوهر والطبع والفعل والمكان والأبدان والأرواح، وأنه أفحمه وقطعه، فقال:

---

(١) أغانى (طبع دار الكتب) ٣/ ١٤٦.

(٢) انظر البيان والتبيين ١/ ١٦.

(٣) الفهرست ص ٤٧٣.." (١)

٢٣٥. "حيث وضع بعض المصطلحات الجديدة، ومن حيث تلقيب بعض العوامل والمعمولات، وعنى الفراء خاصة بإنكار بعض القراءات الشاذة.

وعلى هذه الشاكلة لا ينتهى العصر العباسى الأول، حتى تكون المدرستان البصرية والكوفية تميزتا تميزا تاما، وكان أهم الأئمة البصريين فى هذا العصر المازنى والمبرد، أما المازنى فهو بكر (١) بن محمد الملقب بأبى عثمان المتوفى كما مر آنفا سنة ٢٤٩ وهو تلميذ الأخفش الأوسط، وكان لسنا قوى الحجة، وله مناظرات مأثورة مع ابن السكيت وغيره من الكوفيين أفحمهم فيها بأدلته القاطعة، وعاش يدرس لطلابه وتلاميذه كتاب سيبويه، وله حوله تعليقات وشروح عدة، منها تفاسير كتاب سيبويه والديباج فى جوامعه، وصنف فى علل النحو كتابا، وعنى بالتصريف عناية واسعة جعلته يخصه بكتاب التصريف، ولابن جنى عليه شرح مبسوط سماه «المنصف». وفى كتاب «المدارس النحوية» طائفة من آرائه فى النحو احتفظ بها النحاة فى مصنفاتهم، وهو أول من أعطى علم التصريف صيغته النهائية فى كتابه السالف ذكره، ويقول فى مطالعه بعد ذكره أمثلة الأسماء والأفعال المجردة والمزيدة: «إنما كتبت لك فى صدر هذا الكتاب هذه الأمثلة (الأبنية) لتعلم كيف مذاهب العرب فيما بنت من الأسماء والأفعال، فإذا سئلت عن مسألة فانظر هل بنت العرب على مثالها، فإن كانت بنت فابن مثل ما بنت. . .

---

(١) تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف أحمد شوقي ٣/٣٩٤

وسأصنع لك من كل شئ من هذا الباب رسما تقيس عليه ما كان مثله (٢)». وهو يعد أول من فتح بقوة باب التمارين غير العملية فى الصرف، إذ نراه يبنى من ضرب على مثال جعفر أو على مثال سفرجل وما إلى ذلك من أبنية غير مستعملة فى اللغة (٣). وكان يتشدد فى الأخذ بالقياس، مما جعله يرد-على هدى الفراء- بعض القراءات التى تشذ على قواعد النحو ومقاييسه (٤). وأنبه تلاميذه المبرد محمد (٥) ابن يزيد الأزدى إمام نحاة البصرة لزمنه المتوفى سنة ٢٨٥ وهو آخر أئمتهم المهمين،

(١) انظر فى ترجمة المازنى تاريخ بغداد ٧/ ٩٣، وإنباه الرواة ١/ ٢٤٦ ومعجم الأدباء ٧/ ١٠٧.

(٢) راجع المنصف على التصريف ١/ ٩٥.

(٣) انظر المنصف ١/ ١٧٣ وما بعدها.

(٤) المدارس النحوية (طبع دار المعارف) ص ١١٩.

(٥) راجع فى ترجمة المبرد تاريخ بغداد ٣/ ٣٨٠ وإنباه الرواة ٣/ ٢٤١ ومعجم الأدباء ١٩/ ١١١.." (١)

٢٣٦. "بحرب مبيدة تعصف بهم عصفا شديدا.

وتميم فى الموقف الثانى الذى لا ينقض فيه قصيدة بعينها لابن المعتز يلح على هذه المعانى نفسها فى رده على العباسيين وفخره عليهم فخرا مضطرما بشرر كثير، يريد به أن يثبت أن العلويين أحق بالخلافة من أبناء عمومتهم سواء من جهة إرثهم لها عن طريق جدهم على وجدتهم فاطمة بنت الرسول عليه السلام أو عن طريق وصاية الرسول بها لعلى أو عن طريق خدماته الجلى للدين الحنيف ونصره. ويمد طرفا من هذا الجدل إلى بنى أمية وهو يقصد أصحاب الأندلس فى أيامه، وكان أخوه العزيز كتب إلى صاحبها الأموى-ولعله المستنصر بن عبد الرحمن الناصر-كتابا يسبه فيه ويهجوه، فكتب إليه: «أما بعد فإنك قد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك والسلام» فاشتد ذلك على

(١) تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف أحمد شوقي ١٤٦/٤

العزيز وأفحمه عن الجواب (١). ولعل ذلك ما جعل تميما يتصدى للأمويين ويفخر عليهم بمثل قوله:

إن قريشا بعلا هاشم ... تفخر فى عقوة عريسها (٢)

إن يك من ياقوتها هاشم ... فعبد شمس من ضغابيسها (٣)

اسم إلى الصفوة من هاشم ... أهل معاليها وتقديسها

دع عبد شمس وأباطيلها ... فقد بدا الله بتنكيسها

قبيلة ما طهر الله من ... شايعها من إثم تنجيسها

فهاشم جد الرسول والعلويين فخر قريش فى ساحة غيلها الملتف، وهو وبنوه ياقوت قريش ومعدنها النفيس أما بنو أمية فحجارة صلده، وللهاشميين بفضل الرسول علاهم وقدسيتهم، أما عبد شمس وبنوه فأصحاب أباطيل مزورة، وقد هدم الله دولتهم فى المشرق، وإنها لقبيلة آثمة إثما فظيعا، وإنها لتصم كل من شايعها وصمة شنيعة. ويستمر فيذكر سفكهم لدم الحسين وسبيهم لمن كن معه من النساء، مسجلا بذلك عارا عليهم لا يماثله عار.

---

(١) ابن خلكان ٥/ ٣٧٢

(٢) عقوة: ساحة. عريس: غيل الأسد.

(٣) الضغابيس: جمع ضغبوس: الضعيف الذميم.." [١]

٢٣٧. "ومن طريف ما يروى عن المستنصر بن الناصر (٣٥٠ - ٣٦٠ هـ) أن نزارا الفاطمى الملقب بالمستنصر صاحب مصر (٣٦٥ - ٣٨٦ هـ) كتب إليه كتابا يسبه فيه ويهجوه، فرد عليه المستنصر المروانى: «أما بعد فإنك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك:

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت ... بنا الحال أودارت علينا الدوائر

إذا ولد المولود منا تهللت ... له الأرض واهتزت إليه المنابر»

---

(١) تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف أحمد شوقي ٣١١/٧

فأفحمه (١) ولم يستطع الجواب. وللشاعر الطليق حفيد أخى المستنصر المروانى المسجون فى عهد المنصور بن أبى عامر شعر كثير يفتخر فيه بنفسه وبآبائه، وسنفرده بكلمة. وللمنصور بن أبى عامر (٢):

رميت بنفسى هول كل عظيمة ... وخاطرت والحر الكريم يخاطر

رفعنا المعالى بالعوالى بسالة ... وأورثناها فى القديم معافر (٣)

وحكاياته فى الجهاد كثيرة، ويقال إن له نيفا وخمسين غزوة فى النصارى وإنه كان لا يخل فى أكثر أيامه بغزوتين فى السنة يشنهما عليهم، ومر بنا فى الفصل الأول حديث عنه وعن غزواته المظفرة. ولابن شهيد (٤):

بالعلم يفخر يوم الحفل حامله ... وبالعفاف غداة الجمع يزدان

وما ألان قناتى غمز حادثة ... ولا استخف بحلمى قط إنسان

أمضى على الهول قدما لا ينهنهنى ... وأنثنى لسفيهى وهو غضبان

ومضى يقول إنه لا يرد على حمق بحمق وإنه يعتصم بالصبر وكظم الغيظ ولا يتملق ولا يفوه بغير الحق، وإنه قد يبيت على الطوى حانيا الضلوع على لظى المسغبة دون تبرم أو ضيق، بل مع البشر وطلاقة الوجه. ويقول صديقه ابن (٥) حزم:

أنا الشمس فى جو العلوم منيرة ... ولكن عيبى أن مطلعى الغرب

ولو أننى من جانب الشرق طالع ... لجد على ما ضاع من ذكرى النهب

---

(١) انظر هذه الرواية فى النفح ٣/ ٥٥٨.

(٢) المغرب ١/ ٢٠٣.

(٣) العوالى: الرماح. ومعافر بفتح الميم: قبيلة ابن أبى عامر وهى يمنية.

(٤) ديوان ابن شهيد تحقيق يعقوب زكى (طبع القاهرة) ص ١٦٣.

(٥) الذخيرة ١/ ١٧٣.." [1]

---

(١) تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف أحمد شوقي ٢١٣/٨

٢٣٨. "محمد بن اللباد رئيس المالكية، وسجنوه، وعادوا فردوا إليه حريته وألزموه الاعتكاف فى بيته، فكان تلاميذه يقصدونه خفية ويقرءون عليه فى بيته، وكان ربيع القطان يقرئ تلاميذه فى حانوته الذى يبيع فيه القطن. وظل العبيديون يحاولون القضاء على مذهبى مالك وأبى حنيفة، وعلماء السنة يقاومونهم مقاومة حادة وينازلون دعاتهم منازلات ضارية، وكان الفقيه سعيد بن الحداد يقود هذه المنازلات فى أيام عبيد الله المهدى، وسمع به وبإسكاته الدعاة وإلزامهم الحجة، فاستدعاه-كما يقول المالكى فى كتابه «رياض النفوس» -وعرض عليه الحديث النبوى:

«من كنت مولاه فعلى مولاه» فقال له سعيد: هو حديث صحيح قد رواه أهل السنة، فالتفت إليه وقال له: فما للناس لا يكونون عبيدنا؟ فقال له سعيد: أعز الله السيد، لم يرد (الرسول) ولاية الرق، إنما أراد ولاية الدين، فقال له عبيد الله المهدى: هل من شاهد يؤيد كلامك من كتاب الله ﷻ، فقال له: نعم، قال الله تعالى: {ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون، ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون} ثم قال سعيد: فما لم يجعله الله لنبى لم يجعله لغير نبى، وعلى لم يكن نبيا إنما كان وزير النبى ﷺ. وبذلك أفحمه، فقال له انصرف. ولم تقف المسألة فى العقيدة العبيدية الفاطمية عند محاولة الخلفاء العبيديين استعباد الناس، فقد حاولوا إقناعهم بأنهم الصورة المجسدة للذات العلية تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا إلى غير ذلك من ضلالاتهم التى صورنا أطرافا منها فى كتابنا-بهذه السلسلة-عن مصر. وظلت القيروان تقاطع عقيدتهم إلى أن انتقلوا إلى القاهرة وعادت لمذاهب أهل السنة نشاطاتها وخاصة مذهب مالك، ولم يلبث المعز الصنهاجى سنة ٤٣٨ هـ/١٠٤٦ م أن حمل الناس والفقهاء على اتباعه، فظل هو المذهب السنى الأساسى فى القطر التونسى إلى اليوم، وحقا اشترك معه المذهب الحنفى أيام العثمانيين، ولكن ظل هو المذهب السنى للجماهير التونسية.

٥ - الزهد والتصوف (١)

هذا القطر أو هذه الدار التونسية الكبيرة للدين الحنيف أخذت تتحول سريعا إلى دار

---

(١) راجع فى الزهد والتصوف كتاب رياض النفوس فى التراجم وكذلك طبقات علماء إفريقية لأبى العرب ومعالم الإيمان لابن ناجى، وبرنشفيك ٢/ ٣٣٢ وما بعدها. وانظر فى المنزعين الصوفيين: الفلسفى والسنى ما كتبنا عنهما فى الجزء الخاص بمصر من هذا التاريخ للأدب العربى وكذلك انظر فى هذا الجزء ترجمة أبى الحسن الشاذلى.." (١)

٢٣٩. "فقال له: لا أعرفه؛ فعجب الرشيد، وقال له: سوءة لك من سيد قوم يمدح بمثل هذا الشعر ولا يعرف قائله، وقد بلغ أمير المؤمنين؛ فرواه، ووصل قائله، وهو مسلم بن الوليد، وانصرف يزيد فدعا به ووصله١، وتوالت عليه عطاياه، ووالى مسلم مدائحه الرائعة فيه. وجذبه غير واحد من رجالات العرب فكان يقلدهم مدائحه، مثل داود بن زيد المهلبي وزيد بن مسلم الحنفي والحسن بن عمران الطائي ومنصور بن يزيد الحميري وابنه محمد. وظل وفيا للبرامكة؛ ولكن يزيد بن مزيد غلب عليهم كما غلب معه هؤلاء العرب الخلص. ونراه يمدح الأمين، حتى إذا تحولت أزمة الخلافة إلى أخيه المأمون لزم الفضل بن سهل وزيره، وكانت قد تقدمت به السن، فعطف عليه الفضل وولاه بريد جرجان وقيل مظالمها، ولم يلبث هناك أن لبي نداء ربه سنة ثمان ومائتين.

وأكثر شعر مسلم في مديح من سميناهم وله غزليات وخمريات قليلة، وهاجى ابن قنبر الشاعر، ولكن لا على طريقة الهجاء عند حماد عجرد وبشار، ولكن على طريقة الشعراء الأمويين، وما زال به حتى أفحمه وكف عن مناقضته٢. ويقال إنه هجا يزيد بن مزيد، وربما ند ذلك منه حين تأخر عن عطائه، ووصل ذلك إلى مسامع الرشيد؛ فأحضره وهدده وقال له: "لئن بلغني أنك هجوته لأنزعن لسانك من فيك" فانتهى ولم يعد، ونعم بعطاياه وعطايا الخليفة معا، حتى إذا توفي رثاه رثاء حارا.

ومسلم في شعره يعتمد اعتمادا شديدا على الإطار التقليدي، وما يرتبط به من جزالة الأسلوب ومتانته ورصانته ونصاعته وقوته، حتى في غزله وخمرياته؛ فإنه لا يهبط أبدا

---

(١) تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف أحمد شوقي ١٦٢/٩

على نحو ما يهبط أبو نواس وأبو العتاهية إلى الأساليب اليومية، وحقا مر بنا في الفصل السابق أن له قصيدتين من وزن مولد، ولعله جارى فيهما أصحاب مذهب الصنعة وتجديداتهم في البحور الشعرية، وهما على كل حال شذوذ في عمله، أما بعدهما فشعره يغلب أن يكون من الأوزان الطويلة حتى تتلاءم

---

١ انظر ترجمته في الأغاني الملحقة بالديوان ص٣٦٧

٢ انظر الأغاني "طبعة الساسي" ١٣/ ٨- ١١. وراجع ترجمته فيه المحلقة بالديوان.." (١)

٢٤٠. "تأخر تدوينه تدوينا عاما. وقد كفل له من ذلك ما يملؤنا إعجابا بعلمائه ورواته، فقد اشترطوا شروطا كثيرة في حملته، وأقاموا من أجله علما برأسه، يسمى مصطلح الحديث ميزوا فيه بين أنواع صحيحة وضعيفة، كما ألفوا كثيرا في رجاله ورواته، حتى يقفوا على درجة صدقهم، وقد أفردوا لضعيفه كما أفردوا لصحيحه مؤلفات كثيرة على نحو ما صنع ابن حبان وغيره، وكذلك أفردوا مؤلفات لموضوعاته، ومفترياته على نحو ما صنع السيوطي في كتابه "اللآلئ المصنوعة".

وبذلك حافظ المسلمون على حديث الرسول صلوات الله عليه، وإن كانوا قد أجمعوا على أنه في جملته روي بالمعنى ولم يرو باللفظ، بسبب تأخر تدوينه، ولعل ذلك ما جعل علماء الكوفة والبصرة، وبغداد لا يحتجون به في إثبات لغة العرب والاستدلال على القواعد النحوية، واللغوية التي دونوها، فقد تداوله الأعاجم، والمولدون قبل تدوينه تدوينا عاما.

والذي لا شك فيه أنه عليه السلام لم يكن ينطق إلا عن ميراث حكمة، وأنه أوتي جوامع الكلم، وكان يكره الإغراب في اللفظ والتعسف والتكلف، ويكفي في بيان روعة تعبيره وبلاغة كلامه، وتراكيبه ما يقوله الجاحظ في كتابه البيان والتبيين من أنه "لم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد

---

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي أحمد شوقي ص/١٨٢

الكلام ... لم تسقط له كلمة، ولا ذلت به قدم ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلم القصار ... ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج١ إلا بالحق ولا يستعين بالخلابة ... ولم يسمع الناس بكلام قد أعم نفعا، ولا أقصد لفظا ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى ولا أبين في فحوى من كلامه

---

١ الفلج: الفوز والظفر.." (١)

٢٤١. "ثم تحاكموا. فقال (عمرو بن هند) الملك: ما كنت لأحكم بينكم حتى تأتوني بسبعين رجلا من أشراف (بكر بن وائل) ، فأجعلهم في وثاق عندي. فإن كان الحق لبني (تغلب) دفعتهم إليهم. وإن لم يكن لهم حق خليت سبيلهم" ففعلوا ذلك وتواعدوا يوما بعينه يجتمعون فيه. وفي أثناء الهدنة جاء أناس من (بني تغلب) إلى (بني بكر) يستسقونهم. فطردتهم (بكر) للحقد الذي كان بينهم. فرجعوا. فمات منهم سبعون رجلا عطشا. ثم إن (بني تغلب) اجتمعوا لحرب (بني بكر) واستعدت لهم (بكر) . حتى إذا التقوا كرهوا الحرب وخافوا أن تعود الحرب بينهم كما كانت. فدعا بعضهم بعضا إلى الصلح. فلما كان اليوم الذي ضربوه موعد للاجتماع عند (عمرو بن هند) جاءت (تغلب) في ذلك اليوم يقودها (عمرو بن كلثوم) حتى جلس إلى الملك. وقال (الحارث بن حلزة لقومه "وهو رئيس بكر بن وائل") : "إني قد قلت قصيدة فمن قام بها ظفر بحجته وفلح على خصمه" فرواها أناسا منهم. فلما قاموا بين يديه لم يرضه إنشادهم. فحين علم (الحارث) أنه لا يقوم بها أحد مقامه قال لهم: "والله إني لأكره أن آتي الملك فيكلمني من وراء سبعة ستور وينضح أثري بالماء إذا انصرفت. غير أني لا أرى أحدا يقوم بها مقامي، وإني محتمل ذلك لكم". (وكان بالحارث وضح. وكانوا يفعلون ذلك بمن به برص. وقيل: "بل كان (عمرو بن هند) يفعل ذلك لعظم سلطانة وكبريائه، ولا ينظر إلى به سوء) ".

---

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي أحمد شوقي ص/٥٠

فانطلق (الحارث) حتى أتى الملك. فقيل للملك: "إن به وضحا". فأمر أن دونهما سبع ستور. فجعلت. فلما نظر (عمرو بن كلثوم) إلى (الحارث) قال للملك (عمرو بن هند) : "أهذا يناطقني؟ وهو لا يطيق صدر راحلته". فأجابه الملك حتى أفحمه. وأنشد (الحارث) معلقته. وهو من وراء سبعة ستور. وكانت (هند) أم الملك تسمع. فلما سمعتها قالت: "تالله ما رأيت كاليوم قط رجلا يقول مثل هذا القول، يكلم من وراء سبعة ستور". فقال الملك: ارفعوا سترا. ودنا. فما زالت تقول ويرفع ستر وستر حتى صار مع الملك على مجلسه. ثم أطعمه في جفنته. وأمر أن لا ينضح أثره بالماء. وجز نواصي السبعين الذين كانوا في يديه من (بكر) ودفعها إلى (الحارث) . وأمره أن لا ينشد قصيدته إلا متوضئا. فلم تزل تلك النواصي في (بني يشكر) بعد (الحارث) يفتخرون بها.

ثم إن (عمرو بن هند) حكم أنه لا يلزم (بني بكر) ما حدث على رهائن (بني تغلب) . فتفرقوا على هذه الحال. ثم لم يزل في نفسه من ذلك شيء حتى هم باستخدام (أم عمرو بن كلثوم) تعرضا لهم وإذلالا، فكان من ذلك أن قتله (عمرو بن كلثوم) . كما تقدم في خبره.

وقد ضرب (بالحارث) المثل بالفخر فقيل: "أفخر من الحارث بن حلزة".

والمشهور من الروايات أن (الحارث) قال معلقته ارتجالا وهو متوكئ على قوسه. وقد زعموا أنه اقتطم كفه من الغضب وهولا يشعر حين إنشادها. وقال (ابن السيد) في (أدب الكاتب) : "كان متوكئا على عنزة فارتزت في جسده وهو لا يشعر".

قال (يعقوب بن السكيت) : كان (أبو عمر الشيباني) يعجب لارتجال (الحارث) هذه القصيدة في موقف واحد. ويقول: لو قالها في حول لم يلم" قال: "وقد جمع فيها ذكر عدة من أيام العرب عير ببعضا (بني تغلب) تصريحا، وعرض ببعضها (لعمرو بن هند) .

غير أن الرواية التي رويناها هناك تدل على أنه لم يرتجلها، وإنما كان قد أعدها قبل إنشادها. والله أعلم بالصواب.

أما شعره فهو قليل جدا لأنه كان من المقلين. وإنما اشتهر بمعلقته هذه التي رفعت من

قدره، وجعلته في صف شعراء الجاهلية المجيدين.

ومن شعره قوله يمدح رجلا يقال له (قيس بن شراحيل) وكان هذا في جملة من سعى بالصلح:

فهلا سعيت لصلح الصديق ... كصلح ابن مارية الأقصم

وقيس تدارك بكر العراق ... وتغلب من شرها الأعظم

وبيت شراحيل في وائل ... مكان الثريا من الأنجم

فأصلح ما أفسدوا بينهم ... كذلك فعل الفتى الأكرم

قال (يعقوب بن السكيت) أنشدني (النضر بن شميل) للحارث بن حلزة، وكان يستحسنها ويستجيدها. وذلك قوله:

من حاكم بيني وبين ... الدهر مال علي عمدا

أودى بسادتنا، وقد ... تركوا لنا حلقا وجردا

خيلي وفارسها ... ورب

أبيك

كان أعز فقدا

فلو أن ما يأوي إلى ... أصاب من ثهلان فندا." (١)

٢٤٢. "الأقصى، تحملها أجنحة نياتهم فتهوى إليه بمقاصدهم من كل فج عميق، فيجدون الثمرة المعروفة والكرامة المشهورة!

وقال ابن الزيات: كان أبو العباس قد أعطى بسطة في اللسان وقدرة على الكلام لا يناظره أحد إلا أفحمه، ولا يسأله إلا أجابه، كأن القرآن والحجج على طرف لسانه حاضرة، يأخذ بمجامع القلوب ويسحر العامة والخاصة ببيانه، يأتيه المنكرون للإنكار، فما ينصرفون إلا مسلمين منقادين، وشأنه كله من عجائب الزمان.

وحدثني مشايخنا أنهم سمعوه يقول: أنا القطب. وحدثني أبو الحسن الصنهاجي، من خواص خدامه، قال: خرجت معه مرة لصهريج غابة الرمان يوم عرفة، فجلسنا هناك

---

(١) رجال المعلقات العشر مصطفى الغلاييني ص/٤٩

وصلينا فقال لي: إنما سمي هذا اليوم يوم عرفة لانتشار الرحمة فيه لمن تعرف إليه بالطاعة. وقد فاتنا عرفة فتعال نمثل بهذا المكان، نعمل كما يعملون، ولعل الله يتغمدنا برحمته معهم، فعمل مكانا دائرا بالعين الكعبة، ومحل عنصر الماء الحجر وموضعا آخر في مقام إبراهيم، فطاف بالعين أسبوعا وأنا أطوف بطوافه، وكثير على العنصر في كل طوافة، وصلى في مثل المقام ركعتين تامتين، وأطال في سجود الثانية، ثم استند إلى الشجرة ثم قال: يا علي اذكر كل حاجة لك من حوائج الدنيا تقضى فإن الله وعد في هذا اليوم من تعرف له أن تقضي حوائجه، فقلت: ما أريد إلا التوفيق. فقال لي: ما خرجت معك إلى المدينة حتى وفقت، فسألته عن حال بدايته، وبم تنفعل له الأشياء ويستجاب له الدعاء، ولم صار يأمر بالصدقة والإيثار من شكا إليه حالا أو تعذر عليه مطلوب في هذه الدار؟ فقال لي: ما آمر الناس إلا بما ينتفعون به، لأني لما قرأت القرآن وقعدت بين يدي الشيخ أبي عبد الله الفخار ونظرت في كتب الأحكام، وبلغ سني عشرين سنة تدبرت قوله تعالى: {إن الله يأمر بالعدل} وقلت: إني مطلوب به، فبحثت عن الآية، فوقفت على أنها نزلت حين آخى -ﷺ- بين الأنصار والمهاجرين، فسألوه أن يعلمهم حكم المؤاخاة، فأمرهم بالشاطرة ففهمت أن العدل المأمور به في الآية هو المشاطرة.." (١)

٢٤٣. "جليلا. قال ابن الزبير: كان من أفضل الناس وأحسنهم عشرة وألينهم كلمة وأكثرهم خلقا، وذكره صاحب الذيل والأستاذ الطراز والقاضي ابن عبد الملك وأطنب فيه وعيرهم، أخذ عن جماعة كأبي بكر بن طلحة بن عطية وعبد المنعم بن عبد الرحيم وأبي الحسن بن كوثر وأبي بكر بن أبي زمنين وغيرهم، وكان كثير الرواية من أهل الضبط والتقييد والاتقان بارع الخط حسن الوراقة أديبا بارعا ذاكرا للتاريخ نقادا حافظا للأسانيد، ثقة عدلا مشاركا في فنون، روى عنه ابن المرابط ألف تاريخ علماء البيرة واحتفل فيه، وكتابا في الأنساب والأربعين حديثا وفضائل القرآن وبرنامج رواياته. ولد سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وتوفي في شعبان سنة تسع عشرة وستمائة ببلده -اهـ- ملخصا من الإحاطة لابن الخطيب.

---

(١) نيل الابتهاج بتطريز الديباج مُحَمَّد زَبَارَة ص/٧٠

٤٩١ – محمد بن إبراهيم المشتهر بالأصولي (١).

من أهل بجاية تقضى في مدن من الأندلس وبمراكش وببجاية ثلاث مرات آخرها سنة ثمان وستمائة، وكان جلدا صلبا قوي الجأش، ومن ظرفه أنه حضر مجلس السلطان وأحضرت فيه لآليء نفيسة في طبق وعرضت على حاضري المجلس فاستحسنوها وعدت ففقدت منها واحدة، فهم أمير المؤمنين يفتشهم فأشار عليه بإحضار قلة ماء مملوءة ويدخل فيها كل إنسان يده يستبرأ على الفاعل، فسيقت القلة فلما انتهت إليه ليدخل يده فيها امتنع وقال صبوها فإن وجدتم حاجتكم وإلا فهي عندي فصبوها فوجدوها فخلص من الشك، وهذا من نبله وسياسته، كان عالما بالفقه والأصلين والخلاف والجدل شديدا على الولاة، جرى بينه وبين والي بجاية كلام فيه غلظة فقال له الوالي: والله لقد أصاب فيكم أمير المؤمنين المنصور فقال: إن كان أصاب المنصور فأخطأ أمير المؤمنين الناصر فأفحمه فرجع الوالي واسترضاه. توفي ذبيحا ببجاية أواخر سنة اثنتي عشرة وستمائة. صح من عنوان الدراية للغبريني.

---

(١) انظر عنوان الدراية ٢٠٨، دليل مؤرخ الغرب ١/ ٨٧، تكملة الصلة ٣٧٦، تعريف الخلف ٢/ ٣٢٧، أعلام الجزائر ١٨.." (١)

٢٤٤. "يعادلها شيء من العقائد كما أشار إليه وسمعته يقول: العالم حقا من يستشكل الواضح ويوضح المشكل لسعة فهمه وعلمه وتحقيقه، فهو الذي يحضر مجلسه ويستمع فوائده– اه.

وبموته فقد من يتصف بها وإن كان العلماء الحافظون موجودين، لكن المراد العلم النافع المتصف صاحبه بالخشية فهو في علوم الباطن قطب رحاها وشمس ضحاها وقد غاب بكلامه فيها في غيب الله تعالى واطلع على معادن أسراره وطالع أنواره فيؤثر حب مولاه ويراقبه لا يأنس بأحد بل يفر كثيرا إلى الخلوات يطيل الفكرة في معرفته فانكشفت له عجائب الأسرار وتجلت له الأبصار فصار من وارثي الأنبياء جامعا بين الحقيقة والشريعة

---

(١) نيل الابتهاج بتطريز الديباج مُحَمَّد زَبَارَة ص/٣٧٨

على أكمل وجه، له لطائف الأحوال وصحائح الأقوال والأفعال.

باطنه حقائق التوحيد وظاهره زهد وتجريد وكلامه هداية لكل مريد، كثير الخوف طويل الحزن يسمع لصدره أنين من شدة خوفه مستغرقا في الذكر فلا يشعر بمن معه، مع تواضع وحسن خلق ورقة قلب رحيما متبسما في وجه من لقيه مع إقبال وحسن كلام، يتزاحم الأطفال على تقبيل أطرافه لينا هينا حتى في مشيه ما ترى أحسن خلقا ولا أوسع صدرا وأكرم نفسا وأعطف قلبا وأحفظ عهدا منه يوقر الكبير ويقف مع الصغير ويتواضع للضعفاء معظما جانب النبوة غاية لا يعارضه أحد إلا أفحمه جمع له العلم والعمل والولاية إلى النهاية، مع شفقته على الخلق وقضاء حوائجهم عند السلطان والصبر على إذايتهم، وضع له من القبول والهيبة والإجلال في القلوب ما لم ينله غيره من علماء عصره وزهاده.

ارتحل الناس إليه وتبركوا به، وسمعته آخر عمره يقول: من الغرائب في زماننا هذا أن يوجد عالم جمع له علم الظاهر والباطن على أكمل وجه بحيث ينتفع به في العلمين فوجود مثله في غاية الندور فمن وجده فقد وجد كنزا عظيما دنيا وأخرى، فليشد عليه يده لئلا يضيع عن قرب فلا يجد مثله شرقا وغربا أبدا- اهـ.." (١)

٢٤٥. "أرى أحدا يقوم بها مقامي، وأنا محتمل ذلك لكم، فانطلق حتى أتى الملك. فلما نظر إليه عمرو بن كلثوم قال للملك: أهذا يناطقني، وهو لا يطيق صدر راحلته؟ فأجابه الملك حتى أفحمه، وأنشد الحارث قصيدته: "آذنتنا ببينها أسماء"، وهو من وراء سبعة ستور، وهند تسمع. فلما سمعت قالت: تالله ما رأيت كاليوم قط رجلا يقول مثل هذا القول، يكلم من وراء سبعة ستور! فقال الملك: ارفعوا سترا، ودنا، فما زالت تقول، ويرفع ستر فستر، حتى صار مع الملك على مجلسه. ثم أطعمه من جفنته، وأمر ألا ينضح أثره بالماء، وجز نواصي السبعين الذين كانوا في يديه من بكر، ودفعها إلى الحارث، وأمره ألا ينشد قصيدته إلا متوضئا، فلم تزل تلك النواحي في بني يشكر بعد الحارث١.

---

(١) نيل الابتهاج بتطريز الديباج مُحَمَّد زَبَارَة ص/٥٦٥

وقام عمرو بن كلثوم، فأنشد جزءا من معلقته٢ مفتخرا على خصومه، غير منتبه لمركز الملك، وما يلزم لمداراته واستمالته، فحكم عمرو بن هند على التغلبيين، فانصرف عمرو ورهطه غاضبين. ولعله قال، بعد هذه الحادثة، ما ذكر في ديوانه من هجاء له؛ ثم أكمل معلقته بعد ذلك، وخاصة بعد قتله للملك، كما سنفصل، ثم قام بها خطيبا بسوق عكاظ وقام بها في موسم مكة٣.

---

١ ابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص٣٧٠- ٣٧١؛ والخطيب التبريزي: شرح القصائد العشر ص ٣١٨- ٣٢٠.

٢ وقيل: كل معلقته، وهذا بعيد لما في القصيدة من إشارة إلى حادثة زيارة الشاعر مع أمه للملك كما سنفصل في الفقرة التالية.

٣ الأغاني ١١/ ٤٨.." (١)

٢٤٦. "فقال رسول الله ﷺ: «صدق القائل يا عائشة، إن الله إذا أجرى على يد رجل خير الرجل فلم يشكره فليس لله بشاكر» . قيل لذي الرمة: لم خصصت بلال بن أبي بردة «١» بمدحك؟ قال: لأنه وطأ مضجعي وأكرم مجلسي وأحسن صلتي، فحق لكثير معروفه عندي أن يستولي على شكري. يقال: شكر الإله بطول الثناء، وشكر الولاة بصدق الولاء، وشكر النظير بحسن الجزاء، وشكر من دونك ببذل العطاء.

لأشكرنك معروفا هممت به ... إن اهتمامك بالمعروف معروف

ولا ألومك إن لم يمضه قدر ... فالشيء بالقدر المحتوم مصروف

سأل المنصور بعض بطانة هشام عن تدبيره في حروبه فقال: فعل كذا وصنع كذا . فقال المنصور: عليك لعنة الله تطأ بساطي وتدعو لعدوي. فقام الرجل وهو يقول: والله إن نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا ينزعها إلا غاسلي.

فقال المنصور: ارجع يا شيخ فإني أشهد أنك نتيجة حرة وثمرة شريف، ودعا له بمال. فقال: لولا افتراض طاعتك ما قبلت بعده لأحد نعمة. فقال المنصور:

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني محمد أبو شهبة ص/٢٠٨

لكفيت قومك فخرا، كن أول داخل علي وآخر خارج من عندي.

إن الذي هو كالقرطاس والقلم ... أخو اللسانين ذو وجهين في الكلم

سود محياه كالقرطاس منتقما ... واضرب مقلده بالسيف والقلم

جلس المعتصم في خلافته وجعل إبراهيم بن المهدي يقلب خاتما في يده، فقال العباس بن المأمون: ما هذا الخاتم؟ فقال: خاتم رهنته في أيام أبيك فما فككته إلا في أيام أمير المؤمنين. فقال العباس: لئن لم تشكر أبي على حقن دمك مع عظم جرمك فلا تشكر أمير المؤمنين على فك خاتمك. فأفحمه. علي." (١)

٢٤٧. "قد شارف التسعين من أعوامه ... ودنت منيته وحان حصاده

واسود مشرق لونه وتضعضعت ... أركانه وابيض منه سواده

يحيى بن أكثم: ولي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقال له رجل يريد أن يخجله: كم سن القاضي أيده الله؟ فقال: مثل سن عتاب بن أسيد «١» حين ولاه رسول الله ﷺ إمارة مكة وقضاءها. فأفحمه. ابن عباس ﵄ رفعه: «من أتى عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار» .

محمد بن علي بن الحسين: إذا بلغ الرجل أربعين سنة ناداه مناد من السماء: دنا الرحيل فأعد زادا. أنس ﵁ رفعه: «لكل شيء فصال، وفصال أمتي ما بين الستين إلى السبعين» . وقال: «أنا في معترك المنايا ما بين الستين إلى السبعين» . قال رجل لعبد الملك: كم لك من السنين؟ فقال: أنا في معترك المنايا ابن ثلاث وستين سنة، سمعت العرب تقول: ما بين الستين والسبعين دقاقة الرقاب.

قيل: إذا جاوز الرجل الستين وقع بين قوة العلل، وعجز العمل، وضعف الأمل، ووثبة الأجل. قيل: المشيب غمامة تمطر الأمراض. وقيل: هو أول مواعيد الفناء. وقيل: هو واعظ نصيح ومنذر فصيح. سأل الحجاج شيخا فقال: كيف طعمك؟ قال: إذا أكلت ثقلت، وإذا تركت ضعفت. فقال:

كيف نكاحك؟ قال: إذا بذلت لي عجزت، وإذا منعتني شرهت. قال: كيف نومك؟

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار صبحي الصالح ص/٢٦٥

قال: أنام في المجمع، وأسهر في المهجع. قال: كيف قيامك وقعودك؟ قال: إذا أردت القعود تباعدت عني الأرض، وإذا أردت القيام." (١)

٢٤٨. "يعتورها الغموض، وما هي مهمة الباحث إذا لم يحاول تحليل الوقائع؛ ليستخلص منها النتائج حتى يصل إلى الحقيقة فيما يعالج من القضايا التاريخية؟

لقد قام الأمير عثمان بن معمر بمؤازرة الشيخ، فقطع الأشجار التي يعظمها الجهال، وهدم ما بني على القبور، ونفذ أحكام الشريعة، ويظهر أن أهل بلاده لم يكونوا كلهم على وفاق معه، فابن بشر يذكر أنه اجتمع مع الشيخ نحو سبعين رجلا منهم من رؤساء المعامرة – أي استجابوا للدعوة – وأن الشيخ لما أراد هدم قبة زيد بن الخطاب ﵁ أراد أهل الجبيلة – وهي من بلاد عثمان – أن يمنعوه من هدمها، فسار معه عثمان بنحو ستمائة رجل، فلما رأوه قد عزم على حربهم إن لم يتركوه يهدمها خلوا بينهم وبينها.

ولقد استمر عثمان في تقبل آراء الشيخ وتنفيذها، تقبل المؤمن بها إيمانا صادرا عن يقين بصدقها، لا عن رغبة في أمر، ولا عن رهبة من أحد، وكما قال الشيخ حسين بن غنام١: (تلقاه بالقبول والمناصرة، وأكرمه غاية الإكرام، وألزم الخاصة والعامة أن يمتثلوا أمره، ويقبلوا قوله) ، فما الذي جرى له حتى غير موقفه؟! قال ابن بشر٢: – بعد أن ذكر بلوغ أخبار الشيخ حاكم الأحساء سليمان بن محمد: (فأرسل إلى عثمان كتابا يتهدده فيه إن لم يقتل الشيخ أو يخرجه من بلده، وأنه إن لم يفعل قطع خراجه) ثم أشار إلى أن عثمان تردد في الأمر، فأثر عليه جلساء السوء – وإذن فلدى عثمان من خاصته من لم تباشر دعوة الشيخ قلبه – وقال: (فأرسل إلى الشيخ ثانيا وقال له: إن سلمان أمرنا بقتلك، ولا نقدر إغضابه ولا مخالفة أمره؛ لأنه لا طاقة لنا بحربه، وليس من الشيم أن نؤذيك في بلدنا مع علمك وقرابتك) ، وذكر أنه أرسل مع الشيخ حراسا إلى أن بلغ الدرعية.

كان صاحب الأحساء ذا نفوذ واسع في عهده، ولهذا استعان به أعداء الشيخ، ممن

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار صبحي الصالح ص/٤١٥

وصفهم ابن غنام بقوله ٣: (فلما أعياهم رد ما أفحمهم به الشيخ من حجج، عدلوا إلى ردها بالمكر والحيلة) وهو يقصد أعداءه من أهل نجد الذين ألبوا عليه أقوى حاكم ذي نفوذ وسلطة في هذه البلاد.

١"تاريخ نجد": ٧٨.

٢"عنوان المجد": ١/٢٣.

٣"تاريخ نجد": ٨٠.." (١)

٢٤٩. "إلى ميرورقة من بعض الأندلس. وهناك تضافرا على ابن حزم وناظراه وأخرجاه منها. وكان الميورقي سبب العداوة بين الباجي وابي محمد (١) . قال القاضي عياض في الباجي: " ووجد عند وروده بالأندلس لابن حزم الداوودي صيتا عاليا وظاهريات منكرة. وكان لكلامه طلاوة قد أخذت قلوب الناس، وله تصرف في فنون تقصر عنها ألسنة فقهاء الأندلس في ذلك الوقت، لقلة استعمالهم النظر وعدم تحققهم به. فلم يكن يقوم أحد بمناظرته. فعلا شأنه وسلموا الكلام له على اغتنامهم فحادوا عن مكالمته. فلما ورد أبو الوليد الأندلس، وعنده من الإتقان والتحقيق والمعرفة لطرق الجدل والمناظرة ما حصله في رحلته، أمله الناس فجرت له معه مجالس كانت سبب فضيحة ابن حزم وخروجه من ميورقة " (٢) وقد شهد ابن حزم للباجي بالتفوق في المذهب المالكي (٣) . ومما جرى بينهما في بعض المناظرات، ان قال الباجي: أنا أعظم منك همة في طلب العلم لأنك طلبته وأنت معان عليه تسهر بمشكاة من الذهب، وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائت السوق. فقال ابن حزم: هذا الكلام عليك لا لك لانك إنما طلبت العلم وأنت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي. وأنا طلبته في حين ما تعلمه وماذكرته، فلم أرج به إلا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة، فأفحمه (٤) .

وكثر أعداء ابن حزم في مدن الأندلس. وأخذوا يؤلبون عليه امراءها، ويستصرخون ضده علماء الأمصار الإسلامية " فطفق الملوك يقصونه عن قربهم ويسيرونه عن بلادهم

---

(١) المرأة في حياة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (مطبوع ضمن بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول) حمد الجاسر ص/١٧٢

إلى ان انتهوا به إلى منقطع أثره

---

(١) التكملة: ٣٩١

(٢) ترتيب المدارك ج ٢ الورقة: ١٥٨ (نسخة دار الكتب المصرية) ، وانظر النفح ١: ٣٠٩

(٣) النفح ١: ٣٦٠

(٤) النفح ١: ٣٦٤." [1]

٢٥٠. "٣٥٤٨- لا تحبق في هذا الأمر عناق حولية

قاله عدى بن حاتم حين قتل عثمان ﷺ، فلما يوم الجمل فقئت عين عدى وقتل ابنه بصفين، فقيل له: يا أبا طريف، ألم تزعم أنه لا تحبق في هذا الأمر عناق حولية؟ فقال: بلى والله، التيس الأعظم قد حبق فيه، قالوا: ولما كان بعد ذلك دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير، فقال ابن الزبير: يا أمير المؤمنين هجه فإن عنده جوابا، فقال معاوية: أما أنا فلا، ولكن دونك إن شئت، فقال له ابن الزبير: أي يوم فقئت عينك ياعدى، قال: قي اليوم الذي قتل فيه أبوك مدبرا وضربت على قفاك مواليا، فأفحمه.

يضرب المثل في الأمر لا يعبأ به ولا غير له، أي لا يدرك فيه ثأر.

ومثله قولهم:." [2]

٢٥١. "وقال الفنجديهي: رأيت بخط الحريري: اشتمل الصماء، أي التحف بثوب جلل جسده، وقيل لها صماء لأنها لا منفذ فيها كالصخرة الصماء، التي لا صدع فيها ولا خرق، وهي عند الفقهاء أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه، فتبدو عورته، فنهي عن ذلك.

وقال الأزهري: هذا أصح الكلام، والفقهاء أعلم بتأويل هذا. والقرفصاء: أن يقعد على إليتيه، وينصب ساقيه، ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبي بيديه فيضعهما على ساقيه، قاله أبو عبيد. وقيل: هي جلسة المحتبي، ثم يرفع فخذيه وركبتيه إلى صدره، ويدير يديه

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) إحسان عباس ص/٢٥٣

(٢) مجمع الأمثال محمد يوسف نجم ٢/٢٢٥

على ساقيه، ويشدهما، فإذا فعلت ذلك بالرجل وشددت يديك عليه، فقد قرفصته.

الفنجديهي: رأيت بخط الحريري: معناه أن يحتبي بيديه، قال أبو أمامة: كان النبي ﷺ يجلس القرفصاء فيضع يده اليمنى على الشمال عند المفصل (١). وتقرفص الرجل، إذا جمع يديه وانضم من جرب أو قروح به.

أعيان: أشراف. محتفون: محلقون، والمنزل محفوف بالناس إذا اجتمعوا بحفافيه، أي بجانبيه. والأخلاط: الدون من الناس. والمعضلات: الغامضات من الكلام الصعب. واستوضحوا، أي طلبوا مني إيضاحها، أي بيانها. فطر: خلق، وفطر الله الخلق ابتدأ خلقهم، قال ابن عباس: ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى احتكم إلي أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي ابتدأتها، وقال الله تعالى: {إلا الذي فطرني} [هود: ٥١] أي خلقني. ويتفطرن: يتشققن، وانفطرت: تشققت. وعلم آدم الأسماء كلها، أي علمه أسماء كل شيء من المخلوقات. وفقيه العرب، أي عالمهم، وقال تعالى: {ليتفقهوا في الدين} [التوبة: ٢٢] أي ليكونوا علماء به، وكل عالم بشيء فهو فقيه فيه، ويقال: فقهت عنك، أي فهمت، وفقهت فقها، أي صرت فقيها، وهو الحاذق بما يعلمه، وفقهت الرجل: غلبته في الفقه، العرباء: الخالصة، وهذا الإدعاء الذي يدعى الآن يسمى انتحال العلم.

وقال بعض الحكماء: لا ينبغي لأحد أن ينتحل العلم.

وقال مقاتل بن سليمان يوما، وقد دخلته أبهة العلم: سلوني عما تحت العرش إلى أسفل الثرى، فقال له رجل: ما نسألك عن شيء من ذلك، إنما نسألك عما معك في الأرض، أخبرني عن كلب أهل الكهف ما كان لونه؟ فأفحمه.

ولما شهرت تآليف ابن قتيبة، ولحظ بعين العالم المتفنن، صعد المنبر، وقد غص المحفل واعتلى، تبريزا على علماء وقته، مع فضل جاه اشتمل به من السلطان، فقال:

---

(١) أخرجه أبو داود في الأدب باب ٢٢، بلفظ: «رأت النبي ﷺ وهو قاعد

القرفصاء»، ورواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ٤/ ٤٧. بلفظ: «فإذا رسول الله ﷺ جالس القرفصاء».." (١)

٢٥٢. "ليسألني من شاء عما شاء، فقام إليه أحد الأغفال، فقال له: ما الفتيل والقطمير؟ فلم يحر جوابا، وأفحمه ونزل خجلا، وانصرف إلى منزله كسلا. فلما نظر اللفظتين وجد نفسه أذكر الناس بهما، وهذا من عقاب العجب.

ورأيت في بعض الأخبار أن ابن قتيبة سئل عن حرف لغة فلم يعلمه وقت السؤال وكان أبيض مشربا بحمرة فلما وجد الحرف غلبت الحمرة على وجهه، حتى طفيء أسفا على فوت الحرف وقت الحاجة، ولعله كان ما قدمنا في الحكاية.

وقال قتادة: ما سمعت قط شيئا إلا حفظته، ولا حفظت قط شيئا فنسيته. ثم قال: يا غلام هات نعلي، فقال: هما في رجليك، ففضحه الله.

وقال قتادة: حفظت ما لم يحفظ أحد قط، ونسيت ما لم ينس أحد قط، حفظت القرآن في سبعة أشهر، وقبضت على لحيتي، وأنا أريد أن أقطع ما تحت يدي، فقطعت ما فوقها.

وكان بشريش رجل من أهل الدين والورع، وحج في أيام أبي حامد وصحبه، ففاتت صلاة الصبح يوما لأحد أصحابه، فلامه على ذلك، فاعتذر له صاحبه فلم يعذره.

ثم قال له على معنى الترغيب: كملت لي اليوم عشرون سنة، ما فاتتني صلاة الصبح في جماعة، فلما كان في اليوم الثاني أدرك الحاج من صلاة الصبح ركعة واحدة، فلما لقيه صاحبه بعد الصلاة قال له: هذا كما رأيت. وإنما ذكرت عملك على معنى التبصرة والإرشاد، فلو ذكرته على غير ذلك لفاتتك، وإذا كان موسى كليم الله قد عاتبه الله على الانتحال، حين سئل: أي الناس اليوم أعلم؟ قال: أنا، وابتلي بالسفر حتى لقي الخضر، وجلس إليه راغبا في أن يعلمه، والخضر لا ينبسط له في التعليم، ونقر عصفور في البحر، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك في علم الله تعالى، إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر.

---

(١) شرح مقامات الحريري للشريشي (٦١٩) المؤلف غير معروف ٢/٤٣٤

وروي عن عبد الملك بن حبيب من طريق وهب بن منبه: أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: أتدري لم كلمتك؟ قال: لا يا رب، قال: إني اطلعت على قلوب العباد فلم أر فيها قلبا أشد تواضعا من قلبك، قال المنجم: [السريع]

لكل شيء في الورى آفة ... وآفة المرء من الكبر

وقال آخر: [الكامل]

الكبر يأس والتواضع رفعة ... والمزح والضحك الكثير سقوط

والحرص فقر والقناعة رفعة ... واليأس من روح الإله قنوط

فينبغي لكل عاقل أن يقول: ما أمر الله تعالى رسوله ﷺ بقوله: {رب زدني علما} [طه: ١١٤]، ولا يرى لنفسه حظا، ويشكر الله تعالى على ما أعطاه فهو بالأدب أليق، وبالشرع أوفق.." (١)

٢٥٣. "يلاعب، ويمسها بيده. غانية: امرأة جميلة غنيت بحسنها عن الزينة. صبحن كاظمة، أي سقين الصبوح كاظمة غيظها. وصبحه. سقاه صبوحا، وكظم غيظه: تجرعه، وهو قادر على الإيقاع بعدوه ولم يمضه، وكظم خصمه: أجابه بالمسكت فأفحمه، وأصل الكظم للبعير، وهو أن يردد جرته في حلقه ولا يجترها: وكاظمة: موضع على سيف البحر، أي على ساحله على مرحلتين من البصرة، وفيه ركايا كثيرة، وماؤها شروب.

* * * وشائبا غير مخف للمشيب بدا ... في البدو وهو فتي السن لم يشب

الشائب هاهنا: مازج اللبن، والمشيب: اللبن الممزوج، ويقال فيه مشيب ومشوب. [البسيط]

ومرضعا بلبان لم يفه فمه ... رأيته في شجار بين السبب

الشجار: المحفة ما لم تكن مظللة فإن ظللت فهو الهودج. والسبب هاهنا: الحبل، ومنه قوله تعالى: {فليمدد بسبب إلى السماء} [الحج: ١٥] [البسيط]

وزارعا ذرة حتى إذا حصدت ... صارت غبيراء يهواها أخو الطرب

---

(١) شرح مقامات الحريري للشريشي (٦١٩) المؤلف غير معروف ٢/٤٣٥

الغبيراء: المسكر المتخذ من الذرة ويسمى أيضا السكركه، وفي الحديث: «إياكم والغبيراء فإنها خمر العالم» (١).

وراكبا وهو مغلول على فرس ... قد غل أيضا وما ينفك عن خبب

المغلول هاهنا العطشان، وغل، أي عطش. [البسيط]

وذا يد طلق يقتاد راحلة ... مستعجلا وهو مأسور أخو كرب

المأسور: الذي يجد الأسر، وهو احتباس البول.

* * * اللبان: لبن الآدميات. يفه: ينطق، يهواها: يحبها. أخو الطرب: صاحبه المولع به. ينفك: يزول. خبب: نوع من السير. طلق. سارح. كرب: هم.

* * * وجالسا ماشيا تهوي مطيته ... به وما في الذي أوردت من ريب

الجالس: الآتي نجدا، والماشي: الذي كثرت ماشيته، وعليه فسر بعضهم قوله تعالى: {أن امشوا} [ص: ٦] كأنه دعاء عليهم بكثرة الماشية والنماء والبركة.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٢٢.." (١)

٢٥٤. "وكنت قبل هذ الشرح فيما مضى من الزمان جعلت شرحا لانشراح صدر صدر له من بعض الإخوان، غير أني لما رأيت لجواد عزم القلم في جولان مجاليه كبوات، ولسريان سر الفؤاد في معالم معاليه سقطات وهفوات، استخرت الله فيه أن أغير رتبته، وأن أبيض حرمته، وأسود حمرته، ثم إني سافرت، وأنا بين مكة وقرية يقال لها جدة، فإذا بقطاع الطريق سلبوا مالي، وعوضوني عنه من السيف حده، فرجعت بعد ذهاب السلب وأنا سالبة كليه، وقلت هذه قضية، قصتها سابقة أليه، عودا وانعطافا لما كنا بصدده، ولبيان الشرح الثاني وما فيه من مدده.

وقد بدأت منها اللغز المشتمل على اسم سلامة، وإن كان علامه غير محتاج لأجل ظهوره إلى علامة، لكن لا تخلو حروفه من طوايا / لقولهم: ٢ أ إن في الزوايا خبايا، مستعينا على ذلك بالله العظيم ذي الطول، من غير قوة صادرة مني ولا حول، وهو

---

(١) شرح مقامات الحريري للشريشي (٦١٩) المؤلف غير معروف ٣٣٢/٣

مولى البرايا، ومولي العطايا، بأنواع المزايا، وسنبين إن شاء الله تعالى المعاني التي ألغزها، وقال (١):

ما اسم إذا ما سأل المرء عن ... تصحيفه خلا له أفحمه (٢)

فنصف يس له أول ... من غير ما شك ولا جمجمه

وإن ترد ثانيه فهو لا ... يذكر للسائل كي يفهمه

وإن تقل بين لنا ما الذي ... منه تبقى بعد ذا قلت مه

بينه لي إن كنت ذا فطنة ... فإنني قد جئت بالترجمه

قوله ... : ما اسم إذا ما سأل المرء ... إلى آخر البيت؟

اعلم (٣) يا أخا الطبع السليم، ولك السلامة، أن الشيخ تعالى أشار لك به إلى جمع فرق سلامة.

ثم قوله: فنصف يس له أول.

أراد به السين من يس، والسين أول هذا الاسم من غير شك فيه.

وقوله: وإن ترد ثانيه فهو لا.

---

(١) في م: التي ألغزها الشيخ تعالى، وقال.

(٢) من البحر السريع

(٣) كتب: وقوله يا أخا الطبع، وما أثبتناه من م.." [1]

٢٥٥. "كأن برذون أبا عصام ... زيد حمارا دق باللجام (١)

فإن قيل: سلمنا لك ما قلت، لكن أخبرني عن معنى قولك (٢): فنصف يس له أول، وهل يصح أن يكون نصف سين أولا لهذا الاسم؟ قلت: نعم، يمكن أن يقع نصف السين مقام السين الكاملة باعتبار، وذلك أن المراد من السين السين الاسمية، لا الحرفية، وإذا بسطت / السين ٣ ب الاسمية، بلغت بحساب الجمل مائة وعشرين عددا، ونصفها ستون عددا، وهي عدد السين الحرفية، فبهذا الاعتبار صح قيام النصف

---

(١) شرح ألغاز عمر بن الفارض (١٠٣٤) المؤلف غير معروف ص/١٣

مقام الكل، والمعنى: يا صاحب فطنة، إن نصف السين الاسمية المستفاد من السين الحرفية أول هذا الاسم، ولعل الشيخ، أشار إلى هذا الوجه الحسن لدقته وخفائه ورقته في تركيبه وبنائه، ولأجل ذلك قال في البيت الأول: خلا له أفحمه، وفي البيت الأخير: إن كنت ذا فطنة ... ولولا هذا المعنى لما كان للإفحام، ولا للفطانة كبير معنى بالنسبة إلى الوجه الأول لسلامه، وأراد الشيخ بلفظ يس الملفوظة لا المكتوبة، لأجل النكتة التي ذكرها، وهي أن يا المتصلة بها حرف نداء، لكن لما كانت هذه النكتة غريبة ستر الملفوظة في المكتوبة، ورقمها كما ترى، وما أحسن إبهام الجمع بين النفي والإثبات في قوله: فهو لا ... يذكر، وبين الخبر والإنشاء في قول: قلت مه، هذا فلله دره كم أغنى طلاب مطالبه دره.

والوجه الثالث: يجوز أن يستخرج من عدد السين الحرفية اسم ناهد، وعدد السين ستون، وناهد كذلك، ولقائل أن يقول: إذا استخرجت هذا الاسم من هذا العدد، فما تصنع في أول من قوله: فنصف يس له أول، وكذلك الأبيات الآتية بعده، ولا بد من توجيهها، قلنا: أما قوله: فنصف يس له أول، فهو على معطوف، وتقديره فنصف يس له أول أوآخر، من

---

(١) هذا البيت من الشواهد التي لم ينسبوها إلى قائل معين، والبرذون من الخيل: ما ليس بعربي، يصف برذون رجل اسمه زيد بأنه غير جيد، ولا ممدوح، وأنه لولا اللجام الذي يظهره في مظهر الخيل لكان حمارا لصغره في عين الناظر ولضعفه، و التقدير: كأن برذون زيد يا أبا عصام. الخصائص ٢/ ٤٠٤، وشرح ابن عقيل ٢/ ٨٦، الشاهد رقم ٢٤٤.

(٢) كتب عن معنى ذلك، وما أثبتناه من م، والصواب أن يقال: عن معنى قوله.." (١)

٢٥٦. "كنا مرة في دعوة من الدعوات في جده وحضرها عدد كبير من المثقفين ومنهم وزير الإعلام الحالي إياد مدني وكان حينها مديرا لتحرير جريدة عكاظ..

---

(١) شرح ألغاز عمر بن الفارض (١٠٣٤) المؤلف غير معروف ص/١٦

و كذلك حضر عدد من التغريبيين من كتاب الصحف المشهورين والمحسوبين على تيار العلمنة ..

دار بينهم وبين شيخنا نقاش طويل وعميق ..

كان شيخنا يلقمهم بكل حجة من حججهم عشرا ..

كان مستند شيخنا قال الله قال رسوله وهم يستندون للواقع وقال فلان وفلان..

قال إياد مدني لشيخنا بكل فظاظة : لماذا تحتكر العلم في شخصكم هل الدين ما تراه أنت أو ابن باز فقط؟؟

فرد عليه شيخنا وأفحمه بكلام كثير وطويل ستملون من ذكره ..

وكنت أستغرب كيف مثله ومن هو في منصبه وحاله يقول مثل هذا الكلام الساقط عن مشائخنا ؟؟

إن أصغر مثقف يستطيع الرد على مثل هذا الكلام البائس والذي خرج من واهم أو صاحب هوى .. كما قال ربنا (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم)

أشفقت على شيخنا بسبب كثرتهم وكثرة لجاجهم وهم كما قال الأول:

حجج تساقط كالزجاج تخالها ذهبا وكل كاسر مكسور

ولم يكن من الأدب أن يشارك احد بحضور الشيخ فقد كنا جميعا تلاميذ له وليسوغ لنا المشاركة معه فبقينا صامتين ..

ولكن حينما انتهى النقاش وقدم العشاء وفض المجلس لحقت بإياد مدني عند المغاسل ..

فأسمعته كلاما شديدا فوقف ينظر إلي وقد اتسعت حدقة عينه حتى كادت تسقط من وجهه ..!!

فلم يكن يتوقع أن يتلقى هذه الصفعة مني فقد كنت موتورا ولا أدرك حينها التصرف الأمثل في مثل هذه المواطن ..

نرجع لتسلسل رحلتنا !!

عرض الوالد على شيخنا أن نستضيفه في بيتنا طوال بقاءه في الطائف..

فقال الشيخ : والله إنني أعتبر نفسي في بيتي ولكن يمنعني من ذلك بعد المسافة فمنزلكم

يا أبا محمد في الضواحي وهذا فيه مشقة علي فأنا أبحث عن مكان قريب من مكان دروسي ودوامي اليومي في الهيئة ..

ألحيت على الشيخ وألح الوالد ولكنه أصر على ذلك..

وكانت غايتنا أن نتشرف بوجوده في بيتنا فأي شرف مثل هذا الشرف!!." (١)

٢٥٧. "وصاغ ابن الرومي هذا الحديث الشريف في قوله:

عدوك من صديقك مستفاد ... فلا تستكثرن من الصحاب ... جج

فإن الداء أكثر ما تراه ... يحور عن الطعام أو الشراب

ج

ولعل من نافلة القول أن نسوق كلام الجاحظ في بسطه الخصائص الفنية لكلام رسول الله ﷺ وإن كان الجاحظ ممن لا يؤنس له ولا يرتاح لخلقه ومعتقده، ولكنه من المهرة في صناعة الكلام الأدبي.

يقول الجاحظ في بسط الخصائص الفنية لكلام الرسول الكريم - وفي هذا البسط يتجلى مفهوم الإبداع في الكلام النبوي الشريف بخاصة وفي الكلام الأدبي بعامة -.

وهو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عند الصنعة ونزه عن التكلف، وكان كما قال الله ﷻ: قل: يا محمد {وما أنا من المتكلفين (٨٦)} (١).

فكيف يكون كلامه متكلفا وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التقعير، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمه، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام مع استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السامع إلى معاودته لم تسقط له كلمة ولا زلت به قدم ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب ... إلى أن يقول الجاحظ في هذا المقام: لا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطئ ولا يعجل،

---

(١) رحلتي إلى النور المؤلف غير معروف ص/١٩٧

ولم يسمع الناس بكلام – قط – أعم نفعا ولا أقصد لفظا ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا ولا أفسح مبنى ولا أبين في فحوى من كلامه ﷺ (٢).

---

(١) سورة ص الآية (٨٦).

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ١٧ – ١٨.." (١)

٢٥٨. "واصفر وجه الرجل الغني ولم يستطع جوابا بعد أن أفحمه ذلك الشيخ، وعاد إلى بيته فاشلا مهزوما، أما الرجل الفقير فقد عاد إلى بيته مستبشرا ومسرورا، بعد أن فاز على خصمه وعاد إليه حقه بفضل حكمة ذلك الرجل وسرعة بديهته، وعدله في الحكم بين الخصمين.

••••

الحدأة والضيف

كان أحد الشيوخ معروفا بعراقة الأصل وطيب الأرومة والمحتد عزيزا في قومه، ولكنه كان فقير الحال معدما لا يملك من متاع الدنيا شيئا، وكانت له بندقية صيد من بنادق ذلك الزمان مهر على إصابة الهدف بها حتى أصبح يضرب به المثل في شدة التصويب وفي دقة الإصابة، وكثيرا ما كان يخرج للصيد فيصطاد بعض الطيور والحيوانات الصغيرة كالأرانب والحجل وما شابه ويعود بها إلى بيته فيقتاتون بها هو وعائلته، وكان في بعض الأحيان يعود خالي." (٢)

٢٥٩. "نصوص التوراة أثبت أنها منسوخة بالحجة والبرهان وأثبت أن يهود عصره لا يلتزمون بفقه التوراة في دقيق ولا جليل من شؤون حياتهم. والخلاصة أن السموأل أفحم يهود عصره ومن بعدهم تماما كما أفحمهم بن سلام في حضرة الرسول.

---

(١) خصوصية الإبداع في الشعر الإسلامي المعاصر دراسة نقدية تحليلية المؤلف غير معروف ص/١٠

(٢) حكايات من الصحراء المؤلف غير معروف ص/٥١

فاقت مؤلفات السموأل الثمانين، مما يدل على غزارة تأليفه، ولم تلق كتبه العناية التي تستحقها وقد خلف اجتهادات لم يسبقه إليها بشر ضمنها في كتبه التي نذكر منها كتاب المياه، وإعجاز المهندسين، والمفيد الأوسط في الطب وغاية المقصود في الرد على النصارى واليهود وغيرها.

وقد وافته المنية عام ٥٧٠هـ ودفن بالمراغة من أرض أذربيجان وذكر جمال الدين القفطي أن أولاده من بعده اشتغلوا بالطب وأن مدرسة والدهم في الطب ظلت قائمة بفضلهم بعد وفاته تحمل منهجه الذي اختطه في التعاطي مع الأمراض وابتكار الأدوية.

الشاعر المغربي عبد الرزاق جبران في ذمة الله

الاتحاد الاشتراكيالاتحاد الاشتراكي: ١٤ - ٠٨ - ٢٠١٢

الفقيد عبد الرزاق جبران لرفقة أصدقائه: عبد الحق لبيض، جبران، عبد الحق نجاح، شعيب حليفي، الشريشي لمعاشي، عبد الفتاح الحجمري .. على ظهر سفينة ابن بطوطة.." (١)

٢٦٠. "٢) العقلية الحجاجية: "كان لا يناظر أحدا إلا أفحمه، سريع البديهة، كان القرآن ومواقع الحجج على طرف لسانه عتيدة حاضرة. "يأتيه من يأتيه للإنكار عليه، فما ينصرف عنه إلا وقد سمع له وانقاد لقوله" (١٦).

٣) إضفاء الصبغة الشرعية على مذهبه: وذلك بالاستدلال بالقرآن والسنة على مسلكيته، وبهذا يقعد تصوفه على رسوم الأصلين الكتاب والسنة؛ كالجنيد وأبي طالب المكي حتى يؤصل اتجاهه ويجعله موصولا "بالمحققين من المتصوفة الذين تمتد أصول طريقتهم إلى أيام الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم" (١٧).

٤) حجية الكرامة الصوفية: ومن أدلتها أنه أصاب الناس قحط، فأمرهم أبو العباس بالصدقة أولا، ثم خرجوا بعد ذلك للاستسقاء. قال أبو الحسن علي بن أحمد الصنهاجي:" فلقينا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن جذع الجذامي، فنزل عن دابته

---

(١) موسوعة التراجم المغربية المؤلف غير معروف ١٢٩/١١

وسلم على الشيخ، فقال إلى أين خرجتم؟ فقلت: خرجنا نستسقي، فضحك بنا وقال: صدقتم هذا الشيخ الأحمق ارجعوا، فقلت له: أما أنا فلا يمكنني الرجوع، فتقدم أبو العباس وهو ينظر إلى السماء ويحرك شفتيه ثم قال لنا: قولوا سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم فإن الخلائق يرزقون بهذا، فكنا نقول ذلك ونرفع به أصواتنا، وأقمنا على ذلك ساعة ثم قال لنا: بادروا المطر وخذوا نعالكم بأيديكم، فضحك ابن الجذع وقال: هذا والله هو الحمق، يقول لكم هذا القول والشمس شديدة الحرارة! فقلت أما أنا فلا أكذبه، فأخذت نعلي بيدي، فوالله ما وصلنا باب الدباغين حتى غيمت السماء وانهمرت بالأمطار. فبقي ابن الجذع مذعورا فقال لأبي العباس: اغفر لي سيدي، فإني أتوب إلى الله تعالى مما ظننت بك. فقال له لن تقبل توبتك هكذا حتى تتصدق بشيء" (١٨).." (١)

٢٦١. "فأفحمهم بحجته، وأدركوا قدر مشيخته، فتشرفوا بمنحه إجازة لكل واحد منهما، بعد اقتناعهما بمؤهلاته العلمية.

ومن هنا يتبين أن الزاوية الناصرية صارت شهرتها تكتسح السهول والجبال، والمدن والقرى، فتزايد عدد زوارها، وهب المحبون للتبرك من أقطابها، حيث وجدوا في موسم الزاوية الناصرية السنوي الذي يقام في عاشر محرم ضالتهم وغذاءهم الروحي، مشفوعا كل ذلك بتلاوة القرآن والأذكار وختم صحيح البخاري، فصار لهذا الموسم صيت وسمعة تجاوزت الآفاق، وتعدت الحدود والأنفاق، فزاد استقطابه للمحبين في الله، وعن إطعام الطعام فحدث عن البحر ولا حرج، وعن الراحة وسعة الخاطر فطب نفسا وابتهج.

يجب أن نشير أنه من الوسائل التي أضفت زخما إلى الزاوية وتكاثر الوافدين عليها، سهولة التنقل التي عرفها العصر الحديث من تعبيد للطرقات، وتوفر وسائل النقل وتطورها، الشيء الذي ساهم بشكل كبير في تزايد إقبال الزوار على زيارتها في سابقة لم تشهدها الزاوية منذ تأسيسها، إضافة إلى سمعتها الطيبة التي لاح صداها في الأفق

(١) موسوعة التراجم المغربية المؤلف غير معروف ٥٦٣/١٧

مدويا.

لقد كانت وفادة الشيخ بناصر على الحضرة المولوية استجابة للرغبة الملكية وترحيب صاحب الجلالة سيدنا محمد السادس نصره الله بسيادته في القصر العامر الخاص بجلالته دام له النصر و التأييد والتمكين والسعد والإقبال في كل وقت وحين، يشكلان عنصرا هاما تحظى بطلعته الزاوية الناصرية في تجديد أواصر الأخوة المتواصلة والمودة المتبادلة بينها وبين الأسرة الملكية عبر العصور وتعاقب الأجيال، من عهد الشيخ سيدي احمد بناصر الخليفة والسلطان المولى إسماعيل ﷺ، إيذانا." (١)

٢٦٢. "هواجسه ليعلن للناس بعدها أنه اعتنق الإسلام، وليشرع في تأليف أجل كتاب في المناظرة بين الأديان وهو كتاب «بذل المجهود في إفحام اليهود» وما يزال هذا الكتاب مرجعا لا غنى عنه في المقارنة بين الأديان السماوية إلى يوم الناس هذا، فشموائيل الذي اعتنق الإسلام وصار اسمه السموأل بن يحيى لا يقبل المسلمات بل يسلط فكره الثاقب على كل القضايا ويناقشها ببصيرة الرياضي الممتلك للأدوات المنهجية الكفيلة بالتمييز بين سقيم الآراء وسليمها.

إن السموأل لا يقبل بالأبوة السلفية على حد تعبيره فالناس في اتباع أسلافهم سواء، لا فرق بين مسلم ومسيحي ونصراني يقول عن ذلك: «فأما الأبوة السلفية وحدها ليست بحجة، إذ لو كانت حجة لكانت أيضا حجة لسائر الخصوم الكفار كالنصارى فإنهم نقلوا عن أسلافهم».

فأول ما يوصل المرء للحق، كما يقول السموأل، أن يثبت صحة المصدر الذي يستمد منه أو فساده، ومن ذلك إثباته للإعجاز البياني في القرآن، فهو يقر بأنه كدارس للغة متبحر في علومها لا يسعه سوى أن يسلم بأن القرآن لا يكون كلام بشر بأي حال من الأحوال، ثم يعرض لذكر الأمور الغيبية التي أخبر بها القرآن ليزكي القول بإعجازه، فإذا خاض في نصوص التوراة أثبت أنها منسوخة بالحجة والبرهان وأثبت أن يهود عصره لا يلتزمون بفقه التوراة في دقيق ولا جليل من شؤون حياتهم. والخلاصة أن السموأل

---

(١) موسوعة التراجم المغربية المؤلف غير معروف ٤٨٥/٥

أفحم يهود عصره ومن بعدهم تماما كما أفحمهم بن سلام في حضرة الرسول.

فاقت مؤلفات السموأل الثمانين، مما يدل على غزارة تأليفه، ولم تلق كتبه العناية التي تستحقها وقد خلف اجتهادات لم يسبقه إليها بشر ضمنها في." (١)

٢٦٣. "سئل إبراهيم بن طهمان مرة في مجلس الخليفة فقال: لا أدري. فقالوا له: تأخذ في كل شهر كذا وكذا، ولا تحسن مسألة؟ فقال: إنما آخذ على ما أحسن، ولو أخذت على ما لا أحسن لفني بيت المال. فأعجب أمير المؤمنين جوابه وأمر له بجائزة فاخرة، وزاد في جرايته - راتبه (٣٨٢/٧).

حيلة من ذكي:

* حلف رجل عند شريك فقال : عليه كذا وكذا إن لم يكن شريك حدثه بكذا . فقال شريك : وأنا علي مثل الذي عليه - يعني من الثياب - إن كنت حدثته به . (٢١٥/٨).

* وغزا سعيد بن العاص طبرستان، فحاصرهم، فسألوه الأمان على أن لا يقتل منهم رجلا واحدا، فقتلهم كلهم إلا رجلا واحدا يعني نفسه.(١)

* ولما استعمل عمر المغيرة بن شعبة على البحرين كرهوه فعزله، فخافوا أن يرده، فقال دهقانهم: إن فعلتم ما آمركم لم يرده علينا. قالوا: مرنا. قال: تجمعون مائة ألف حتى أذهب بها إلى عمر فأقول إن المغيرة اختان هذا فدفعه إلي. فجمعوا له مائة ألف، وأتى عمر، فقال ذلك. فدعا المغيرة وسأله، فقال: كذب أصلحك الله، إنما كانت مائتي ألف، قال: فما حملك على هذا؟ قال: العيال والحاجة. فقال عمر للعلج: ما تقول؟ قال: لا والله، لأصدقنك. ما دفع إلي قليلا ولا كثيرا. فقال عمر للمغيرة: ما أردت إلى هذا؟ قال: الخبيث كذب علي، فأحببت أن أخزيه (٢٦/٣-٢٧).

سرعة البديهة:

* قدم وكيع مكة - وكان سمينا - فقال له الفضيل : ما هذا السمن يا وكيع وأنت راهب العراق ؟ فقال : هذا من فرحي بالإسلام . فأفحمه . (١٥٦/٩) .

---

(١) موسوعة التراجم المغربية المؤلف غير معروف ٥٩١/٦

* ويقال: إن رجلا أعمى تزوج امرأة قبيحة، فقالت له: رزقت أحسن الناس وأنت لا تدري. فقال لها: يا بظراء! أين كان البصراء عنك قبلي؟.(٢)

---

(١) تاريخ الإسلام (٣/٣٢٩).

(٢) نكث الهميان، ص ٦٧.." [1]

٢٦٤. "السفينة وماجت، فألقى الصندوق في البحر، ثم سكنت السفينة، فلما خرج منها أقام على الساحل ثلاثا يدعو الله، ثم سجد في الليلة الثالثة وقال: إن كان طلبي ذلك لوجهك وحب رسولك فأغثني برد ذلك، فرفع رأسه فإذا بالصندوق ملقى عنده، فقدم وأقام برهة، ثم قصدوه لسماع الحديث فامتنع منه، قال: فرأيت النبي ﷺ في منامي، ومعه علي ﷺ فقال النبي ﷺ: " يا علي! من عامل الله بما عاملك به على شط البحر، لا تمتنع من رواية أحاديثي " قال: فقلت: قد تبت إلى الله، فدعا لي، وحثني على الرواية. ذكره الخليلي في مشايخ القطان وقال: مات سنة نيف وتسعين ومائتين ٨٨\ ١٤

- قال أبو منصور الثعالبي في اليتيمة: سمعت الشيخ أبا الطيب يحكي: أن الأموي صاحب الأندلس، كتب إليه نزار صاحب مصر، كتابا سبه فيه، وهجاه فكتب إليه الأموي أما بعد: فإنك عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك، فاشتد هذا على العزيز وأفحمه عن الجواب، يشير أنك دعي لا نعرف قبيلتك ١٦٨\ ١٥

- قلت: تلاشى أمر العاضد مع صلاح الدين، إلى أن خلعه وخطب لبني العباس، واستأصل شأفة بني عبيد، ومحق دولة الرفض، وكانوا أربعة عشر متخلفا لا خليفة، والعاضد في اللغة أيضا القاطع، فكان هذا عاضدا لدولة أهل بيته ٢١٢\ ١٥

- وقال أبو سعد السمعاني في الأنساب: قال أبو بكر السدوسي: ولما ولدت دخل أبي على أمي فقال: إن المنجمين قد أخذوا مولد هذا الصبي وحسبوه، فإذا هو يعيش كذا وكذا، وقد حسبتها أياما، وقد عزمت أن أعد لكل يوم دينارا، فأعد لي حبا

---

(١) أنيس الفضلاء من سير أعلام النبلاء المؤلف غير معروف ص/١٤٨

وملأه، ثم قال: أعدي لي حبا آخر، فملأه استظهارا، ثم ملأ ثالثا ودفنهم، قال أبو بكر: وما نفعني ذلك مع حوادث الزمان، وقد احتجت إلى ما ترون. قال أبو بكر بن السقطي: رأيناه فقيرا يجيئنا بلا إزار، ونسمع عليه، ويبر بالشيء بعد الشيء ٣١٣\١٥." (١)

٢٦٥. "سار القاضي رسولا عن أمير المؤمنين إلى طاغية الروم، وجرت له أمور منها: أن الملك أدخله عليه من باب خوخة، ليدخل راكعا للملك، ففطن لها القاضي، ودخل بظهره، ومنها: أنه قال لراهبهم: كيف الأهل والأولاد؟ فقال الملك: مه! أما علمت أن الراهب يتنزه عن هذا؟ فقال: تنزهونه عن هذا، ولا تنزهون رب العالمين عن الصاحبة والولد! وقيل: إن الطاغية سأله: كيف جرى لزوجة نبيكم؟ – يقصد توبيخا – فقال: كما جرى لمريم بنت عمران، وبرأهما الله، لكن عائشة لم تأت بولد، فأفحمه. قال الخطيب: سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول: كل مصنف ببغداد، إنما ينقل من كتب الناس، سوى القاضي أبي بكر، فإنما صدره يحوي علمه وعلم الناس. مات في ذي القعدة سنة ثلاث وأربع مئة، وصلى عليه ابنه حسن، وكانت جنازته مشهودة، وكان سيفا على المعتزلة والرافضة والمشبهة، وغالب قواعده على السنة، وقد أمر شيخ الحنابلة أبو الفضل التميمي مناديا يقول بين يدي جنازته: هذا ناصر السنة والدين، والذاب عن الشريعة، هذا الذي صنف سبعين ألف ورقة، ثم كان يزور قبره كل جمعه ١٩٠\١٧

– أبو الطيب الطبري، الإمام العلامة شيخ الإسلام، القاضي أبو الطيب، قيل: إن أبا الطيب دفع خفا له إلى من يصلحه، فمطلة وبقي كلما جاء نقعه في الماء وقال: الآن أصلحه، فلما طال ذلك عليه قال: إنما دفعته إليك لتصلحه، لا لتعلمه السباحة ٦٦٩\١٧

– خرج صالح بن مرداس، ملك حلب فنازل المعرة يحاصرها ورماها بالمجانيق، فخرج إليه أبو العلاء يتشفع، فأكرمه وقال: ألك حاجة؟ قال: الأمير – أطال الله بقاءه –

(١) تسهيل الوصول لفوائد سير أعلام النبلاء المؤلف غير معروف ص/٢٣٤

كالسيف القاطع، لان مسه، وخشن حده، وكالنهار الماتع، قاظ وسطه، وطاب أبرداه}
خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين {(الأعراف ١٩٩ (فقال: قد وهبتك
المعرة، فأنشدنا من شعرك؟ فأنشده على البديه أبياتا وترحل صالح. كان لأبي العلاء
خلوة يدخلها للأكل ويقول: الأعمى عورة، والواجب استتاره، فأكل مرة دبسا، فنقط
على صدره منه، فلما خرج للإفادة قيل له: أكلتم دبسا؟ فأسرع بيده إلى صدره فمسحه
وقال: نعم، لعن الله النهم، فعجبوا." (١)

٢٦٦. "بالهدايا. وكفى المهدي له فرحا إذا قبل هديته.

ومنها نزول الرفقة في الوقت الذي أحب النزول فيه من غير أن يأمرهم به كما شاهد
من سافر معه، وكان يقول لا منة لأحد علينا، فمن أعطى شيئا إنما يريد أكثر منه.
ومنها كونه- تعالى-سيفا صارما من سيوف الله، لا يتعرض له بر ولا فاجر إلا قطعه.
ولذلك خاف الناس كلهم منه، فرهبوت خير من رحموت: أن ترهب خير من أن ترحم.
وأخباره في ذلك مشهورة كخبره مع بني ادليم لما تعرضوا له في طريق تودن وأخذوا سيفه
فاقتتلوا بينهم، وأغير على القوم الذين عندهم السيف وكان كل من كان السيف عنده
يقتل به حتى تركوه معلقا في شجرة، وكخبره مع الرجل الذي سلبه لما أطلق لسانه
بالكلام فيه. ومن عجائب أمره في ذلك أن من عطب من أجله يصير يعلم فلا يصحب
أحدا إلا عطب معه. وكخبره مع بعض فقراء الشيخ في المنام أتاه بهر أسود فقال أقتله
وضرب برأسه الجدار حتى مات، فما لبث ذلك الفقير أن سافر وهلك في الطريق
عطشا. وأخباره في ذلك كثيرة.

ومنها إذا وقع بصر أحد عليه اجتمع له فيه الحب والخوف. وكان الناس إذا سمعوا
بقدومه يحصل لهم الخوف حتى يلقونه (كذا) فيزول.

وكنت إذا وقع بصري عليه حصل لي من الخشية ما لم أقدره ووجدت في نفسي محبة
له وسرورا به. وما اجتمع الحب والخوف في قلبي لأحد من الأولياء إلا له، إنما كنت
أحب الولي ولا أخافه. وكان تعالى مهابا معظما عند الخاصة والعامة، فترى الجبابرة

---

(١) تسهيل الوصول لفوائد سير أعلام النبلاء المؤلف غير معروف ص/٢٣٩

واللصوص يخافون منه ومذلون له ويخضعون ويطيعونه فيما يريد ويسلمون منه.
ومنها استقامته مع الشريعة، فكان مسددا موفقا في القول والعمل، أعطي قدرة في الكلام فلا يناظره أحد إلا أفحمه في الجواب، حتى كأن." [١]

٢٦٧. "؛ فأطرق وجلس الرجل عنده وجلست، وجاء قوم فسلموا عليه فلم يرد عليهم، فجعلوا ينظرون اليه وقد درت اوداجه، فلم يلبث الا ساعة حتى انشدنا بأعلى صوته وأفحمه: ... نبئت .... (١) يغتابني ... عند الأمير وهل علي أمير
ناري محرقة وبيتي واسع ... للمعتفين ومجلسي معمور
فارتعدت والله فرائصي واقشعر جلدي وعظم في عيني جدا، حتى قلت في نفسي: الحمد لله الذي ابعدني من شرك.)) (٢).

مثل راوي الخبر جزءا من المادة الحكائية إلا أنه حفل بدور ثانوي ، دور الملاحظ لما يجري مع بشار، فكان عمل الراوي اشبه ما يكون بالعمل الآلي الذي عمد الى ترتيب الأحداث وسكبها للقارئ بشكل مرتب الاجزاء والمقاطع مصورا أفعال الشخصيات وحركاتها تصويرا دقيقا حين عرض لنا ردة فعل بشار اثر سماعه نبأ الذي سبه فنقل الراوي صورة مرئية لشخصية بشار وهو يطرق برأسه وقد امتلأت أوداجه دما غضبا وغيظا ممن سبه ما دعاه الى أن يهجوه هجاء فاحشا، فكان فعلا بمثابة العين والاذن اللتين سجلتا كل ما حدث من دون التدخل في ذلك كون السارد مجرد شاهد وليس عنصرا اساسا في الخبر لذا جاءت نظرته للأحداث نظرة ليست بمركزية.

---

(١) – ما لا يصح ذكره.
(٢) – الاغاني: ٣/ ١٩١.." [٢]

٢٦٨. "مناظراته ودفاعه عن العقيدة:
اشتهر أمر ابن تيمية وذاع صيته في العامة والخاصة وأصبح يشار إليه بالبنان وتعقد له

---

(١) فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور المؤلف غير معروف ص/٩٩
(٢) البنية السردية في كتاب الأغاني للأصفهاني المؤلف غير معروف ص/١٣١

المناظرات فلا يستطيع أحد أن يقف أمامه أو يناظره إلا أفحمه وقطع لسانه ومن هنا دب الحسد والحقد إلى قلوب مخالفيه وأعدائه وفي هذه الفترة بالذات وفي سنة ٦٩٨ ه يأتيه سؤال في العقيدة من حماة في مسألة صفات الله ﷻ فأجاب السائل في عدة كراريس وهي المعروفة اليوم بالرسالة ((الحموية)) جاء في أولها: " قولنا في الصفات ما." (١)

٢٦٩. "انت مجلة المنار سجلا تاريخيا لأحداث العالم الإسلامي طيلة أكثر من ثلث قرن ، وكان رشيد رضا هو المنار بتحليلاتها السياسية ، ودراساتها الشرعية ..
ولهذا فلقد كان يواصل الليل مع النهار من أجل أن تخرج المنار في مطلع كل شهر..
والعجيب أنها كانت تخرج كثيفة المحتوى ، كثيرة الفائدة ، وكان بعيد النظر في تعليقاته ومواقفه ، غزير المادة ، كما كان أسلوبه قويا متماسكا .
قال شكيب أرسلان :
(ويطول العهد بعد الأستاذ الأكبر السيد رشيد - فسح الله في أجله — حتى يقوم في العالم الإسلامي من يسد مسده في الإحاطة والرجاحة وسعة الفكر وسعة الرواية معا والجمع بين المعقول والمنقول والفتيا الصحيحة الطالعة كفلق الصبح في النوازل ،العصرية والتطبيق بين الشرع والأوضاع المحدثة مما لا شك أن الأستاذ الأكبر فيه نسيج وحده انتهت إليه الرئاسة لا يدانيه فيه مدان مع الرسوخ العظيم في اللغة والطبع الريان من العربية والقلم السيال بالفوائد في مثل نسق الفرائد والخبر بطبائع العمران وأحوال المجتمع الإنساني ومناهج المدنية وأساليبها وأنواع الثقافات وضروبها إلى المنطق السديد الذي لم يقارع به خصما مهما علا كعبه إلا أفحمه وألزمه ولا نازل قرنا كان يستطيل على الأقران إلا رماه بسكاته وألجمه . وأجدر بمجموعة (المنار) أن تكون المعلمة الإسلامية الكبرى التي لا يستغني مسلم في هذا العصر عن اقتنائها)(١)

---

(١) حاضر العالم الإسلامي : المجلد الأول ، الجزء الأول ، ؟ ٢٨٤ والسيد رشيد رضا

---

(١) لمحات تاريخية من حياة ابن تيمية ناجي بن دايل السلطان ١٢٥/٥

أو إخاء أربعين سنة تأليف شكيب أرسلان ، ص ١٥ ، مطبعة ابن زيدون بدمشق .." (١)

٢٧٠. "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، والفقهاء أفضل من العابدين . بل فقيه واحد ، أشد على الشيطان من ألف عابد ، والتفاضل ليس بشجاعة الشجعان ، فليس الأسد أفضل من الإنسان ، والإنسان لا يراد منه المصارعة ، بل المحاجة بالدليل والمقارعة ، وليس المدح بقوة البنيان ، وهل عظمت بقوة أجسامها الثيران ، ولكن العبد يراد منه الفهم ، ويفضل بالعلم ، فإذا فقه الحجة ، وعرف المحجة ، نال السعادة الأبدية ، والفضيلة السرمدية ، وقد عير الله أعداءه بعدم الفقه في آياته ، ووصفهم بسوء الفهم لبيناته . وقد وصف المنافقون بضخامة الأجسام ، والتشدق في الكلام ، لكنهم ذموا بالفهم السقيم ، ووصموا بالرأي العقيم ، فقد حرمهم الله نور البصيرة ، لخبث السريرة ، ولسوء السيرة ، فليس التمايز بكثرة المال ، ولا بصفة الجمال ، ولا بكمال القوه ، ولا بتمام القوه ، إنما التمايز بتفاضل العقول ، في سوق الرد والقبول . فهنيئا لمن ترك العنق في سيره ونص ، واستنبط من النص ، فإن تقليب البصيرة في صفحات الأدلة ، من أعظم حسنات خدام الملة ، وإن تحديق القلب في مناجم الآثار ، من أفضل أعمال الأبرار ، وهل فاق وبز ، إلا من بالوحي اعتز ، فليس العلم بكثرة الرواية ، ولكنه بالفقه والدراية، وليس الفقه كلاما يحفظ ، ولا جملا تلفظ ، بل فهم عن الله وعن رسوله ، ومعرفة القول بدليله ، وليس الفقه حكاية آراء الرجال ، وجمع القيل والقال ، بل الفقه معرفة مقاصد الشريعة ، واستنباط المعاني البديعة . وانظر لابن عباس ، كيف بز الناس ، لما دعا له بالفقه في الدين ، سيد المرسلين ، ولما تكلم الزنادقة ، والفرقة المارقة ، في أصحاب الحديث ، واستهزؤوا بسعيهم الحثيث ، وقالوا : إنهم ينقلون أحاديث ليس لها معاني ، ولا تقوم على مباني ، مثل يا أبا عمير ، ما فعل النغير ، تصدى لهم محمد بن إدريس ، فاستنبط كل معنى نفيس ، فأفحمهم ، وفي كل بلاء أقحمهم ، وقيل لابن عباس ، في." (٢)

---

(١) محمد رشيد رضا عبد الناصر بن خضر ميلاد ص/١٣

(٢) مقامات القرني عائض القرني ٤/ ٨٠

٢٧١.   "بين الحقول والأغصان

وصلي جيرتي وأحبابي

وقصي عليهموا ما دهاني

هل بكاني هزارها هل رثاني

طيرها هل شجاه ما قد شجاني

ليت للروض مقلة فلعل الدهر

يبكيه مثلما أبكاني

وقد ذكر الذهبي في النبلاء ، في سيرة همام بن منبه أحد العلماء ، أن رجلا من قريش ، صاحب سفاهة وطيش ، قال لأحد أهل اليمن ، وكان اليمني ثقة مؤتمن : ما فعلت عجوزكم قال : عجوزنا بلقيس أسلمت مع سليمان لله رب العالمين ، وعجوزكم يا قرشي حمالة الحطب دخلت النار مع الداخلين ، فغلب القرشي وأفحمه ، وفي كل كرب أقحمه . والمتنبي شاعر المعاني ، أثنى على السيف اليماني ، فقال في نونية رائعة ، وفي قصيدة ذائعة :

برغم شبيب فارق السيف كفه

وكانا على العلات يصطحبان

كأن رقاب الناس قالت لكفه

رفيقك قيسي وأنت يماني

وذكروني بشاعر معاصر وإليه ردوني ، أعني به شاعركم عبد الله البردوني ، حيث يقول مخاطبا الرسول -ﷺ- :

نحن اليمانين يا طه تطير بنا

إلى روابي العلا أرواح أنصار

إذا تذكرت عمارا وسيرته

فافخر بنا أننا أحفاد عمار

وقد رفعتم رؤوس العرب ، لما انتصر سيف بن ذي يزن وغلب ، على أبرهة حامل الكذب ، فزارتكم الوفود بما فيهم عبد المطلب ، فأشاد بكم أمية بن أبي الصلت في لامية عصماء ، أبهى من نجوم السماء يقول :

اجلس برفق عليك التاج مرتفعا

تلك المكارم لا قبعان من لبن

بقصر غمدان دار منك محلالا

شيبا بماء فعادا بعد أبو الا

وأطعتم معاذ بن جبل ، ورفعتموه في المحل الأجل ، ونصرتم علي بن أبي طالب ، صاحب المناقب والمواهب ، فقال :

ولو كنت بوابا على باب جنة

لقلت لهمدان ادخلوا بسلام." (١)

---

(١) مقامات القرني عائض القرني ٥/٥٤

٢٧٢. "إلى أن رجعت في محرم سنة خمس وتسعين فقرأ علي قليلا وكذا على البدر حسن الأعرج في المنهاج والشمس النوبي في النحو وغيره، وباشر الخطابة وظيفته ووظيفة أخيه بالباسطية وتزوج وولد له والله يصلحه.

٨٩٩ - زين العابدين بن علي بن محمود بن العادل سليمان الأيوبي أخو أيوب الماضي / وانه آخر ملوك الحصن من بني أيوب وقتل في سنة ست وستين.

٩٠٠ - زين العباد بن فخر الدين بن جلال بن أحمد فضل الواسطي. / مات سنة ثمان وثلاثين.

٩٠١ - زين قرا بن الرماح / كتب عنه شيخنا الزين رضوان شعرا للشافعي في صناعة الرمي بالنشاب

(حرف السين المهملة)

٩٠٢ - ساسي الكلاعي القائد /.

٩٠٣ - سالم بن إبراهيم بن عيسى الصنهاجي المغربي المالكي. رأيته فيمن عرض عليه ابن أبي اليمن بمكة وكأنه الذي ولد بمشدالة بعد السبعين وسبعمائة تقريبا ونشأ ببجاية واشتغل بتونس إلى أن فضل وارتحل فوقع في أسر الكفار سنة أربع وثلاثين وثمانمائة وناظر الأساقفة ببلادهم فأفحمهم ودام عنهم مدة ثم أخرجوه، وسمع بالحجاز ومصر وغيرهما كدمشق ومن محفوظاته الشفا وولي قضاء المالكية بدمشق ثم قضاء القدس ثم عاد إلى الشام وسار في ذلك كله سيرة حسنة بحرمة وصرامة وكلمة نافذة وعفة ونزاهة، وحدث ودرس وأفتى، وكنت جوزت أن يكون الزواوي الآتي وانه توفي سنة ثلاث وسبعين ثم استبعدت ذلك

سالم بن أحمد الحنبلي القاضي في سالم بن سالم بن سالم بن إسماعيل بن الحسن البابي ثم الحلبي ثم محمد

٩٠٤ - سالم بن خليل بن إبراهيم الزين العبادي القاهري الحنفي. نشأ فقيرا مقلا وصحب أزبك الظاهري جقمق قديما ولازم خدمته وأم به، بل كان معه ببيت المقدس فراج أمره وصار هو المرجوع إليه عنده حتى تمول كثيرا وضخم واشتهر ذكره، وأضيف

إليه من الجهات الدينية والمرتبات ما يفوق الوصف، ومن ذلك خزن كتب المحمودية مع عقل وسكون واحتمال وإقبال وتواضع وتوابع وقد تكرر حجه مرارا منها في سنة ثمان وتسعين موسميا ليكون نظره على ولد الأمير حين كونه أمير الأول وعلى زوجته خوند ابنة الظاهر والله تعالى يحسن عاقبته.

٩٠٥ – سالم بن ذاكر بن محمد بن عبد المؤمن بن محمد بن ذاكر بن عبد المؤمن بن أبي المعالي بن أبي الخير بن ذاكر الكازروني الأصل المكي المؤذن الصائغ والد محمد وعلي وعبد العزيز. / سمع من الإمام أبي اليمن الطبري قطعة من أول الموطأ لابن." (١)

٢٧٣. "الفاسي ولم يسم جده وقال بلغني عنه أنه سمع بالقاهرة على أبي البقاء السبكي بعض الصحيح فالله أعلم. وذكره التقي بن فهد في معجمه وسمى جده وأورد عنه حديثا وكان استقراره في المشيخة فيما قيل بعد أحمد الدوري خال محمد البيسق ولذا لما مات هذا وتلقاها عنه علي بن أمد بن فرج الطبري ثم مات تلقاها عنه ال. محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن سليمان الشمس الجوجري ثم الخانكي الشافعي والد علي الماضي ويعرف بالجوجري. ولد سنة ثلاث عشرة وثمانمائة تقريبا بجوجر ثم تحول مع أبيه وكان فقيرا إلى خانقاه سرياقوس فنزل وتسبب الأب بالعلاقة وغيرها وحفظ هو القرآن وجانبا من التنبيه بواسطة انتمائه لشريفين أعجميين أخوين كانا نازلين بها اسمهما علي ومحمد فكان يقرأ عليهما في الفقه وغيره وتدرب بهما في الطلب ومعرفة اللسان العجمي ولازم خدمتهما حتى انفصلا عنها إلى الحرمين ثم اختص بعلي الخراساني حين استقر به سودون من عبد الرحمن في مشيخة مدرسته بها وبصاحب الترجمة في مباشرتها وزاد بينهما الاختصاص سيما حين ترقيه بالحسبة ونظر الخانقاه ومشيختها وتكلم عنه في الخانقاه بل كان هو المستبد بها وبابن المحب بن الأشقر لذلك)

وامتنع من مباشرة حسبتها وكذا اختص بقانم التاجر وألزمه جانبك الجداوي بالتكلم عنه في الخانقاه، ثم بعده باشرها عند الشهابي بن العيني إلى أن استقل بالنظر بعد موت الشريف علي الكردي وقام في أمرها وتنمية وقفها وعمارته وناكد كثيرا من مستحقيها،

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع سامي محمد ٢٤٠/٣

وكذا تكلم عن قانم وغيره في الشيخونية والصرغتمشية والبيمارستان وعن قجماس في البرقوقية وامتنع من ذلك أيام الأمشاطي مع اختصاصهما ولا زال في ترق من المال والدور بالخانقاه وغيرها وكثرة الجهات مع مزيد إقدامه وكثرة كلامه وميله إلى الغلظة وتمام التجبر واتفق أن أخا له اسمه إبراهيم ضعف فنقل إلى علية ببيت هذا مما كان اللائق خلافه فلم يلبث أن ألقى نفسه من كوة إلى أسفل فمات ورام الملك التعرض له بسببه فدوفع. وربما مال للفقراء والفضلاء بحيث خطب الشرف عبد الحق السنباطي لتزويج ابنته من ابنه أخي البلبيسي وانتفع الشرف من قبله في حياته وبعدها. ولم يخل من فضيلة سيما ويذكر أنه حضر عند القاياتي والشرواني وكذا أخذ عن المناوي والوروري وتزوج بابنته وتكدر أبوها منه وكذا تزوج بابنة ابن الشيخ علي المحتسب وبابنة أخي السراج البلبيسي وكانت بينهما كلمات أفحمه هذا فيها وأخذ عن البوشي وغيرهم وكان مما أخذه عن البوشي في الفقه وقرأ على السنهوري في العربية مع حسن الخط وامتحن في أيام الأشرف قايتباي مرارا أولها وتجلد وتهدد بالمرافعة والمكافحة وغير." (١)

٢٧٤. "قال المبرد: كان الجرمى أثبت القوم فى كتاب سيبويه، وعليه قرأت الجماعة، وكان عالما باللغة، حافظا لها، وله كتب انفرد بها، وكان جليلا فى الحديث والأخبار، وله كتاب فى السيرة عجيب.

قال ابن قادم: قدم أبو عمر الجرمى على الحسن بن سهل، فقال لى الفراء: بلغنى أن أبا عمر الجرمى قدم، وأنا أحب أن ألقاه. فقلت له: فإنى أجمع بينكما. فأتيت أبا عمر فأخبرته، فأجاب إلى ذلك، وجمعت بينهما، فلما نظرت إلى الجرمى قد غلب الفراء وأفحمه، ندمت على ذلك. قال ثعلب: قلت له: ولم ندمت؟ فقال: لأن علمى علم الفراء، فلما رأيته مقهورا قل فى عينى، ونقص علمه عندى.

مات الجرمى فى سنة خمس وعشرين ومائتين. وكان أبو عمر فقيها فى الدين.

وله فى النحو كتاب جيد يعرف بالفرخ، معناه فرخ كتاب سيبويه.

وكان أغوص على الاستخراج من المازنى. وكان المازنى أخذ منه. وإليه وإلى المازنى انتهى

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع سامي محمد ١٩٢/٨

علم النحو فى زمانهما.

واجتمع الأصمعى والجرمى، فقال الأصمعى: يا أبا عمر، كيف تنشد قول الشاعر «١»:

قد كن يخبأن الوجوه تسترا ... فاليوم حين بدين «٢» للنظار «٣»." (١)

٢٧٥. "وكان عبيد الله بن سليمان الوزير قد وجه إلى ثعلب فى الاختلاف إلى ولده القاسم، فأبى عليه فقال: تنفذ إلى بعض أصحابك [١]، فوجه إليه بهارون الضرير، فاستحضر عبيد الله بن سليمان، الزجاج وقال له: أريد أن أصطفى أفضلكما فى العلم، فتساءلا.

فقال الزجاج لهارون: كيف تقول: ضربت زيدا ضربا؟ فقال له: ضربت زيدا ضربا، فقال له: كيف تكنى عن زيد [وعن [٢]] الضرب! فأفحمه ولم يجبه.

وصار فى يده، وانقطع انقطاعا قبيحا، فوجد عبيد الله بغيته، ونال محبته فى ثعلب- وكان عاتبا عليه فى شىء بلغه عنه- وصرف هارون، واحتبس الزجاج مكايدة لثعلب حتى بلغه أفضل مبالغ النحويين.

وجواب هذه المسألة: «ضربته إياه»، وهذا من أول النحو؛ وما كان هارون ليذهب عليه ذلك؛ ولكن إذا أراد الله أمرا فلا مرد له.

وحضر [٣] هارون الضرير هذا يوما فى أيام الجمعة فى الجامع الغربى بمدينة السلام، فأتاه ضرير بصرى، فسأله عن مسألة فأجاب عنها على مذهب الكوفيين، فقال له البصرى: أخطأت، فضربه بعكازه فأدماه؛ فاستغاث البصرى بالسلطان، فأتى شرطى فقبض عليه؛ وصار به إلى مجلس المجاشعى صاحب الشرطة- وكان قد استخلف على الشرطة رجلان من العجم- فقال له: ما تقول؟ فقال: كنت [جالسا [٤]] أفتى الناس فى علوم القراءات والنحو واللغة؛ فأتانى ضرير سيئ الأدب، وسألنى عن مسألة، فأجبته عنها، فتجهم لى الجواب بالتخطئة، فأدبته مجازاة له على سوء فعله؛ فبينما أنا على حالى إذ أتانى آت فقال: السلطان يدعوك؛ فقال له العجمى: وأنت يا بن الزانية

---

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة أحمد قبش ٨١/٢

ضربتني مرة! ودعا له بالدرة فضربه بها ثلاثين، وحبسه. فلما وقف المجاشعي على خبره أطلقه، وأنكر على العجمى ما كان فيه.

---

[١] الخبر فى طبقات الزبيدى.

[٢] من طبقات الزبيدى.

[٣] الخبر أيضا فى طبقات الزبيدى.

[٤] من طبقات الزبيدى.." (١)

٢٧٦. "قرأت بخط نجا بن احمد وذكر أنه نقله من خط أبي الحسين الرازي في تسمية من كتب عنه في قرى دمشق أبو الحارث نشبة بن حندج وذكر باقي نسبه كما في الترجمة في الغوطة في قرية يقال لها قصر بني عمر سنة خمسين وثلاثمائة والصواب من القولين في نسبه ما قاله أبو الحسين الرازي وتمام ابنه أخطأ فيه بلاشك ذكر من اسمه نصر الله "

٧٨٤٥ - نصر الله بن الحسن بن علوان أبو نصر الربعي الهيتي (١) الشاعر (٢) سكن دمشق وكان يتفقه على مذهب الشافعي وماله (٣) ثم مرض مرضة أضنى فيها ثم أبل منها فدخل في التخوم وبلغني عنه أنه سمع بعض الرافضة يذكر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) نص على علي بالخلافة يوم غدير خم وأن الصحابة لم ينفذوا ذلك بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال له العجب إن أبا بكر الصديق لما نص على عمر بن الخطاب (٤) ثم لم يختلف فيه اثنان والنبي (صلى الله عليه وسلم) لما نص على علي لم يقبل نصه أفكان أمر أبي بكر أنفذ من أمر رسول الله (٥) (صلى الله عليه وسلم) فأفحمه قرأت من شعره بخطه * أعندك ضنى إن عراك صدود عسى إن أيام الوصال تعود وتمنح بعد المنع سلمى ودادها * وتلغي دخول بيننا وحقود فلا يسقي البحر المبرح بالفتى * ولا أحضر يوما للقطيعة عود أتذكر ما قال الوشاة محرضا * وننسى مواثيق لنا عهود لئن عاد لي ماضي ليالي بالحما * وأيام سعدي إنني لسعيد وأصبح ما قدرت من

---

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة أحمد قبش ٣/٣٦٠

حسن عهدنا * وما أخلق البحران وهو جديد

---

(١) بكسر الهاء وسكون الياء نسبة إلى هيت بلدة فوق الانبار من أعمال بغداد (الانساب) وهيت أخرى: قرية من قرى حوران من ناحية اللوى من أعمال دمشق ومنها نصر الله الشاعر المذكور صاحب الترجمة (معجم البلدان)

(٢) ترجمته في معجم البلدان (هيت) ٥ / ٤٢١ وخريدة القصر: قسم شعراء الشام ١ / ٢٣٠ والاعلام للزركلي ٧ / ٢٢ وجاء فيه: " نصر "

(٣) كذا رسمها بالاصل وم " ز "

(٤) بياض بالاصل وم و " ز "

(٥) ما بين معكوفتين سقط من الاصل وم والمثبت عن " ز "." [١]

٢٧٧. "إسحاق الكاتب نا سعيد بن منصور قال قدم وكيع مكة حاجا فرآه الفضيل بن عياض وكان وكيع سمينا فقال الفضيل ما هذا السمن وأنت راهب العراق فقال له وكيع هذا من فرحتي بالأسلام فأفحمه أنبأنا أبو علي الحداد أنا أبو نعيم الحافظ (١) نا إبراهيم بن عبد الله نا محمد بن إسحاق قال سمعت أبا السائب سلم (٢) بن جنادة يقول جالست وكيع بن الجراح سبع سنين فما رأيته بزق ولا رأيته مس والله حصاه بيده ولا رأيته مجلس مجلسه فتحرك وما رأيته إلا مستقبل القبلة وما رأيته يحلف بالله أخبرنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة نا أبو بكر الخطيب أخبرنا محمد بن الحسن ابن أحمد الأهوازي حدثنا محمد بن إسحاق القاضي نا سعيد بن جعفر حدثنا أبو عثمان الوراق قال اجتمع أصحاب الحديث عند وكيع قال وعليه ثوب أبيض فأنقلبت المحبرة على ثوبه فسكت مليا ثم قال ما أحسن السواد في البياض أخبرنا أبو منصور بن خيرون أنا وأبو الحسن بن سعيد نا أبو بكر الخطيب (٣) أنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل أنا عثمان بن أحمد الدقاق أنا محمد بن أحمد بن البراء نا أحمد بن محمد أخبرني بعض أصحابنا عن وكيع بن الجراح قال أغلظ رجل لوكيع بن الجراح فدخل وكيع بيتا فغفر

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر - ٨/٦٢

وجهه في التراب ثم خرج إلى الرجل فقال أزاد وكيعا بذنبه فلولاه ما سلطت عليه قال (٤) وأخبرنا محمد بن أبي علي الأصبهاني نا محمد بن إسحاق القاضي بالأهواز نا عيسى بن سليمان وراق داود نا داود (٥) قال سمعت إبراهيم بن الشماس يقول لو تمنيت كنت أتمنى عقل ابن المبارك وورعه وزهد ابن فضيل ورقته وعبادة وكيع وحفظه وخشوع عيسى بن يونس وصبر حسين الجعفي صبر ولم يتزوج ولم يدخل في شئ من أمر الدنيا

---

(١) رواه أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء ٨ / ٣٦٩

(٢) الأصل وم و " ز ": سالم تصحيف والمثبت عن حلية الأولياء

(٣) رواه أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد ١٣ / ٥٠٣

(٤) القائل: أبو بكر الخطيب والخبر في تاريخ بغداد ١٣ / ٥٠٣ وتهذيب الكمال ١٩ / ٤٠٣ من طريق داود بن رشيد

(٥) ما بين معكوفتين سقط من الأصل وم واستدرك لتقويم السند عن " ز " وتاريخ بغداد." (١)

٢٧٨. "فأجابته * لأن الله علقه فؤادي * فحاز الحب دونكم الحبيب * فقال الأحوص * خليلي لا تلمها في هواها * ألذ العيش ما تهوى القلوب * قال فأضرب عنها ابن حسان وخرج ممتدحا ليزيد بن معاوية فأكرمه وأعطاه فلما أراد الانصراف قال له يا أمير المؤمنين عندي نصيحة قال وما هي قال جارية خلفتها بالمدينة لامرأة من قريش من أجمل النساء وأكملهم ولا تصلح إلا أن تكون لأمير المؤمنين وفي سماره فأرسل إليها يزيد فاشتريت له وحملت إليه فوقعت منه موقعا عظيما وفضلها على جميع من عنده وقدم عبد الرحمن المدينة فمر بالأحوص وهو قاعد على باب داره وهو مهموم فأراد أن يزيده على ما به فقال * يا مبتلى بالحب مفدوحا * لاقى من الحب تباريحا أفحمه (١) الحب فما ينثني * إلا بكأس الحب (٢) مصبوحا وصار ما يعجبه مغلقا * عنه وما

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر - ٨١/٦٣

يكره مفتوحا قد حازها من أصبحت عنده * ينال منها الشم والريحا خليفة الله فسل الهوى * وعز قلبا منك مجروحا * فأمسك الأحوص عن جوابه ثم إن شابين من بني أمية أرادا (٣) الوفادة إلى يزيد فأتاهما الأحوص فسألهما أن يحملا له كتابا ففعلا وكتب إليهما معهما * سلام ذكرك ملصق بلساني * وعلى هواك تعودني أحزاني ما لي رأيتك في المنام مطيعة * وإذا انتبهت لججت في العصيان أبدا محبك ممسك بفؤاده * يخشى اللجاجة منك في الهجران إن كنت عاتبة فإني معتب * بعد الإساءة فاقبلي إحساني لا تقتلي رجلا يراك (٤) لما به * مثل الشراب لغلة الظمآن

---

(١) كذا بالاصل و " ز " وفي الاغاني: ألجمه

(٢) كذا بالاصل و " ز " وفي الاغاني: الشوق

(٣) بالاصل " ز ": أراد والمثبت عن الاغاني

(٤) بالاصل و " ز ": رآك والمثبت عن الاغاني." (١)

٢٧٩. "إذا قال لاقى ذا الفصاحة فأفحمه، وإذا تكلم ملكت ذا العلم كلماته فيقول: ما أعلمه! أنعم بمعناه، الذي أنعم في مغزاه.

قال المظفر بن حماد: بيت أبي الجبر ثوب هو طرازه، فتعين علي إكرامه وإعزازه.

ما برح في الغراف من بحر المظفر غرافا بمناه مظفرا وصار بتبر شعره للجين لهاه صرافا، على مدحه متوفرا.

لازم الوطن، وأذكى فيه الفطن. ولم يمدح أحدا يستجديه، واقتصر على ما مدح به أهله وذويه.

قال ابن الباسيسي: إنه توفي بالغراف سنة سبع وأربعين وخمس مئة.

ذكره لي القاضي الصديق عبد المنعم، بن مقبل، الواسطي بها، في محرم سنة خمسين وخمس مئة، وقال: كنت انحدرت إلى الغراف في شغل فلقيته هناك وكتب منه قصائد. منها، في مدح المظفر بن حماد:." (٢)

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر - ٢٢٩/٦٩

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر (ط المجمع العلمي) ٥٤٨/٥

٢٨٠. "٢١٣ - كتاب عمران بن حطان إلى الحجاج

وروى صاحب الأغانى قال:

«لما دخلت غزالة الحرورية (١) على الحجاج هى وشبيب الكوفة، تحصن منها وأغلق عليه قصره، فكتب إليه عمران بن حطان (٢) - وقد كان الحجاج لج فى طلبه- قال:

أسد على وفى الحروب نعامة ... ربداء تجفل من صفير الصافر (٣)

هلا برزت إلى غزالة فى الوغى ... بل كان قلبك فى جناحى طائر

صدعت غزالة قلبه بفوارس ... تركت كتائبه كأمس الدابر (٤)

ثم لحق بالشام فنزل على روح بن زنباع». (الأغانى ج ١٦: ص ١٥٠)

---

(١) يسمى الخوارج بالحرورية نسبة إلى حروراء، وهى قرية بظاهر الكوفة، سماهم بذلك الإمام على كرم الله وجهه، وذلك أنه لما رجع من صفين إلى الكوفة اعتزله جماعة ممن رأوا التحكيم ضلالا ونزلوا حروراء، فسار إليهم وناظرهم فأفحمهم، فرجع معه بعضهم، فقال لهم على: ما نسميكم؟ ثم قال أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء- الكامل ٢: ١٢٩ - .

(٢) أحد رءوس الخوارج الصفرية.

(٣) الربدة كجمرة: لون إلى الغبرة، وهو أربد، وهى ربداء وجفلت النعامة: كضرب وقعت وأجفلت: أسرعت وذهبت فى الأرض.

(٤) فى الأغانى «تركت مدابره» وقد وردت هذه الأبيات فى العقد الفريد ج ٣: ص ١٧، وروايته للبيت الثالث:

صدعت غزالة جمعه بعساكر ... تركت كتائبه كأمس الدابر." (١)

٢٨١. "٤٠٦- خالد بن صفوان وبلال بن أبي بردة:

قال أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي: كان بلال بن أبي بردة١ جلدا حين ابتلي، أحضره يوسف بن عمر في قيوده، لبعض الأمر، وهم بالحيرة؛ فقام خالد بن

---

(١) جمهرة رسائل العرب في عصور العربية ١٧٩/٢

صفوان، فقال ليوسف: "أيها الأمير، إن عدو الله بلالا ضربني وحبسني، ولم أفارق جماعة، ولا خلعت يدا من طاعة"، ثم التفت إلى بلال فقال: "الحمد لله الذي أزال سلطانك، وهد أركانك، وأزال جمالك، وغير حالك، فوالله لقد كنت شديد الحجاب، مستخفا بالشريف، مظهرا للعصبية٢".

فقال بلال: "يا خالد، إنما استطلت علي بثلاث، هن معك علي، الأمير مقبل عليك، وهو عني معرض؛ وأنت مطلق، وأنا مأسور؛ وأنت في طينتك وأنا غريب"، فأفحمه.

وكان سبب ضرب بلال خالدا في ولايته، أن بلالا مر بخالد في موكب عظيم، فقال خالد: سحابة صيف عن قليل تقشع٣، فسمعه بلال، فقال: والله لا تقشع أو يصيبك منها شؤبوب٤ برد، وأمر بضربه وحبسه.

"زهر الآداب ٣: ١٩٠"

---

١ هو بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري

٢ وكان أصله من العرب اليمانين.

٣ تنكشف وتتفرق.

٤ الشؤبوب: الدفعة من المطر.." (١)

٢٨٢. "وأخراها القيطون في خمس مقامات

منسوجة على منوال الحريري فاستغربتها، قال: ووجدت طائفة من بني أعمامه يقولون إن

هاتين الرسالتين للحكيم زبرقي الذي ورد جونبور في عصر القاضي شهاب الدين الدولة آبادي وعارضه في بعض المسائل، وكان من فحول العلماء، فجاء الشيخ محمد الأعظم جده

بتلك الرسالتين من جونبور وتوارثت في أولاده فتناولهما إله داد ونسبهما إلى نفسه، انتهى.

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ٢/٤٢٧

وقال الخوافي في لب اللباب: إن أكبر شاه صاحب الهند لما خرج إلى جونبور وقصد خان
زمان خان مر على مدينة لكهنو، وبعث الشيخ عبد النبي الكنكوهي ليلاقي الشيخ إله داد
ويختبره في العلم، فأقر له عبد النبي بالفضل والكمال واشتاق أكبر شاه إلى لقائه، فأبى أن
يحضر لديه فلقيه الملك في الجامع حين أتى للصلاة وولاه الإفتاء ولم يسعه إلا القبول، وذلك
سنة ثمانين وتسعمائة فاستقل به إلى مدة حياته، انتهى.

وله رسالة أخرى في النحو سماها القطبي وقد تجشم فيها إيراد الأمثلة في ضمن التعريفات.

توفي سنة إحدى وتسعين وتسعمائة، كما في با غ بهار.

مولانا إله داد الأمروهوي

الشيخ الفاضل إله داد الحنفي الأمروهوي، أحد العلماء المشهورين، ذكره البدايوني وقال:
إنه كان عالما خفيف الروح، مزاحا بشوشا مليح البحث، حلو الكلام حسن المحاضرة، غير
محافظ على آداب الشرع، ولم يكن في زي العلماء، وكان كثير المجون والفكاهة، دخل في
الجندية في عهد أكبر شاه.

ومات سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة في السفر، فدفن بسيالكوث ثم نقل جسده إلى أمروهه.

مولانا إلياس الأردبيلي

الشيخ الفاضل المنجم إلياس بن أبيه الأردبيلي الفاضل المشهور، كان يرجع إليه في أنواع

العلوم، لا سيما الهيئة والهندسة والنجوم وسائر الفنون الرياضية، استقدمه همايون شاه التيموري من بلاده فلقيه بكابل عند رجوعه عن سفر إيران، فأجزل عليه الصلات والجوائز

وأقطعه أرضا تحتوي على قرى عديدة من ناحية موهان في بلاد أوده وقربه إلى نفسه وقرأ

عليه درة التاج للعلامة قطب الدين الرازي، فحسده الناس وتحيل عليه مولانا أويس الكواليري في المناظرة مرة، فأفحمه عند أكبر شاه بن همايون التيموري، وقرأ العبارات الكثيرة مستندا إلى الكتب، وكان أويس غير مامون في النقل فلم يتفطن له الأردبيلي فاستحى من ذلك وذهب إلى ضيعته في موهان، ثم ترك العروض والعقار وذهب إلى كجرات ثم إلى مكة المباركة ثم إلى إيران، واستقر في بلدة أردبيل ولم يفارقها حتى مات فيها، ذكره البدايوني.

مولانا أمان الله السرهندي

الشيخ الفاضل أمان الله بن غازي السرهندي، أحد العلماء المبرزين في العلوم العربية، حفظ القرآن الكريم، وقرأ العلم على الشيخ بدر الدين السرهندي، ولازمه مدة طويلة حتى

برع في العلم وفاق أقرانه، وكان شاعرا خطاطا ماهرا بالإيقاع والنغم، صوفيا مستقيم الحالة، مات ودفن بسرهند.

السيد أمين الدين الكجراتي

الشيخ الصالح أمين الدين بن جمال الدين الحسيني الرفاعي الكجراتي، أحد المشايخ المشهورين، أخذ العلم والطريقة عن أبيه وعن غيره من العلماء، وصرف عمره في نشر العلوم

والمعارف، مات لثلاث عشرة خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة بقرية

بتهري، ذكره عبد الجبار الآصفي في تاريخ الدكن.

الشيخ أولياء بن سراج الكالبوي

الشيخ الصالح أولياء بن سراج بن عبد الملك الحنفي الصوفي الكالبوي، أحد الرجال المشهورين، كان تقيا متورعا سخيا، انتقل من كالبي إلى أجين فسكن بها زمانا، ثم سافر إلى
الحرمين الشريفين وله سبعون سنة، فحج وزار ومات بها، ذكره محمد بن الحسن في كلزار
أبرار.." (١)

٢٨٣. "والتلقين مدة من الزمان، ولما قدم عبد الله النيازي السرهندي من سفر الحج وسكن بمدينة
بيانه خارج البلدة، وكان من كبراء الطائفة المهدوية، صاحب صدق وإخلاص، قانعا باليسير، شريف
النفس، زاهدا مجاهدا، لا يجلس في مكان معين بحيث يقصد فيه ولا يتصدر في المجلس، وكان يأتي
بدلو الماء على رأسه للوضوء ويحرض الناس على إقامة الصلاة بالجماعة ويأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر، رغب إليه ابن الحسن وترك الشياخة ونبذها وراء ظهره، وأخذ طريقة الذل
والافتقار، ولازم الشيخ عبد الله المذكور فتلقن منه الذكر على طريق حفظ الأنفاس، وأخذ عنه القرآن
الكريم، واشتغل عليه بالرياضة والمجاهدة حتى فتح الله سبحانه عليه أبواب الكشف والشهود، فقصده
الناس، واختار صحبته منهم ستمائة أو سبعمائة وسافروا معه على قدم التوكل، وجروا على طريقة
واحدة من اختيار الفقر والتقلل من الدبيا ورد ما يعطى لهم.

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ٣١٣/٤

وكان ابن الحسن دائم الابتهال، كثير الاستعانة، قوي التوكل، ثابت الجأش، له صحبة مؤثرة، كل

من يصل إليه يأخذ طريقته من اختيار الفقر والتقلل من الدنيا، وكان له إقدام وشهادة وقوة نفس، يأمر

بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحتسب على الناس في الملاهي والملاعب ولبس الحرير، فاشتهر

ذكره في أقطار الهند، وحسده علماء السوء فاستحضره سليم شاه السوري سلطان الهند بآكره،

واستحضر الشيخ المحدث رفيع الدين والمفتي أبا الفتح والشيخ عبد الله مخدوم الملك والشيخ مبارك

وغيرهم من كبار العلماء، فحضروا لديه وسلم عليه ابن الحسن علي الوجه المسنون ولم يخدمه بآداب

التحية المرسومة فكبر ذلك على سليم شاه، وكان عبد الله مخدوم الملك عدوا له لذمه علماء السوء،

فحرض السلطان عليه ورماه بأنه يريد الخروج عليه، ولكنه لما سمع تذكيره لان له وبكى وأمر

العلماء أن يباحثوه في مسألة خروج المهدي! فباحثوه فأفحمهم وأتى بما تحير منه الناس، فأمر

السلطان بإخراجه إلى بلاد الدكن تأليفا للعلماء، فذهب إلى هندية – بفتح الهاء وسكون النون والدال

الهندية وفتح التحتية بعدها هاء – فلما وصل إلى هندية استقبله أعظم همايون الشرواني الحاكم بها

بترحيب وإكرام فأقام بها قليلا، ثم طلبه سليم شاه وبعثه إلى بهار عند الشيخ محمد بن طيب الحقاني

ليباحثه في مسألة خروج المهدي، وكان عبد الله مخدوم الملك يحرضه على ذلك، فذهب

ابن الحسن
إلى بهار ولقى الشيخ محمد، وبينما هو عنده إذ قرع صماخه صوت الغناء من بيت
الشيخ فاحتسب
عليه وأنكره، فاعتذر الحقاني وكتب إلى سليم شاه أن مسألة خروج المهدي ليست مما
يدور عليه
الكفر والإيمان فلا ينبغي أن يكفر بها أحد من المسلمين، وأن الكتب لا توجد في هذه
البلاد ولذلك لا
أقدر على دفع شبهاته، انتهى.
فلما رأى أبناء الشيخ محمد أن عبد الله لا يعجبه هذا الكتاب ولعله يحرض السلطان
أن يطلب
الحقاني إلى آكره وهو شيخ فان لا يتحمل مشاق السفر بدلوا الكتاب، وكتبوا من
تلقاء أبيهم إلى سليم
شاه أن مخدوم الملك عالم كبير محقق وهو عندكم فارجعوا إليه في هذه المسألة، وبعثوا
به إلى
السلطان، فلما وصل ابن الحسن ووصل الكتاب إلى سليم شاه استفتى عبد الله وأمر
أن يضرب
بالسياط، وكان ابن الحسن مهزولا من شدائد السفر ومن الطاعون الذي أصابه في
ذلك الزمان، فمات
في السوط الثالث، فأمر بربد جسده بقدم الفيل وإدارته في المعسكر، ففعل ما أمر به،
وتركوه على
وجه الأرض لأن سليم شاه منع أن يدفن، وكان ذلك في سنة سبع وخمسين وتسعمائة،
ذكره عبد
القادر البدايوني في تاريخه، وأرخ لعام وفاته من قوله تعالى: "وسقاهم ربهم شرابا طهورا".
الشيخ علاء الدين الردولوي
الشيخ الصالح علاء الدين بن سليمان بن الحسن الردولوي المشهور بعلاول بلاول،

ولد ونشأ

بردولي، وتوفي والده في صغر سنه، فسافر مع أبيه إلى الحرمين الشريفين فحج وزار وأقام بهما

زمانا وقرأ العلم على مشايخ الحرمين، ثم رجع إلى الهند ودخل دهلي وأخذ عن الشيخ عبد الغفور بن

نصير الدين الدهلوي، وقرأ عليه بعض الكتب الدرسية في." (١)

٢٨٤. "المطالعة لم يفته كتاب إلا طالعه، انتهى.

وفي مآثر عالمكيري أنه قلد بمير بخشيكري سنة ثمان وسبعين وألف فاستقل بها مدة حياته، انتهى،

وكان من ندمائه الدكتور برني ار الرحالة الفرنسوي، ذكره في كتابه وأثنى عليه.

مات في عاشر ربيع الأول سنة إحدى وثمانين وألف في أيام عالمكير، كما في مآثر الأمراء.

مولانا محمد صادق الجونبوري

الشيخ الفاضل محمد صادق بن أبي البقاء بن محمد درويش الحسيني الواسطي الجونبوري، أحد

الأفاضل المشهورين، ولد ونشأ بجونبور، وقرأ العلم على والده، ثم تقرب إلى عالمكير فجعله معلما

لولده محمد معظم فاشتغل بتعليمه مدة، ثم لما جلس على سرير الملك محمد معظم أقطعه أرضا في

جهانكير نكر ذهاكه، فرحل إلى ذلك المقام ومات به، له شرح الزنجاني وشرح مائة عامل كما في

تجلي نور قلت: وله الآداب الصادقية في فن المناظرة موجود في المكتبة الحامدية برامبور، وله

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ٣٨٣/٤

حاشية على العضدية في المناظرة.

المفتي محمد صادق الجونبوري

الشيخ العالم الفقيه المفتي محمد صادق بن شمس الدين الصديقي الحنفي البرونوي الجونبوري، أحد

كبار العلماء، قرأ بعض الكتب الدرسية على والده وأكثرها على العلامة محمود بن محمد العمري

الجونبوري، وجد في البحث والاشتغال حتى برع في العلم وتأهل للفتوى والتدريس فولي الإفتاء

مكان أبيه المرحوم.

وكان ورعا تقيا قنوعا عفيفا دينا شديد التعبد كثير الدرس والإفادة، لا يراه أحد إلا في المدرسة أو

في المسجد، عرض عليه تلميذ والده ركن الدين البحري آبادي شالا كشميريا هدية جاء إلى بلدته بعد

مدة من الزمان وكان من ندماء شائسته خان، فلم يقبل هديته وقال ع:

من دلق را بأطلس شاهان نمى خرم

وحيث كان تقواه في غاية كان لا يأتم في الصلاة بشيخه محمود لتوغله في الفلسفة ومختاراته فيها.

وحكى أن نواب الله وردي خان أمير بلدته أمره مرة أن يثبت خاتمه على سجل مشتمل على أمر

غير مشروع فلم يقبله، فاستصحبه الله وردي خان في سفينة فلما بلغ إلى وسط النهر أكرهه على ذلك

فدفع إليه خاتمه مكرها، فأراد الأمير أن يثبته على السجل المذكور وجد في إثباته ولكنه لم يؤثر فيه،

فخجل الأمير واعترف بورعه وتقواه.

توفي إلى رحمة الله سبحانه في رابع ذي الحجة سنة ثمان وستين وألف، وقبره مشهور في

جونبور،
كما في كنج أرشدي.
الشيخ محمد صادق الكنكوهي
الشيخ الصالح الفقيه محمد صادق بن فتح الله الحنفي الكنكوهي، أحد كبار المشايخ الجشتية، ولد
ونشأ بكنكوه، وأخذ الطريقة عن عمه الشيخ أبي سعيد الحنفي الكنكوهي، وجلس بعده على مسند
الإرشاد، أخذ عنه ولداه داؤد ومحمد والشيخ إبراهيم المراد آبادي والشيخ عبد الجليل الإله آبادي
وخلق آخرون، وكان صاحب كشوف وكرامات، مات سنة ثمان وخمسين وألف بكنكوه فدفن بها، كما
في خزينة الأصفياء.
مولانا محمد صادق الكشميري
الشيخ الفاضل محمد صادق بن كمال الدين الحنفي الكشميري، أحد الأفاضل المشهورين في عصره،
ذكره الجهلي في حدائق الحنفية قال: إنه كان عالما فصيحا مستحضرا لفروع المذهب مع الخبرة
التامة في المنطق والحكمة والطب، ظهر تقدمه في تلك الفنون، ولذلك استقدمه جهانكير بن أكبر شاه
سلطان الهند وأدناه إلى مجلسه المحفوف بأرباب الكمال، واصطفاه للمناظرة بملا حبيب الله الشيعي
فباحثه وأفحمه، مات بكشمير وقبره بها في حارة جماله، انتهى.

مولانا محمد صادق الدهلوي

الشيخ الفاضل الخواجه محمد صادق الحنفي." (١)

٢٨٥. "نادر شاه إلى إيران، كما في رياض

الشعراء لعله مات سنة إحدى وخمسين ومائة وألف أو مما تقرب ذلك.

الشيخ محمد باقر البالوي

الشيخ الفاضل محمد باقر البالوي أحد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح، كان من ندماء فخر

الدولة، لبث عنده زمانا طويلا بفرخ آباد ولما قتل فخر الدولة في سنة ١١٨٥ هـ رجع إلى وطنه

ومات بها، كما في تاريخ فرخ آباد.

مولانا محمد بركة الإله آبادي

الشيخ العالم الكبير العلامة محمد بركة بن عبد الرحمن بن عبد الرسول العثماني الأميثهوي ثم الإله

آبادي أحد فحول العلماء، كان أصله من أميلهي انتقل جده عبد الرسول إلى إله آباد وسكن بها وله

زاوية مشهورة بها وقرأ محمد بركة الكتب الدرسية على العلامة كمال الدين الفتحبوري وبرع في

العلوم لا سيما الفنون الرياضية، لم يكن في زمانه مثله في كثير من الفنون درس وأفاد منه عمره

وأخذ عنه خلق كثير، له مصنفات ممتعة منها تعليقاته على شرح العقائد للدواني وعلى مير زاهد

رساله وعلى تحرير الأقليدس وحاشية مبسوطة على مير زاهد شرح المواقف ورسالة في الحدوث

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ٦٣٦/٥

والقدم ورسالة في تحقيق المهمة من العلم.

القاضي محمد بناه الجونبوري

الشيخ العالم الكبير القاضي محمد بناه الجونبوري القاضي مستعد خان كان من كبار العلماء، ولد

ونشا بجونبور وقرأ العلم على من بها من العلماء ثم سافر إلى دهلي وأخذ عن القاضي تاج محمود

الدهلوي ولازمه مدة حتى صار أبدع أبناء عصره في المعقول والمنقول، قدمه العلماء في المناظرة

حين استقدمهم محمد شاه ليناظروا من كانوا في موكب نادر شاه من أهل العلم في مسألة القتال

فناظرهم وأفحمهم فلقبه نادر شاه بمستعد خان وولاه محمد شاه القضاء بمدينة جونبور فرجع إلى بلدته

واستقام بها مدة حياته، له رسالة في تحقيق جعل البسيط والمركب وهي موجودة في المكتبة الحامدية

برامبور وقبره في باب الحمام من بلدة جونبور.

الشيخ محمد بناه السلوني

الشيخ الصالح محمد بناه بن محمد أشرف بن بير محمد بن عبد النبي العمري السلوني أحد المشايخ

الجشتية، ولد بسلون لأربع عشرة خلون من محرم سنة ١١٤٢ هـ وأخذ عن أبيه ولازمه ملازمة

طويلة ولما مات أبوه تولى الشياخة مكانه سنة ستين ومائة وألف، كان شيخا جليلا مهابا رفيع القدر

كبير المنزلة ذا سخاء وإيثار وعلم وعمل، توفي لتسع عشرة خلون من رمضان سنة اثنتين ومائة

وألف بسلون فدفن بها، كما في أشرف السير.

مولانا محمد تقي اللاهوري
الشيخ الفاضل محمد تقي بن كمال الدين بن عبد السميع بن عتيق الله بن برهان الدين بن محمد
محمود بن عبد السلام القرشي اللاهوري أحد كبار العلماء، كان يدرس ويفيد أخذ عنه الشيخ أيوب
القرشي اللاهوري شارح المثنوي المعنوي، كما في خزينة الأصفياء.
الشيخ محمد تقي المهونوي
الشيخ الصالح محمد تقي بن معين الدين العباسي المهونوي أحد المشايخ القلندرية، ولد ونشأ بمهونه
بفتح الميم قرية جامعة من أعمال لكهنؤ واشتغل بالعلم على والده ثم سافر إلى لكهنؤ وإلى قنوج وأخذ
بها عن جماعة من العلماء ثم سار إلى إله آباد وقرأ على الشيخ قدرة الله بن عبد الجليل الحسيني
الإله آبادي ثم سافر إلى الحرمين الشريفين فحج عنه وعن والده، وكان صاحب قناعة وعفاف وزهد
واستغناء عن الناس، له مقالات عالية في المعارف والمواجيد.
مات يوم السبت لسبع خلون من ذي الحجة سنة ست وسبعين ومائة وألف بقرية مهونه، كما في
بحر زخار.
نواب محمد جان الدهلوي
الأمير الفاضل محمد جان بن شيخ مير الحسيني الدهلوي نواب محتشم خان كان من الأمراء." (١)

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ٨١١/٦

٢٨٦. "لا يقبل. . أما قول ابن عدي والعقيلي: لا يتابع على حديثه. فعادتهم أن يضعفوا الراوي لاستنكارهم لحديث رواه. . ومشهور عنهم الإفراط في الجرح. . أما جرح أبي نعيم الأصبهاني فهو مضارع لطعن العقيلي وابن عدي، وتقليدا لهما فهو مردود"!.

* قلت: فانظر إلى "صاحب القدم الراسخ" كيف يعالج نصوص أئمة الجرح والتعديل. وزعم أن ابن عدي مشهور بالإفراط في الجرح، مع أن ابن عدي معروف بأنه وسط وجانب التسامح عنده أظهر جدا من جانب الجرح.

* ثم إن الجرح المبهم معمول به عند علماء الحديث، إن لم يكن هناك تعديل معتبر. وهو الواقع في هذه المسألة كما يأتي، فكيف والجرح مفسر هنا؟!.

* وبعد أن فرغ هذا المسكين -بزعمه- من رد الجرح إلى نحور الجارحين، وأفحمهم وأقام عليهم الحجة، قال: "فصل: من وثق الداهري" فهذا يوهم أن الذين وثقوه عدد لا بأس به. فإذا به يعقد صفحتين إلا قليلا في أن يحيى بن سعيد روى عنه. وهذا توثيق له. ثم قال: ووثقه الحافظ سعيد بن سليمان كما ذكر ابن عدي في "الكامل"!.

* قلت: والجواب من وجهين:

الأول: أن سعيد بن سليمان، وإن كان من الحفاظ، لكنه غير معروف بنقد الرواة، فلا يساوي توثيقه شيئا أمام الجرح الصادر من أئمة هذا الفن. بل لو كان من أئمة الفن لما قبل منه مع تجريح الكافة له. وكان الذهبي أشار إلى توثيقه بقوله: وبعض الناس قد مشاه وقواه، فلم يلتفت إليه.

الثاني: أن رواية العدل عمن سماه ليست بتعديل له، وهو المذهب الراجح المعمول به عند كافة أهل الحديث. وإلا فقد روى الشافعي عن إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي وقد كذبه أحمد وتركه غيره.." (١)

٢٨٧. "وكان يرى أنهم هم الذين أطلقوا لسانه بعطاياهم، وعلموه الشعر، ولولاهم ما نظم قصيدا:

---

(١) نثل النبال بمعجم الرجال ٤/١٨٤

نظمت حالي ولولا سلك فضلكم ... ما كان قولي ولا فعلي بمتنظم

علمتني الحمد والشكر الجزيل على ... فعل الجميل بما توليه من نعم

ما كنت لولاكم أبغي الفوائد من ... نظم الفوائد في اسم ولا علم

وعلى الرغم من هذا الولاء، ومن دءوب الشاعر على مدحهم في كل مناسبة، وهو عنهم بعيد، فإنهم لم يستجيبوا لرجائه دعوته إليهم، ولعل للمنافسات التي كانت بين الشاعر، وبين بعض الحجازين١ أثرا في هذه الجفوة، فقلما خلت حاشية أمير عظيم، سمح النفس، سخي اليد من أمثال هؤلاء الحساد لكل من نال لديه حظوة أو نبغ وقصروا، وما أمر المتنبي وسيف الدولة بمجهول، ولقد بلى

---

١ من المنافسين للشاعر في الحجاز، الشيح زين العابدين المكي، وكان نحويا، اعترض مرة على قول الساعاتي:

وأبصرت في كف ابن عون مهندا ... يرويه قرم بالضرب خبير

بأن الضراب في اللغة: النكاح، وليس فيه ضراب بمعنى الضرب، واحتج الشاعر مؤيدا رأيه بقول الحارث بن ظالم المري:

وقومي إن سألت بني لؤي ... بمكة علموا الناس الضرابا

أقاموا للكتائب كل يوم ... سيوف المشرفية والحربا

واستشهد بقول المتنبي، وكان من الحفاظ لشعره:

وكل السيوف إذا طال الضراب بها ... يمسها غير سيف الدولة السأم

وقوله:

إنما بدر رزايا عطايا ... ومنابواه وطعان وضراب

وقوله:

بغيرك راعيا عبث الذئاب ... وغيرك صارما ثلم الضراب

فأفحمه بهذا الاستشهاد، وفات المكي أن الضراب مصدر قياسي لضارب كقاتل وناضل، ولكنها حزازات النفوس تزل الحصا.." (١)

٢٨٨. "ثم نراه في المنصورة يتجر في "العصائب" ويجمع حوله الأدباء والشعراء، فأكل الربح رأس المال الذي جاد به عليه أحد الكرماء، ووجد نفسه بعد مدة في دكان مملوء بالشعراء، خلو من السلع، فهام على وجهه مرة أخرى بالبلاد حتى وصل إلى طنطا إبان مولد السيد البدوي، واتصل بشاهين باشا كنج١، وكان رجلا ذا جاه يجتمع حوله الأدباء والظرفاء، وله ببيته منتدى يضم أنماطا شتى من ذوي اللسن والنكتة والفكاهة، وقد مكث عبد الله نديم في ضيافته مدة ينعم بكرم وأدب وراحة، وكان واسطة العقد يبهر الناس بأدبه وطلاقة لسانه وسرعة بديهته، وكان يتحداه الأدباء، ويحاولون تعجيزه ولكنه بهرهم بمواهبة؛ وقد روي أن بعضهم اقترح عليه أن يعارض دالية المتنبي المشهورة التي مطلعها:

---

١ وقد وقع له مع شاهين باشا حادثة تدل على مبلغ بديهة عبد الله نديم واستعداده الأدبي، فقد قال هو عن نفسه: "كنت بمولد السيد البدوي ومعي السيد علي أبوالنصر والشيخ علاوة، وجلسنا على قهوة الصباغ نتفرج على أديب وقف يناظر آخر، فلما فطن أحدهم لانتقادنا عليهما استلفت أخاه إلينا، وخصنا بالكلام، فأخذا يمدحاننا واحدا فواحدا، إلى أن جاء دورهما إلي، فقال أحدهما يخاطبني:

أنعم بقرشك يا جندي ... وإلا اكسنا أمل يا أفندي

ولا أنا وحياتك عندي ... بقي لي شهرين طول جوعان

فقلت على سبيل المزاح:

أما الفلوس أنا مديشي ... وأنت تقول لي ما امشيشي

يطلع على حشيشي ... أقول أمص لك لودان

ولما بلغ شاهين باشا ذلك وأني غلبت هؤلاء "الأدباتية" طلب شيخهم، ووعده إن

---

(١) في الأدب الحديث إبراهيم محمد أبو سكين ١٣٧/١

غلبوني يعطهم ألف قرش. وإن غلبتهم يضرب كل واحد من عشرين "سوطا" واجتمع لذلك حشد من الناس كبير، وابتدأ كبيرهم فقال:

أول كلامي حمد الله ... ثم الصلاة على الهادي

ماذا تريد يا عبد الله ... قدام أميرنا وأسيادي

فقلت:

إني أريد أحمد ربي ... بعد الصلاة على المختار

وإن كنت تطمع في أدبي ... أسمعك بعض الأشعار

فقال:

دعنا من الأدب المشهور ... وادخل بنا باب الدعكة

ندخل على أسيادنا بسرور ... ونغنم الخير والبركة

فقلت:

ها احتكم في البحر وشوف ... فن النديم ولا فنك

دقولت أسمع يا متحوف ... أحسن أدب وحياة دقنك

وهكذا استمر عبد الله نديم يشاجل هؤلاء الأدباتية حتى أفحمهم، وتجد ثبتا لا بأس به بمجلة الأستاذ، كتبه بنفسه، ونقله أحمد باشا تيمور في كتابه "تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر".." (١)

٢٨٩. "فلا شك أن سكره على هذه الصفة محال، لكن حسنه الهزل لمجرد سرور المجالس ومضاحكته، والمردود ما جرى من الاعتبارات المتقدمة كقول أبي نواس يمدح هارون الرشيد:

وأخفت أهل الشرك حتى إنه ... لتخافك النطف التي لم تخلق

وقول أبي الطيب:

كأني دحوت الأرض من خبرتي بها ... كأني بنى الإسكندر السد من عزمي

شبه نفسه بالخالق ﷻ في دحوه الأرض، ثم فجأة نزل إلى الحضيض فشبه نفسه

(١) في الأدب الحديث إبراهيم محمد أبو سكين ٣١٠/١

بالإسكندر.

المذهب الكلامي ١:

هو أن يأتي البليغ على صحة دعواه وإبطال دعوى خصمه بحجة عقلية قاطعة تصح نسبتها إلى علم الكلام.

ولم يستشهد على هذا النوع بأعظم من شواهد القرآن، فمن لطيف ذلك قوله عز وعلا: {لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا} ٢، إذ تمام الدليل: لكنهما لم تفسدا فليس فيهما آلهة غير الله.

وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: {فلما أفل قال لا أحب الآفلين} ٣ لأن تحليل القياس: القمر آفل وربي ليس بآفل فالقمر ليس بربي.

وقوله عليه السلام: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا"، إذ تمام الدليل: لكنكم ضحكتم كثيرا وبكيتم قليلا فلم تعلموا ما أعلم.

ويرى أن أبا دلف العجلي قصده شاعر تميمي، فقال له: ممن أنت؟ فقال: من تميم، فقال أبو دلف:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ... ولو سلكت سبل الهداية ضلت

فقال له التميمي: بتلك الهداية جئت إليك، فأفحمه.

---

١ هذه التسمية تنسب للجاحظ.

٢ المراد بالفساد خروجهما من النظام الذي هما عليه "سورة الأنبياء".

٣ أي: بقياس حملي يفيد أن المجيء إليه ضلال، لكن القياس الشرطي أوضح دلالة في هذا الباب وأعذب في الذوق وأسهل في التركيب "سورة الأنعام".." (١)

٢٩٠. "فلا شك أن سكره على هذه الصفة محال، لكن حسنه الهزل لمجرد سرور المجالس ومضاحكته، والمردود ما جرى من الاعتبارات المتقدمة كقول أبي نواس يمدح هارون الرشيد:

---

(١) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع أحمد بن سعيد قشاش ص/٣٣٩

وأخفت أهل الشرك حتى إنه ... لتخافك النطف التي لم تخلق

وقول أبي الطيب:

كأني دحوت الأرض من خبرتي بها ... كأني بنى الاسكندر السد من عزمي

شبه نفسه بالخالق ﷻ في دحوه الأرض، ثم فجأة نزل الى الحضيض فشبه نفسه بالاسكندر.

المذهب الكلامي (١)

هو أن يأتي البليغ على صحة دعواه وإبطال دعوى خصمه بحجة عقلية قاطعة تصح نسبتها الى علم الكلام.

ولم يستشهد على هذا النوع بأعظم من شواهد القرآن، فمن لطيف ذلك قوله عز وعلا: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) (٢)، إذ تمام الدليل: لكنهما لم تفسدا فليس فيهما آلهة غير الله.

وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: (فلما أفل قال لا أحب الآفلين) (٣) لأن تحليل القياس: القمر آفل وربي ليس بآفل فالقمر ليس بربي.

وقوله عليه السلام: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا»، إذ تمام الدليل: لكنكم ضحكتم كثيرا وبكيتم قليلا فلم تعلموا ما أعلم.

ويرى أن أبا دلف العجلي قصده شاعر تميمي، فقال له: ممن أنت؟ فقال: من تميم، فقال أبو دلف:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ... ولو سلكت سبل الهداية ضلت

فقال له التميمي: بتلك الهداية جئت اليك، فأفحمه.

---

(١) هذه التسمية تنسب للجاحظ.

(٢) المراد بالفساد خروجهما من النظام الذي هما عليه (سورة الانبياء).

(٣) أي بقياس حملي يفيد أن المجيء اليه ضلال، لكن القياس الشرطي أوضح دلالة في هذا الباب وأعذب في الذوق وأسهل في التركيب (سورة الأنعام).." [١]

٢٩١. "قال أبو زرعة Y كان جاهلا بلغني أنه ناظر إسحاق بن راهويه في القرعة فاحتج عليه إسحاق بتلك الأخبار الصحاح فأفحمه فانصرف ففتش كتبه فوجد في كتبه حديث النبي A نهى عن القزع فقال لأصحابه قد وجدت حديثا أكسر به ظهره فأتى إسحاق فأخبره فقال إسحاق إنما هذا القزع أنه يحلق بعض رأس الصبي ويترك بعض.

قلت Y محمد بن مسروق القاضي قال Y شيخ حدث عن الوليد." [٢]

٢٩٢. " يؤذيه ثم قال الساعة والله أنصرف فقال أبو العيناء ما رأيت من يتهدد بالعافية غيرك وقال له ابن الجماز المغني هل تذكر سالف معاشرتنا فقال إذ تغنينا ونحن نستعفيك ودخل على أبي الصقر إسماعيل بن بلبل الوزير فقال له ما الذي أخرك عنا يا أبا العيناء فقال سرق حماري فقال وكيف سرق قال لم أكن مع اللص فأخبرك قال فهلا أتيتنا على غيره قال قعد بي عن الشراء قلة يساري وكرهت ذل المكاري ومنة العواري وقيل له إلى متى تمدح الناس وتهجوهم فقال ما دام المحسن يحسن والمسيء يسيء وأعوذ بالله أن أكون كالعقرب تلسب النبي والذمي ودخل على ابن ثوابة عقب كلام جرى بينه وبين الوزير أبي الصقر بن بلبل وكان ابن ثوابة تطاول على الوزير فقال له أبو العيناء بلغني ما جرى بينك وبين الوزير وما منعه من استقصاء الجواب إلا أنه لم يجد فيك عزا فيضعه ولا مجدا فينقصه وبعد فإنه عاف لحمك أن يأكله واستقل دمك أن يسفكه فقال ابن ثوابة وما أنت والدخول بيني وبين هؤلاء يا مكدي فقال لا تنكر على ابن ثمانين قد ذهب بصره وجفاه سلطانه أن يعول على إخوانه فيأخذ من أموالهم ولكن أشد من هذا من يستنزل الماء من أصلاب الرجال فيستفرغه في جوفه فيقطع نسلهم ويعظم أوزارهم فقال ابن ثوابة ما تساب اثنان إلا غلب ألأمهما فقال أبو العيناء وبذا غلبت أبا الصقر بالأمس فأفحمه وخاصم يوما علويا فقال له العلوي تخاصمني

---

(١) علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع ط-أخرى أحمد بن سعيد قشاش ص/٣٣٩

(٢) الضعفاء وأجوبة أبي زرعة الرازي على سؤالات البرذعي ٢/٣٣٥

وقد أمرت أن تقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فقال لكني أقول الطيبين الطاهرين فتخرج أنت وقال له ابن الجهم يوما يا مخنث فقال { وضرب لنا مثلا ونسي خلقه }